

# الْبَيْتُ الْإِسْلَامِيُّ

- ٣ -

انخافوا الرأشدون

محمود شاكر

الكتب الإسلامي



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الثامنة  
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

## المكتبة الإسلامية

بيروت، ع.ب. : ١١/٢٧٧١ - ريفاً، إسلامياً - تلخس، ١-٥٠١ - هاتف : ١٥-٦٢٨  
دمشق، ع.ب. : ١٣-٧٩ - هاتف : ١١٦٢٧  
عمّان، ع.ب. : ١٨٢-٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦-٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧١

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### توطئة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آل وصحبه أجمعين وبعد : فإن المدة القليلة التي لا تزيد على الثلاثين سنة بعد رسول الله ﷺ يطلق عليها الخلافة الراشدة ، والتي تعاقب عليها أربعة خلفاء فقط ، وذلك لأنهم ساروا على نهج رسول الله ﷺ ، حسب الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده ، فكانت هذه المدة إذن تنمة لحكم رسول الله ﷺ ، وبدا تكون الدولة الإسلامية التي قامت في المدينة المنورة منذ أن وصل إليها رسول الله ﷺ في بداية الهجرة وإلى مقتل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة أربعين من الهجرة هي الصورة الصحيحة للحكم الإسلامي كمدة متصلة ، ولم تعد بعدها مرة أخرى على وجه الأرض في كل جوانبها ومعطياتها ، وإنما أخذت بعض الجوانب الشكل العام لمدة قصيرة كما حدث أيام سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أو بعض أجزاء في صور في عصور شتى في حياة بعض المصلحين من الحكام ، وهي القدوة لكل حاكم يريد لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة ولشعبه الصلاح والحياة السعيدة ، وهي الشكل من الحكم الذي يطالب به المسلمون حكامهم للسير على نهجه ، ويدعون إلى تطبيقه فيما إذا آلت إليهم دفة الحكم وتسيير شؤون الدولة .

وما هذه المطالبة من قبل المسلمين بالسير على منهج الدولة الإسلامية والدعوة إلى ذلك إلا لأن الحضارة في هذه المدة قد بلغت أوجها ، والحضارة

التي تعنيها هنا هي التي تتبع من عقيدة المسلم، والتي هي لتحقيق سعادة الانسان، وليست الحضارة المادية التي تستعيد الانسان ونذله، وتطلق له عنان شهواته، وتخضعه لهيبته، فينشأ الصراع، وتكثر المفاسد، وتعم الجرائم، ويستبد القوي، ويطغى الغني، وتتحكم مجموعة من اللصوص لتحقيق رغباتها وتأمين مصالحها وهذا الذي يجمعها بعضها إلى بعض، وأصبحت الحضارة عندهم غاية شخصية وليست غاية كل فرد من أفراد المجتمع كما يجب أن تكون.

لقد أعطى الاسلام الانسان الصورة الصحيحة عن الحياة، فعرّفه انه ليس أعظم مخلوق في هذا الكون بما منحه الله من ميزات يحق له أن يتغطرس ويظلم الآخرين من بني البشر، كما أنه ليس هناك من أمة أعلى من أمة يحق لها السيطرة والظلم على غيرها، وفي الوقت نفسه فالانسان ليس مخلوقاً وصعباً لا قيمة له أمام الكائنات الثانية الأمر الذي يجعله خاضعاً لها يسجد لها ويعبدها، كما فعل الوثنيون الذين عبدوا الشمس والقمر والنجوم والأشجار سواء أكان ذلك في القديم أم في العصر الحديث، وإنما الانسان مخلوق مكرم مستخلف في هذه الأرض، ولم يكن هذا الاستخلاف لجعل الانسان مستقلاً بأمره يفعل ما يشاء بمحض إرادته، وإنما هو مسؤول أمام الله الذي خلقه واستخلفه ورسم له المنهج الذي ينظم أمور حياته، مسؤول عن كل ما يفعل وعن كل ما يتبع عن فعله، فإن أحسن كوفى، أفضل مكافأة، وإن أساء عوقب على قدر الإساءة. فالانسان المسلم مقر بسيادة مولاه على ما يملك وكل ما تحت يده هو، ومسؤول أمامه عن كل فعل، وفي الوقت نفسه فهو بهذا المنصب من الاستخلاف بعد أعلى ممن سواه من المخلوقات الأخرى.

ومن هذا المنطلق فإن كل فرد مسلم في المجتمع كان يأخذ دوره كاملاً نتيجة وعيه الصحيح ومعرفة الموقع الذي هو فيه، وكان عضواً صالحاً في المجتمع، ويؤلف لبنة من لبنات البناء المتناسك بعضه مع بعض، وبهذا تكون المجتمع الصالح، وبسبب ذلك وبسبب الوعي الروحي كان الانطلاق للجهاد



تلقائياً للحصول على الشهادة فكانت الانتصارات، وكانت الفسوحات  
الواسعة، وكان المسؤولون وهم الخلفاء أكثر عناصر المجتمع إدراكاً لهذه  
الموضوعات وتعهداً لمعطياتها. لذا فقد سادت الحضارة الانسانية، وحصل  
الأفراد على السعادة التامة في المساواة والعدل والأمن والطمأنينة والحاجات  
الأساسية كلها، وتأمنت الرفاهية. ويمكن أن نعطي أمثلة مقارنة بين الخلفاء  
الراشدين وحكام هذا العصر، لئلا يظن الفارق البين بين من صيغه الاسلام بصيغته  
وبين من طغت عليه المادة والمصالح الدنيوية فطغت بطابعها، ولما كانت حياة  
الخلفاء الراشدين صورة واحدة تقريباً، لذا سنجتزئ، مصوراً منها وهي  
الشائعة بين الناس السائرة على ألسنة المجتمع، لنصل الى النتيجة التالية، وهي  
أن الناس يعرفون المعرفة العامة لحياة الراشدين الذين يعدونهم قدوة لهم، ولكن  
لا يستطيعون مطالبة الحكام بذلك، حيث الطغيان قائم والظلم شديد، والناس على  
رغبة شديدة بتطبيق الاسلام، وعندما يرون أول باذرة لذلك فإنهم ينطلقون  
وراءها، ويعملون لها بكل إخلاص ونضحية، ويمكن أن نلاحظ هذا في إيران  
التي قطعت شوطاً بعيداً في المقاسد أيام حكم الشاه، حتى نستطيع أن نقول إنها  
سقت غيرها من دول العالم الاسلامي كله، ونسلط سيف الشاه أكثر من غيره  
أيضاً، وكانت قوة المخابرات السرية تفوق كل ما سواها، ووضعت الدول  
الأجنبية صاحبة المصالح النفطية كل طاقتها للمحافظة على الوضع ومراقبة  
كل تحرك يهدف إلى تغيير النظام، إلا أن المجتمع عندما رأى الاتجاه نحو  
الاسلام في الحركة المعادية للشاه انطلق يدعمها، وفوجئت الدول الأجنبية بهذا  
التحرك وهذا التغير الذي حدث سريعاً نحو الإسلام، ولم تكن لتتوقع ذلك،  
لما لم تكن تعلمون ما هي الصدمة الكبيرة إذ صامتت مصاحبا وساء الاسلام  
- حسب المفهوم الذي رفع رايته أولئك الذين دعوا إليه وعملوا له، وهو  
أصعب الأمور بالنسبة لها وأكثرها مرارة - وستكون الصور التي سنعطيتها عن  
الخلفاء الراشدين بما يتعلق بالحياة الاجتماعية بالدرجة الأولى، لما لها من علاقة  
في الحياة العامة.

لقد كان الخلفاء الراشدون على أهل مثل من التواضع، إذ كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب أغنام الحي الذي يقيم فيه وهو السبع، فلما بوع بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منابيح (أهنام) دارنا، فسمعا أبو بكر رضي الله عنه، فقال: بلى، لعمرى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لمن. وبقي على ذلك ما أقام في السبع، فلما انتقل إلى المدينة بعد ستة أشهر من توليه الخلافة ترك ذلك بالضرورة.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخذه، فيقال له: لو أمرنا أن نناولك، فيقول: أمرنا رسول الله ﷺ ألا نسأل الناس شيئاً.

هذا التواضع قد فقد بعد تلك الصفة إلا من رحم ربك، وغدا الرجل إذا تسلم المسؤولة ترفع عن الناس، وأصبح لا يكلمهم إلا من وراء حجاب، وبأنف شامخ، وبعد اجتياز عدد من السدود والأسوار من الجند والمخابرات العامة منها والسرية.

ولتنظر إلى جانب آخر من المصلحة العامة وهو السهر من قبل المسؤول الأول على حياة رعيته وشؤونهم، فقد كان الخليفة يتجول في النهار في الأسواق، ويسأل عن شؤون الناس، ويتجول في الليل يتفقد أحوال الأمة والمحتاجين، والذين يبيتون حول المدينة من الأعراب والتجار والمنقطعين ومن أجاتهم الحاجة إلى ذلك، يؤمن لهم حاجاتهم. فبينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس في المدينة ليلاً أتى على امرأة من الأنصار تحمل قرية، فسأها عن شأنها، فلذكرت أن لها عيالا، وأنه ليس لها خادم، وأنها تخرج في الليل فتسقيهم الماء، ونكرة أن تخرج بالنهار، فحمل عمر عنها القرية حتى بلغ منزلها، وقال: اتحدي على عمر غدوة بخدمك خادماً. قالت: لا أصل إليه، قال: إنك

ستجدينه إن شاء الله تعالى . ففقدت عليه فإذا هي به ، فعرفت أنه الذي حل  
قربتها ، فذهبت تولى ! فأرسل في أثرها ، وأمر لها بخادم ونفقة .

أما بعد ذلك العصر فالحاكم لا يجرؤ على مغادرة مقره ، بل لا يستطيع زيارة  
أهله وصلة رحمه ، وإذا خرج كانت المخابرات السرية أرتالا من أمامه وأنساقاً  
من ورائه ، وكان رجال الأمن صفوفاً ولسافات طويلة ، وينشر بعضهم على  
جنبات الطريق ، والسيارات المشابهة تسارع الريح وتنطلق بعضها إثر بعض  
حتى لا يُعرف الحاكم في أيها يكون .

ولتنظر إلى الجانب المالي الذي عليه مدار الحياة حسنه وسينه . لقد كان أبو  
بكر رضي الله عنه رجلاً تاجراً يقدو كل يوم إلى السوق فيبيع وبيئاع ، فلما  
استخلف أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر وأبو  
عبدة فقالا : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق . قالوا : تصنع ماذا  
وقد وليت أمور المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ فقالوا : انطلق معنا حتى  
نفرس لك شيئاً . فانطلق معها ففرضوا له كل يوم شطر شاة .

وجاء في الرياض النضرة أن رزقه الذي فرضوه له خمسون ومائتا دينار في  
السنة وشاة يؤخذ منها بطنها ورأسها وأكارعها ، فلم يكن يكفيه ذلك وعياله ،  
وكان قد ألقى كل دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين ، فخرج إلى  
البيع فتصافق (بايع) ، فجاء عمر رضي الله عنه فإذا هو بنسوة جلوس ،  
فقال : ما شأنك ؟ قلن : نريد خليفة رسول الله ﷺ ، فانطلق يطلبه فوجده في  
السوق ، فأخذه بيده فقال : تعال ها هنا . فقال : لا حاجة لي في إمارتكم ،  
رزقتموني مالا يكفي عيالي . قال : فإننا نزيدك . قال أبو بكر : ثلاثمائة  
دينار والشاة كلها ، قال عمر : أما هذا فلا ! فجاء علي رضي الله عنه وهما على  
حاملها تلك ، قال : أكملها له . قال ترى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : قد فعلنا . قال  
أبو بكر : أنها رجلان من المهاجرين لا أدري أيرضى بها بقية المهاجرين أم لا ؟

وانطلق أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس فقال:  
أيها الناس إن رزقي كان لحسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ مني بطنها ورأسها  
وأكارعها، وإن عمر وعلياً أكملاني ثلاثمائة دينار والشاة. أفرسبتم؟ قال  
المهاجرون: اللهم نعم؟ قد رضينا. فقال أعرابي من جانب المسجد: لا والله ما  
رضينا فأين حق أهل البادية؟ قال أبو بكر: إذا رضي المهاجرون شيئاً فإنما  
أنتم تبع.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعمل بالتجارة أيضاً، فلما ولي الأمر  
لم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى  
أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال: إني كنت امرأة تاجر، وقد  
شغلتموني بأمركم هذا. فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال؟ فقال عثمان رضي  
الله عنه: كل واطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد، وأكثر القوم، وهي رضي الله  
عنه ساكت، فقال له: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: ما يصلحك ويصلح عيالك  
بالمعروف، ليس لك من هذا الأمر غيره. فقال عمر: القول ما قال علي بن أبي  
طالب.

وكان عثمان رضي الله عنه إذا أعطى الأعطيات، وزع من ماله الخاص  
أيضاً إلى الذين لا تكفيهم أعطياتهم، وهو المعروف بكرمه، وصدقائه، وبذله  
ماله في الجهاد.

وكان علي رضي الله عنه شأنه شأن عمر رضي الله عنه  
وأين نحن اليوم من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم؟ فإن الخزينة  
أصبحت بعدهم بيد الحكام يتفقون كيف يشاؤون، ويتصرفون كما يريدون،  
كما أصبحت لهم نفقات مستورة لا حصر لها، وفوق هذا فقد تكذبت لهم  
الأموال في المصارف خارج البلاد، حتى غدت دول أجنبية تعيش على هذه  
الأموال لكثرتها، وأكثرها يعود إلى حكام أمراء المسلمين، مع أنه قد ظهر أن

هذه الأموال مهما بلغت، والعقارات مهما كثرت، فإنها لا تكفي شيئاً، ولا تعني صاحبها شيئاً، فإن الشاه وضخامة ما يملك ومع ذلك فإنه لم يجد أرضاً تنقله لبأوى إليها، هذا في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم، وذلك جزاء الظالمين.

ولعل أفضل حكمة تقال عن المال ما قاله عبادة بن الصامت<sup>(١)</sup> رضي الله عنه للمقوقس حاكم مصر قبل فتحها أثناء حديثه معه، لو كانت الدنيا كلها لنا، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه.

ولنتظر إلى جانب من جوانب المساواة في عهد الراشدين، أنت علياً رضي الله عنه امرأتان تسألانه، عربية ومولاة لها. فأمر لكل واحدة منها بكر من طعام، وأربعين درهماً. فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت. وقالت العربية: يا أمير المؤمنين! تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها علي رضي الله عنه: إني نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد اسماعيل علي ولد اسحاق - عليها الصلاة والسلام -.

وجاء جعدة بن هبيرة إلى علي - رضي الله عنهما - فقال: يا أمير المؤمنين! يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه وأهله وماله. والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقتضي لهذا علي هذا! فلهذه علي رضي الله عنه وقال: إن هذا شيء، لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذاك شيء من الله.

لا شك بأن حكاما هذا عملهم وهذا دأبهم حقيق رعيتهم، وسبظرون إليهم بعين التقدير والإكبار، ويشعرون أنهم في طمأنينة، وسيعيشون في أمن وسلام، كل آمن على نفسه وماله وعرضه، وستكون عندها السعادة. ولا شك

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، صحابي من الموصوفين بالورع. وشهد العقبة، وكان أحد القضاة، وبدرا وسائر المشاهد. ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفسطين، كان طويلاً شديد السرعة، توفي ببيت المقدس عام ٣٤ هـ.

بأن في كل مجتمع وفي أي وقت عناصر تحاول الإساءة، وتسعى للتفاد، وترغب في مصالحها الخاصة، إلا أن أمين الخلفاء الراشدين لم تكن خافلة منهم بل كانت لهم بالمرصاد، تجبرهم على الاستقامة والسير على الطريق المستقيم، وذلك بالقوة إن لم تجد معهم النصيحة، إذ لم يكن سلوك أولئك الخلفاء نتيجة ضعف وخوف، وإنما نتيجة التربية الإسلامية السليمة، والخوف من الله سبحانه وتعالى، والسير على منهجه.

ولاشك بأن الإسلام هو الذي تولى عليه هؤلاء الخلفاء فكانوا أئمة، وكذلك نشأت عليه الرعية فخافت الله واتفقت، فنصحت لأئمتها ولسائر المسلمين، وشعرت بأخوتها لكل أبناء مجتمعها فكانت الأمة الغاضلة، وخير أمة أخرجت للناس، وذلك ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. فكان الأفراد يتصحون أمراءهم فيقبلون منهم، ويأمرونهم بالحق فيلبون، فقد وقف عمر بن الخطاب رضي الله مرة على المنبر وقال: يا معشر المسلمين، ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا كذا (وميل رأسه). فقال إليه رجل فقال: أجل كنا نقول بالسيف كذا (وأشار إلى القطع). فقال عمر: إياي تعني بقولك؟ قال: نعم إياك أعني بقولي. فقال عمر: رحمك الله، الحمد لله الذي جعل في رعيته من إذا أخرجت قومي وكانت النساء تطلبن من أزواجهن قبل الخروج للعمل: أن يتقوا الله ليهن ويطعامهن، فإنهن يصبرن على الجوع ولكن لا يصبرن على الطعام الحرام.

## تأريخ هذه المرحلة

لكل أمة تاريخ يسجله أبنائها بصورة ما، فإذا كانت هناك أخطاء فيه وضحوا الظروف التي أدت إلى وقوع الأخطاء حتى ليجد القارئ، أن العذر معهم في تصرفاتهم، فيسوّغ بذلك لهم أعمالهم، فيقتبهم في نظر الناس رجالاً مخلصين، وتشعر الأجيال من أمتهم أنهم أمة مجيدة، يفخر فيها الخلف، ويعتز بها الأبناء، وبأخذ الجيل العبر من أخطاء الأجداد، ويحاول عدم الوقوع فيها، وأن بناء أمة إنما كان بشكل سليم، وفي الوقت نفسه فإن الأحفاد يعرضون الجيد من تاريخهم بشكل رائع وبصورة براقّة توضح عظيمة الأمة وماضيتها الحافل بالأعجاد، وفي كلا الحالين يبقى التاريخ مفخرة للأجيال.

أما الأمة المسلمة فقد اعترى - مع الأسف - تاريخها الشيء الكثير من التشويه بسبب الفرق التي وجدت، حيث يحاول كل منهم أن يضع من شأن الآخرين، ويعدّهم معتدين على حقوق غيرهم، وذلك ليعلي مركز من يتبعهم أو يعمل لهم أو يعتقد بصلاحتهم دون سواهم، وبذا حدثت ثغرات في تاريخ العظماء، ثم سلطت الأضواء على نقاط الخلاف، وهُوّل من شأن القتال الذي حدث بين الأطراف، حتى غدا تاريخنا كله قتالاً ومعارك بين الفريقين وأعطيت هذه المعارك أكبر من حجمها، وصورت بأكثر من واقعها، وصار لا يذكر غيرها من الصفحات المشرقة في هذه المرحلة، والأفضل أن تسوّغ

هذه المعارك بالظروف التي أدت إلى حدوثها .

من الأمة المسلمة من أحب علياً رضي الله عنه حباً أقصد عليه أمره كله ،  
نصب إليه ما لا يقبل من الحوادث والأخبار ، ومن خلال هذا الحب حاول أن  
يضع من شأن غيره ، وبعد الآخرين معتدين على حقه ظالمين له ، ولأنفسهم ، بل  
زاد به ذلك الحب حتى عد أحفاد علي رضي الله عنه أئمة منصوص عليهم ،  
وأعطاهم العصمة ، وسواهم بمنزلة النبوة ، ولكن هذه المبالغة لم تحدث في صدر  
الإسلام ، وإنما وجدت فيما بعد ، بعد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ،  
إذ لا نجد هذا الكلام عند الفقهاء الأوائل والمؤرخين ، كما لا نجد الكراهية بين  
وجهاء آل البيت والخلفاء والولاة ، بل لم تكن كلمة الشيعة تحمل أكثر من معنى  
التأييد والمناصرة ، ولكنها نعدت مع الزمن فكراً خاصاً وعقيدة خاصة ، ونسب  
إلى الأوائل أقوال لم يقولوها ، وأخبار لم يعرفوها ، وأفكار لم تخطر على بالهم  
أبداً .

لقد فسح المجال أمام أدعياء نصرة سيدنا علي رضي الله عنه أن يكتبوا ما  
شاء لهم هواهم في ذم خصومهم ، والذين وقفوا في وجههم ، وأن يروجوا  
الروايات التي تلائم ما يدعونها حتى كثرت الفرق ، وتعددت الفئات التي تريد  
من ذلك تأمين مصالحهم ، وتبغى تحقيق أهوائهم ، وظهرت الباطنية ، وزادت  
المغالاة إذ لم يبدأ تدوين التاريخ إلا في العهد العباسي الذي برغب بل لا يهجه  
سوى تهديم الحكم الأموي ، ليكون ذلك مبرراً لقيام الدولة العباسية ، الأمر  
الذي ساعد على الطعن في الأمويين جملة ، ووصل إلى من قامت دولتهم على  
أساس المطالبة بدمه ، وهو الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله  
عنه . ونسبت أمور لعلي رضي الله عنه ، ووضعت أحاديث لرسول الله ﷺ  
تحدد الخلافة لعلي رضي الله عنه ، الأمر الذي جعل من سبقه غامباً لحقه ، غير  
معترف بأفضليته ، ووضعت كتب نسبت لسيدنا علي تنطق بهذا ، وما هي له ،  
وأعوذ بالله أن يتكلم أحد الصحابة ومن هو بمستواه عن غيره من الصحابة بهذا



الكلام أو يتفوه فيه، وقد انتشرت الأخبار، وشاعت الروايات التي تتحدث بهذا، وجاء المؤرخون فوجدوا من الأمانة العلمية ان يدونوا لسلفهم كل ما في المحتسب من أخبار، وينقلوا إلى أحفادهم ككل الروايات، ومن هنا جاء التصارب في الروايات حسب الأصول التي وردت منها، إذ لا تعرف كل فرقة إلا برواة خاصين بها، تعدهم ثقة، على حين تزدح بغيرهم.

ومما زاد مشقة وبعداً في الشقة أننا ننظر إلى تلك الحوادث التي وقعت آنذاك من خلال واقعنا اليوم من حيث سرعة وصول الخبر ونقله، والرغبة في الوصول إلى الحكم والتكالب على الدنيا، ومن خلال ما ثبت في ذهننا من عداوة بين الفريقين بما دون في التاريخ، ومن خلال عدم دراسة الظروف التي أدت إلى ذلك.

كانت المسافة بين المدينة ودمشق تقطع في مدة شهر ذهاباً ومثله إياباً، وخلال هذين الشهرين وحتى تعود الرسل تكون حوادث قد جمدت، ومشكلات جديدة قد طرأت تحتاج إلى معالجة وتبيان، وأمور قد انتهت، وقضايا نسبت لا حاجة لإبرازها من جديد وإعادة المرعجات إلى النفوس، كما أن الموضوعات تكون قد نقلت بشكل مخالف لواقعها نتيجة النقل عن فلان عن فلان، فتصل عن طريق غير الطريق التي نقلها الرسول المأمون الثقة، فتكاد النفس لا تصدق، ويحدث الحرج ويقع الارتباك، وتتحدث اليوم عن تلك المرحلة وبذهننا الهاتف واللاسلكي والمذباغ والطائرة والأقمار الصناعية وانتقال الأخبار بواسطة هذه الأجهزة ولا تتعدى سرعتها الدقائق بل الثواني.

كان الخلفاء الراشدون أبعد الناس في الرغبة بالحكم، بل في إعطاء الرأي، فكان السؤال يأتي إلى الصحابي فيجلبه إلى صحابي آخر، وهو بدوره إلى آخر وآخر حتى يعود السؤال إلى الأول، وكل يحاول ألا يفني في المسألة، ولتنظر إلى يوم السقيفة وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة كل يدفع الأمر عن نفسه ويلقبها

على الآخر، ولذا ذكر دائماً ما كان يقوله علي رضي الله عنه «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاتروا على كفة ظالم ولا سغب مظلوم لألقبت حبلها على غاربها ولسقت آخرها بكأس أولها ولألفيم دنياكم هذه أزهق عندي من عطفة عنز» .

تحدثت اليوم عن تلك المرحلة وبذهنتنا الرغبة في الحكم، والتمسك في السلطة، والقتال من أجلها، وعدم ترك الأمر إلا بالسيف والانقلاب والنورة.

وكان الصحابة عامة والخلفاء الراشدون خاصة يحب بعضهم بعضاً، ولا يحب أحد أحداً كما يحب الخليفة صحابة رسول الله، ولن نتحدث عن استشارة أبي بكر عمر وعثمان وعلياً وبقية الصحابة، ولا استشارة عمر عثمان وعلياً وتولية عمر علياً المدينة إذا خرج منها، ولا استشارة عثمان علياً واعتقاده على رأيه، لأنه ربما يقول أحداً أنه كان يداري الصحابة ليسكتوا عنه - معاذ الله - ولكن سنقف قليلاً عند محبة الخلفاء لأبناء الصحابة وخاصة أبناء آل البيت، ثم رأيت الخليفة قيس بن سفيان، وسيزيد على ذلك لئري موقف الخلفاء الأمويين والعباسيين الأوائل من وجهاء آل البيت وكبارهم خاصة وجلهم عامة لتكون على بيته من الواقع ولتبتعد قليلاً عما رسخ من نفوسنا من العداة التقليدي والغضب الكبير بين الفريقين .

كما عثر من الخطاب رضي الله عنه أصحاب النبي ﷺ فلم يكن فيها ما يصلح للحسن والحسين، فبعث إلى اليمن فأتى بها بكسوة فقال: الآن طابت نفسي<sup>(١)</sup>

وأمر عمر بن الخطاب الحسين بن علي أن يأتيه في بعض الحاجة .

(١) ابن الجوزي: ١٧ .

قال الحسين : فلقيت عبد الله بن عمر ، فقلت له : من أين جئت ؟ فقال :  
استأذنت على عمر فلم يأذن لي ، فرجع الحسين فلقبه عمر فقال : ما منعك يا  
حسين أن تأتي ؟

قال : قد أتيتك ولكن الخيري عبدالله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك  
فرجعت .

فقال عمر : وأنت عندي مثله ؟ وأنت عندي مثله ؟<sup>(١)</sup> . (أي أعز عليه  
وأكرم من ولده عبدالله) .

وأخرج الترمذي عن عمر رضي الله قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا  
إلى رسول الله ﷺ .

وأخرج البخاري وأحمد ، عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي (يعني علي بن  
أبي طالب رضي الله عنه) أي الناس خير بعد النبي ﷺ ؟ قال : أبو بكر  
قلت : ثم من ؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان .

قلت : ثم أنت . قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين .

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما  
فقال للسائل : علي الخبير سقطت ، كانا والله إمامي هدى ، هاديين مهديين .  
راشدين مرشدين ، مصلحين منجحين ، خرجا من الدنيا خبيصين .

وقال : جعل الله أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما إلى يوم القيامة ، سبقا  
والله سبقاً بعيداً ، وأتعبا من بعدهما إتعباً شديداً .

وبينما كان علي ذات يوم يقضي في الكوفة ، إذ قال رجل : يا خير الناس انظر  
في أمري ، فوالله ما رأيت أحداً هو خير منك . قال : قدموه ، فقدم ، فقال له :

(١) ابن الجوزي : ١٦٤

هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: هل رأيت أبا بكر وعمر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني أنك رأيت رسول الله ﷺ لضربت عنقك، ولو أخبرتني أنك رأيت أبا بكر وعمر لأوجعتك ضرباً.

وكان علي رضي الله عنه يقول إذا ذكر عنده أبو بكر: السياق، والذي نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير، إلا سبقنا إليه أبو بكر.

وجاء رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر، وأنت أسبق منه سابقاً؟ فقال علي: سبقني أبو بكر إلى أربع لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء، سبقني إلى إنشاء الإسلام، وقدم الحجر، ومصاحبة النبي في الغار، وإتمام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب، يظهر الإسلام وأخيه، ونسحقني قريش وتستوفيه. والله لو أن أبا بكر زال عن مرتته، ما بلغ الدين العربيين، ولكان الناس كرهة ككرهه طالوت، ويملك إن الله ذم الناس، ومدح أبا بكر فقال: إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فرحة الله على أبي بكر.

وفي العهد الأموي والعباسي الأول كان بنو هاشم موضع الاحترام والتقدير سواء من كان ينتمي منهم للعباس رضي الله عنه أم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان هذا الاحترام عاماً على كافة المستويات، سواء أكانت الأوساط الشعبية أم الرسمية، فكان الخلفاء إذا دخل أحد الهاشميين أوسع له الخليفة مجانبه، وأجله بالمكان المناسب له، وأوصله بالأعطيات، بل كان موقف المأمون يزيد على غيره في هذا الأمر، فقد جعل كبير الطالبين علي الرضا ولياً لعهد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على موضع التقدير لحؤلاء الأئمة من الطالبين، إذ كانوا بالفعل أئمة علم وهدى ومكانة وتقوى، وكانوا يعطون حقه اللائق بهم. واستمر هذا حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري

عندما قامت الادعاءات في النسب العاليي، وقامت الحركات الباطنية من قرامطة وزنج وعبيدية، كلها تدعي الانتباه إلى علي رضي الله عنه وما هي كذلك، وابتدأت تعمل على تهديم الحكم وتقويض أركان المجتمع الاسلامي، وفي الوقت نفسه قامت حركات تدعي الزهد والتصوف، وتعمل على إمانته روح الجهاد حتى لا يستطيع المسلمون مقاومة الحركات الهدامة، ويمكن أن نلاحظ الصلة بين هذه الحركات في العصبية، إذ كلها تعود إلى الأصل الفارسي المجوسي، وفي الأفكار، كلها تحمل فكرة التناسخ والحلول، وفي الأهواء كلها تعمل على إرواء الغرائز والشهوات تارة بالاباحية الظاهرة وأخرى بالمستورة. ومنذ ذلك الوقت بدأت تنفجر الزاوية ويتعد فضلعها بعضها عن بعض، يحمل الأول الفرق التي تدعي الشيع، ويعمل الثاني الاسلام ويعرف بأهل السنة، وبدأت تظهر الأفكار الغربية عن الاسلام وعن النبي الصافي، أما الذين يرون مناصرة سيدنا علي رضي الله عنه، ولم تدخل إلى أفكارهم شوائب وآراء غريبة مخالفة، فهم من المسلمين بغض النظر عما يحملون من اسم، وأما الفرق التي قامت على أفكار وعقائد دخيلة فقد ابتعدت عن الاسلام بغض النظر عما تدعيه من انتهاء أو تشيع.

أما ما يقال عن المآسي والنكبات التي لحقت بآل البيت خلال العهدين الأموي والعباسي فإن الأمر لا يقتصر على آل البيت فقط، وإنما نالت المصائب جميع الطامعين بالسلطة والثائرين من الناس جميعاً، سواء أكانوا من آل البيت أم من غيرهم، فإذا كان الحسين بن علي رضي الله عنها من آل البيت فإن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنها من غيرهم، وإذا كان زيد بن علي بن الحسين من آل البيت فإن عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق من بني أمية بالذات. هذا في عهد الأمويين، أما في عهد العباسيين فإن المنصور قد قاتل محمد ذا النفس الزكية وأخاه إبراهيم ولكنه في الوقت نفسه قد حارب عمه عبدالله بن علي وقضى عليه، وقتل أبا مسلم الخراساني، فالأمر إذن لا يتعلق بآل البيت

وحدهم، وإنما بكل نائر منها كان نسبة ومهما كانت عصبية، إنه الحكم الذي  
غدا غاية تراق من أجله الدماء، ويقاقل في سبيله الأهل والولد. أما الذين لا  
يثوروا من آل البيت فإن مكانتهم محفوظة، ومركزهم معروف لا يستطيع  
إنسان مها علا شأنه أن يضع منه شيئاً، فعلى زين العابدين بن الحسين ومحمد  
الباقر وجعفر الصادق وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن  
العسكري، ومن قبلهم الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخوه محمد بن الحنفية بن  
علي لم يتعرض أحدهم لشيء، وإن حدث فأمر موقت يتعلق بالدعاية ضدّهم،  
أو المعلومات التي يحصل عليها الخليفة أو الوالي من قبل بعض المغرضين، ثم لم  
يلت أن يعفو عنه، ويعتذر إليه، وتقدم له الأعطيات.

فالمآسي والنكبات التي يعظم من أمرها بالنسبة إلى آل البيت لحصول الفرقة  
بين صفوف المسلمين، إنما هي تشبه ما أصاب غيرهم، ولم تكن هناك فروق في  
الأفكار والعقائد أهدأ، وإنما أوجدها المغرضون قها بعد، وقبل ذلك المتأخرون  
الذين لم يدققوا الأمر بشكل صحيح.

## الخلافة والبيعة

الخلافة هي استخلاف أحد المسلمين لحكم الناس حسب منهج الله سبحانه وتعالى وهو ما ارتضاه لعباده المؤمنين، وهو أمر ضروري لاستقامة الحياة وإن مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، ولكي يكون القانون مادة لإصلاح وإسعاد البشر فإنه يحتاج إلى السلطة التنفيذية، لذا فإن الله عز وجل قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين حكومة وجهاز تنفيذ وإدارة. الرسول الأعظم ﷺ كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الاسلامي. وإضافة إلى مهام التبليغ والبيان وتفصيل الأحكام والأنظمة، كان قد اهتم بتنفيذها، حتى أخرج دولة الاسلام إلى حيز الوجود، في حينه كان الرسول الأعظم ﷺ لا يكفي بتشريع القانون الجنائي مثلاً بل كان يسعى، إلى تنفيذه، كان يقطع اليد، ويجلد، ويرجم، ومن بعد رسول الله كانت مهام الخليفة لا تقل عن مهام الرسول ﷺ. ولم يكن تعيين الخليفة لبيان الأحكام فحسب، وإنما لتنفيذها أيضاً. وهذا الهدف هو الذي أضفى على الخلافة أهمية وشأناً.

ويشعر الخليفة بأنه مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى عن كل شيء في هذا المجتمع، وما يحدث منه من تقصير محاسب عنه يوم القيامة. لذا كان خوفه

شديداً من الله، الأمر الذي جعل الحاكم يعمل ليلاً ونهاراً على خدمة الناس  
بتفقد أحوالهم في كل ساعة في السوق وخارج المدينة وداخل الأريقة .

ولقد كان الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه يسمى خليفة رسول الله  
ﷺ ، على اعتبار أن رسول الله كان هو المكلف من الله جل شأنه بتنفيذ  
أحكام الله، وحاول كل خليفة بعده أن يقال له خليفة خليفة . . . رسول الله،  
إلا أن كثرة تكرار كلمة خليفة جعلت الأمر يقتصر على كلمة الخليفة، ومنذ  
أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبح يعمل أيضاً لقب أمير  
المؤمنين .

وكان الخليفة إما أن يستشير أهل الحل والعقد قبل موته فيمن يخلفه كما  
فعل أبو بكر الصديق، أو يعين من أهل الحل والعقد أناساً يختارون بعده من  
بينهم رجلاً ممن يرضون عنه أو يرتضون، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله  
عنه، أو أنهم يلتقون بعد وفاة الخليفة ليختاروا خلفاً له كما حدث بعد مقتل  
عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذ اختار أهل الحل والعقد سيدنا علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه .

ولا تكون الخلافة في أسرة واحدة، مهما كان نوعها ومركزها، وسواء  
أكانت من آل البيت أم من غيرهم، فالحكم الوراثي غير متعارف عليه في  
الاسلام، والصلاح ليس بالنسب، والأحقية ليست بالقرابة وإنما بالعمل  
الصالح، والأفضلية بالتقوى، وعندما قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن  
يختار من بعده ابنه عبدالله، أو قال له المغيرة بن شعبة: أدلك عليه، عبدالله بن  
عمر، فقال: قاتلك الله! والله ما أردت الله بهذا، لا أرب لنا في أموركم، وما  
حدثها لأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان  
شراً فيحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد  
ﷺ، أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا



أجر إن سعيد . ولقد نال بنو أمية ما نالوا من النقد بسبب عهد بعضهم إلى بعض بالخلافة وترك الشورى ، إلا أن ذلك لا يعني أن غيرهم من الأسر أولي منهم كما ادعى بعض أنصار سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وجوب الخلافة في آل البيت ، وأن الأمر عندهم في النهاية إلى القول بإمامة بعضهم بالنص ، وذلك عندما لم يحصلوا على ما يفتنون .

ومع أن الفقهاء قد وضعوا شروطاً للخلافة، إلا أنها تبقى أموراً عامة فيمن يمكن أن يكون خليفة للمسلمين، وقد نصوا على أن تتوفر في الخليفة شروط الإسلام والذكورة والرشد والعدالة، واختلفوا في النسب القرشي . وقد اعتبر الإسلام شرطاً لأنه لا يمكنه أن يتولى إنسان أمراً لا يعتقد بصلاحيته نظامه ، إذ كيف يتولى أمر المسلمين رجل من غيرهم لا يؤمن بصلاحيته النظام الإسلامي ، وهو يريد أن يطبقه . ويعاقب من يخالفه ، وكذا الأمر ضروري بالنسبة إلى الذكورة ، إذ أن المرأة كثيرة العاطفة ضعيفة البنية غالباً ، لا تستطيع القيام ببعض المهام المترتبة على صاحب هذا المنصب كإمامة الصلاة ، وقيادة الجيوش ، وإقامة الحدود .

أما بالنسبة إلى العدالة فقد يختلف الناس في بعض الأفراد أيهم أكثر عدالة ، إذ لا يوجد مقياس محدود بالنسبة لها ، وقد يوجد جماعة من الناس كلهم عدول وخاصة بين الصحابة الذين نتحدث عنهم ، لهذا قد يرى أناس أن فلاناً له أفضلية على فلان ، ويرى غيرهم غير ذلك ، ومن هنا كانت تصح إمامة المفضل مع وجود الفاضل ، فليس من الضروري أن يكون الخليفة أفضل الناس ، فقد يساويه عدد ، أو قد يفوقه بعضهم ، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم . . . ومع أنه الأفضل إلا أن ذلك يدل على جواز وجود من هو أفضل منه . ومع وجود الأفضل إلا أن الخلافة صحيحة والطاعة له واجبة . أما الرشد فإنه بالامكان الموافقة على البيعة لشاب بلغ سن الرشد ، وأمامته صحيحة ، إلا أن النفس البشرية تنظر بوقار

إلى الرجل الكبير السن، المليئة حياته بالتجارب، وعندما ولي رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قيادة الجيش المكلف بالسير إلى الشمال لملاقاة الروم، وافق المسلمون، ولا يمكنهم إلا أن يوافقوا، فرسولهم الكريم صاحب الأمر بذلك، وهو أولى بهم من أنفسهم، ولكن بعضهم مع الموافقة لم يتمكن من السكوت فأعطي رأيه أن في الجيش من هم أقدر من أسامة، إذ في الجيش أمثال عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما، وقيل رسول الله ﷺ تشريع، وفيه دلالة على جواز إمارة الراشد وفي الجيش من هو أقدر وأكفأ من القائد. وهذا الأمر هو الذي جعل النفوس تنجس إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي جاوز الستين من العمر، ولم تنجس إلى غيره من كبار الصحابة الذين يشار إليهم بالبنان كعلي والزبير وسعد رضي الله عنهم، إذ لم تكن سنهم تتجاوز الثلاثين كثيراً، بل هم لا يحظر على بالهم الخلافة والبيعة.

والخلافة واجبة شرعاً وعقلاً، فالمسلمون لا بد لهم من حاكم يرعى أمورهم، ويتولى إدارة شؤون دولتهم، والخلافة هي الدولة الإسلامية، فكما لا تصور مجتمعاً منظماً دون دولة، وكذلك لا تصور مجتمعاً إسلامياً يؤدي دوره في الحياة دون خلافة، وإذا انعدمت الدولة انقلب المجتمع إلى فوضى، واختل النظام، وساد الفساد، وعمت الجرائم، وأكل بعض الناس بعضاً، وبانعدام الخلافة تصبح ديار المسلمين نهياً، وتسود شريعة الغاب، حتى تسيطر قوانين الكفر عليهم كما حدث بعد زوال الخلافة.

وتنقصد البيعة في الإسلام للخليفة من قبل أهل الحل والعقد وهم رجال العدالة والعلم والتقوى، ومن الولاة وهم في الأصل من المجموعة الأولى، إذ أن شروط الخلافة تنطبق على شروط الولاية، ومن حول الولاة من رجالات العدالة الذين يستشيرونهم، أو أهل الحل والعقد بالنسبة إلى الولاية، ويأخذ الولاة منهم البيعة للخليفة. وكانت المدينة المنورة في عهد الخلفاء الراشدين مركز تجمع أهل الحل والعقد إذ تضم أكبر عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ويضاف إليهم الولاة الذين كانوا من الصحابة كذلك .

ولم تكن البيعة من قبل الناس جميعاً كما يحدث في العصر الحالي ، وإنما الأمر على أهل الحل والعقد فقط ، وإن جرت العادة أن يبايع أكثر الناس ، ولكن لم يكن لؤوبه لبيعتهم ، وإنما ينظر إلى رجالات الاسلام المعروفة ، وليس من الشرط أن تتم البيعة حتى يبايع أهل الحل والعقد جميعاً ، وإنما يكفي أكثرهم ، وهم تعتقد البيعة ، ولذا فإن تخلف عدد قليل من الصحابة ليس معنى ذلك أن البيعة لم تتم ، وإن اهتم الخلفاء بهذا الأمر فهذا دلالة على حب معرفة وضع الخلفاء لأنفسهم وسماح رأي الصحابة فيهم ورجالات الاسلام بوضعهم .

ولما كانت البيعة تتم برأي أهل الحل والعقد ، فالإسلام لا يعرف الانتخابات التي شاعت في وقت متأخر ، وذلك لأن النتائج تعطي دائماً لجانب ومصالحه الحاكم أو حسب رأيه مهما كان نوعه كما تسرى في هذا الأيام ، ومن هنا اتخذ المسؤولون طريقة جديدة اسموها الاستفتاء ، وهي نوع من الألعاب لإضفاء الصفة الشرعية على الوضع . والناس في الاستفتاء يؤيدون المرشح أو يعارضونه ، ويصوتون إلى جانب مشروعات الرئيس أو يخالفونها ، وما كان الاستفتاء في يوم من الأيام ليقدّم نتائج نقل عن ٩٦٪ لمصلحة ما يريده الحاكم ، دلالة على أن المجتمع الذي يضم صوراً متعددة من فئات الشعب لا يمكن أن يقف بجانب المصلحة لعدم معرفتها ، أو بجانب الحق لجهله به ، وإنما يقف بجانب المسؤول الذي يزين له آراءه أو يخفيها بسوطة المصمت ، وفي غير الاستفتاء من الانتخابات يكون الرعاع - وهم أكثر المجتمعات اليوم مع الأسف - دائماً بجانب المال أو الأهواء ، فتعطي الأصوات لمصلحة الذي يقدم أكثر أو يستطيع الدعاية بصورة أفضل بما يبذل ، إذ أن الرعاع تنطلي عليهم حيل الدهاة والمحتكين الذين يمارسون ألعيبهم يوماً على الناس ، ومن صور هذه الانتخابات حادثة تروى : جاءت فتاة عامية إلى صندوق الاقتراع ، فقدم لها أصحاب الدعاية لأحد المرشحين اسم مرشحهم وصورته ، فلم تعجبها الصورة ،

فأعطوها صورة مرشح آخر حيلة، وقالوا لها هذا فلان، فأبدت الصورة  
وصوتت إلى جانب الأسم، ونجح أصحاب دعاية المرشح لبساطة المشقة  
ولمعرفة أنواع المكر والدهاء، وهذا الأمر شائع في الانتخابات، وبصورة عامة  
كلما كان الشعب على حجة من الجهل قدم أناساً لتمثيله لا يستطيعون أن  
يفعلوا شيئاً للخدمة، أو ساروا وراء عواطفهم وشهواتهم ومصالحهم. وعندما  
تكون الدولة غافلة وتريد أن تسبى بالوضع تحرض أن يكون ممثلو الشعب على  
مسوى أقل من الوعي والفكر والخوف من الله، أو من أصحاب المصالح  
والأطباع وذلك حتى تستطيع أن تفعل ما تشاء وتأخذ التأييد سلفاً من سقوا  
على الشعب وهم الذين يحرصون على وضعهم ومصالحهم. ومن هذا فالإسلام  
يكفي بأخذ البيعة من أهل الحل والعقد الذين يوجدون في كل أنحاء البلاد، يعرفهم  
الولادة، ويعرفهم المحض الذي بشر إليهم، فيكونون من أهل الإشارة وإبداء  
الرأي، ولديهم من الخوف من الله ما يمنعهم أن يتكلموا غير الحق، ويكونون  
نعمة لله ولرسوله وللمؤمنين.

البَابُ الْأَوَّلُ  
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

### حياته في الجاهلية

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، يُلقب بالعتيق، ويكنى بأبي بكر، ويُعرف بالصديق، يلقب أبوه عثمان بأبي قحافة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر من بني تيم أيضاً، وهي ابنة عم أبيه. وبنو تيم أحد بطون قريش الاثني عشر، وليست هي من البطون القوية المعروفة كبنو عبد مناف وبني مخزوم.

ولد في السنة الحادية والخمسين قبل الهجرة، وهو بذلك يكون أصغر من رسول الله ﷺ بمقدود سنتين وبضعة أشهر.

تزوج أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية امرأتين وهما: قتيلة بنت عبد العزى، وأولدها عبدالله، وأسما، وتزوج أم رومان بنت عامر الكنانية، وأنجبت له عبدالرحمن، وعائشة.

كان من وجهاء قريش وأشرفهم وأحد رؤسائهم، وذلك أن الشرف في قريش قد انتهى قبل ظهور الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن. فالعباس ابن عبدالمطلب من بني هاشم، وكان يستقي الحجيج في الجاهلية، وبقي له ذلك في الإسلام. وأبو سفيان بن حرب من بني أمية، وكان عنده العقاب راية قريش، فإذا لم تجتمع قريش على واحد رأسه هو وقدموه. والحارث عامر من بني نوفل، وكانت إليه الرقادة، وهي ما تخرجه قريش من أموالها، وترقد به

منقطع الحاج . وعثمان بن طلحة من بني عبدالدار ، وكانت إليه السدانة والحجابة . ويزيد بن زمعة بن الأسود من بني أسد ، وكانت إليه المشورة فلا تجمع قريش على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافق ولاهم عليه ، وإلا تخبر وكانوا له أحوالاً . وأبو بكر الصديق من بني نيم وكانت إليه الأشناق وهي الدييات والمغارم ، فكان إذا حل شيئاً قسأل فيه قريشاً صدقوه ، وامضوا حالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه . وخالد بن الوليد من بني مخزوم ، وكانت إليه القبة والأعنة ، أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجتمعون إليها ما يجهزون به الجيش ، وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . وعمر ابن الخطاب من بني عدي ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية . وصفوان بن أمية من بني جحج ، وكانت إليه الأزام . والحارث بن قيس من بني سهم ، وكانت إليه الحكومة وأموال أمتهم .

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نسابة قريش ، يقول ابن هشام في السيرة النبوية : كان أبو بكر رضي الله عنه أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاركاً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قريش يأتونه وبالقونه ، لغير واحد من الأمر : لعلمه وتجارته وحسن مجالسته .

وكان تاجراً يرتحل إلى البلاد ، ودخل بصرى الشام ، وكان مع أبي طالب في قافلته إلى الشام ، وكان رأسه جيداً ، كريماً ، فكان ينفق من ماله في كرمه ، وعلى أصدقائه ، إذ كانت قريش تحبه ، ويستشير به رجالها .

حرم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يشربها قط لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، وذلك أنه مرّ وهو في الجاهلية برجل سكران يضع يده في العذرة يدينها من فيه ، فإذا وجد ريحها صدف عنها ، فحرمها أبو بكر على نفسه . وأخرج أبو نعم بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لقد كان حرم

أبو بكر الحنبري على نفسه في الجاهلية<sup>(١)</sup> .  
وأخرج ابن عامر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : والله ما  
قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب  
الخير في الجاهلية<sup>(٢)</sup> .

ولقد روي له ثلاثة أبيات من الشعر منها :

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وبوشت المها العينا<sup>(٣)</sup>

ولم يسجد أبو بكر كذلك لصم قط ، قال أبو بكر رضي الله عنه في مجمع  
من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما سجدت لصم قط ، وذلك أني لما تاهزت  
الحلم أخذني أبو تحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام ، فقال لي :  
هذه آفتك الشتم العوالي ، وخلاتي وذهب ، قدنوت من الصم وقلت : إني جائع  
فأطعمني فلم يجبني ، فقلت : إني عار فاكسي فلم يجبي ، فألقيت عليه صخرة  
فخر لوجه<sup>(٤)</sup> .

وكان خدناً للنبي ﷺ وصفياء له قبل البعثة . وكان معه حين ذهب مع  
عمه إلى الشام واجتمع ببحيرا الراهب . وكان النبي ﷺ في بدء الوحي إذا  
برز سمع من يناديه : يا محمد ! فإذا سمع الصوت انطلق هارباً ، فأسر ذلك إلى  
أبي بكر ، وكان نديماً له في الجاهلية .

وعلى الرغم من شهرة أبي بكر في الجاهلية بين أفراد قبيلة قريش وبين  
غيرها إلا أن تاريخه في تلك المرحلة غير معروف بدقة ، وكل ما يعلم أنه كان  
تاجراً نساباً تألفه قريش ، صديقاً لمحمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة

(١) تاريخ الخلفاء : السيوطي .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٣) شذوذ الذهب : ابن هشام .

(٤) أبو بكر الصديق : علي الطنطاوي .



والسلام، وهو بذلك مثل معظم رجالات ذلك الزمن، إلا أن دخولك في الإسلام وسبقه في ذلك قد رفعه عن سواه، وكان الشخص التالي بعد رسول الله ﷺ. وإذا كان الإسلام قد رفع كل من اهتفه إلا أنه قد جعل بعضهم دون بعض حسب سبقه وإخلاصه وتقواه ونصيحته، وكل هذا ما امتاز به أبو بكر رضي الله عنه.

وقال ﷺ لخديجة رضي الله عنها: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤذي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر - ولم يكن رسول الله ﷺ هناك - ذكرت له حديثه وقالت: يا عتيق! انهب مع محمد إلى ورقة. أما صفاته فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين، أجناً (منحنيماً) لا يستملك إزراء، يسرخي عن حقويه (كشعبه) - والكشع عند الحاضرة - معروق الوجه، غائر العينين، نائي الجبهة، عاري الأشابع.

## حَيَاتُهُ فِي الْإِسْلَامِ

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صديق رسول الله ﷺ فما أن بعث محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام حتى آمن أبو بكر بدعوته . ويبدو أن إسلامه كان بسبب ما عرف من سلوكه وأخلاقه وأنه أهل لحمل الرسالة وذلك أثناء صداقته له ولقائه معه ، ثم بسبب ما سمع من الناس الذين كانوا يدعون أنهم على الحنفية دين أبينا ابراهيم عليه السلام ، وما ذكره الذين يدعون أنهم لهم علم بالكتاب بقرب ظهور نبي .

أخرج ابن عساکر عن عيسى بن يزيد ، قال : قال أبو بكر الصديق : كنت جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً ، فمر به أمية بن أبي الصلت ، فقال : كيف أصبحت يا باغي الخير ؟ قال : بخير ، قال : وهل وجدت ؟ قال لا ، فقال :

كلّ دين يوم القيامة إلا ما قضى الله في الحقيقة بور  
أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم ، قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك  
بنبي ينتظر ويبعث ، قال : فخرجت إلى ورقة بن نوفل ، وكان كثير النظر إلى  
السماء ، كثير هممة الصدر ، فاستوقفته ، ثم قصصت عليه الحديث ، فقال : نعم يا  
ابن أخي ، إنا أهل الكتب والعلوم ، إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب  
نسباً - ولي علم بالنسب ، وقومك أوسط العرب نسباً . قلت : يا عم وما يقول النبي ؟

قال: يقول ما قيل له، إلا أنه لا يظلم، ولا يُظلم، ولا يُظالم، فلما بعث رسول الله ﷺ أنت به وصدقته<sup>(١)</sup>.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: خرجت أريد اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ، فنزلت على شيخ من الأزدي عالم، قد قرأ الكتب، وعلم علماً كثيراً، فلما رأيته، قال: أحرمتي أنت؟ قلت نعم أنا من أهل الحرم. قال: وقريشي؟ قلت: نعم أنا من قريش. قال: وثيبي؟ قلت: نعم أنا عبدالله بن عثمان من نبي من مرة (فأخبره أنه سيكون صاحباً لنبي يبعث في الحرم، وذلك في خير طويل)<sup>(٢)</sup>.

وقال ربيعة بن كعب: كان إسلام أبي بكر شيبها بالوحي من السماء، وذلك أنه كان تاجراً في الشام فرأى رؤيا، فقصها على بصيرا الراهب<sup>(٣)</sup>، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها؟ قال: من قريش، قال: فأبي شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك، فإنه يبعث نبي من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسر ذلك أبو بكر في نفسه<sup>(٤)</sup>.

وبعث رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه صديقاً له، فلما بعث انطلق رجال قريش إلى أبي بكر، فقالوا: يا أبا بكر، إن صاحبك... قال: وما شأنه؟ قالوا: هو ذاك في المسجد يدعو إلى عبادة إله واحد، ويزعم أنه نبي، قال أبو بكر رضي الله عنه: وقال ذاك؟ قالوا: نعم. فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ، فطرق عليه الباب فاستخرجه، فلما ظهر له قال: يا أبا القاسم! ما الذي بلغني عنك؟ قال: وما بلغك عني يا أبا بكر؟ قال بلغني أنك تدعو إلى توحيد الله، وزعمت أنك رسول الله، قال يا أبا بكر، إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً،

(١) تاريخ الخلفاء: الحافظ جلال الدين السيوطي.

(٢) أبو بكر الصديق: علي الطنطاوي.

(٣) الراهب بصيرا: من كبار الذين عرفوا بالعلم في بلاد الشام آنذاك.

(٤) أبو بكر الصديق - علي الطنطاوي.

وجعلني في دعوة إبراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعاً، قال أبو بكر رضي الله عنه،  
والله ما حربت عليك كذباً، وإنك خلقت بالرسالة لعظم آياتك، وصلتك  
لرحمتك، وحسن فعالك، مذ يدك فإني مبايعك.

ويروى أنه قال له: يا محمد ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت في  
الشام، فعانقه وقتل بين عينيه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول  
الله (١).

وأخرج أبو نعيم وابن عساکر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ وما  
حكمت في الإسلام أحداً إلا أسى علي، وأرجعتي الكلام، إلا ابن أبي قحافة،  
فإني لم أكله في شيء إلا قبله واستقام عليه (٢).

وصحب أبو بكر رضي الله عنه النبي عليه الصلاة والسلام من حين أسلم إلى  
حين توفي، لم يفارقه سفراً ولا حضراً، إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام في  
الخروج فيه من حج وغزوة، وشهد معه المشاهد كلها، وهاجر معه، وترك عياله  
وأولاده رغبة في الله ورسوله ﷺ، وهو رقيقه في الغار، قال تعالى: ﴿ثاني اثنين  
إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾، وقام بنصر رسول الله  
ﷺ في غير موضع، وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم أحد ويوم حنين،  
وقد فر الناس (٣).

وكان رضي الله عنه من أشجع الناس، ثبت في المعارك كالجبال الرواسي لا  
يجيد خطوة عن رسول الله ﷺ بدافع عنه ويذود، ولذا لم تكن له تلك الحركة  
والصولة بين صفوف الأعداء كما يفعل بعض الصحابة أمثال حمزة بن عبدالمطلب

(١) الرياض النضرة.

(٢) تاريخ الخلفاء: السيوطي.

(٣) تاريخ الخلفاء: السيوطي.

وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبي دجانة رضي الله عنهم جميعاً . ومن هنا لم تظهر شهرته أمثالهم إذ يذكر الشجعان بعدد الذين يقتلونهم من الأعداء أو بأسروهم من الخصوم ، ويختلف عنهم أبو بكر رضي الله عنه إذ يبقى بجانب رسول الله ﷺ بدافع عنه بكل شجاعة ، وينتقى الضربات عنه .

وكان رضي الله عنه كريماً سخياً ، وقد انفق جل ماله في سبيل الله ورسوله ، وقد نزلت في حقه ﴿ وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾ . وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر » . فبكي أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ وقد كان ماله يوم أسلم أربعين ألف دينار أنفقا كلها على رسول الله ﷺ ، ولم يبق منها يوم الهجرة إلا خمسة آلاف .

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب ، قال : أمرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندي ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوماً - فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأنى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه في شيء أبداً .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه إلا أبا بكر ، فإن له عندنا بدأ بكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر .

ولقد أسلم عدد من كبار الصحابة على يد أبي بكر رضي الله عنه ومنهم : عثمان ابن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيدالله وذلك في بدء الدعوة ، بل كان هؤلاء من أول من أسلم ، ثم تبعهم عثمان بن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي .

وابتنى أبو بكر بنتاه داره مسجداً ، يصل فيه ويقرأ القرآن ، فيجتمع عليه الناس ، ويستمعون الى قراءته وصلاته وبكائه ، فكان ذلك سبباً في إسلام كثيرين .  
وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا مر على أحد من العبيد يعذب اشتراه من سادته ، واعتقه ابتغاء وجه ربه الأعلى . اشترى عامر بن قهيرة من سيده الطفيل بن عبد الله ابن الحارث ، واعتقه ، والطفيل ربيب أبي بكر إذ هو ابن زوجته أم رومان ، أي هو أخو عائشة رضي الله عنها لأُمها ، وكان عامر أحد السابقين للإسلام ، وقد عذب في سبيل الله ، وشهد بدرأً وأحدأً وقتل يوم بدر معونة .

واشترى أبو بكر رضي الله عنه بلال بن رباح ، وكان من قبل مولى لأمية بن خلف الجمحي الذي أذاقه العذاب المر ، وقد اشترى أبو بكر بلالا بخمسة أواق من الذهب ، وبعد أن اشتراه ، قال أمية بن خلف لأبي بكر : لو أبيت الا أوقية لبعناك ، فقال أبو بكر : لو أبيتم لإماتة أوقية لأخذته . وكان بلال رضي الله عنه صادق الإسلام ، مؤذناً لرسول الله ، شهد بدرأً والمشاهد كلها ، ومات بدمشق عام ٢٠ هـ رضي الله عنه ، أما أمية بن خلف فقد استمر على شركه ، وقتل يوم بدر كافراً .

واشترى أبو بكر رضي الله عنه زُبيرة ، وكانت أمة عمر بن الخطاب قبل أن يسلم ، وكان يعذبها ويضربها - وكانت قد أسلمت - وذهب بصرها من شدة الضرب ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت وهي لا تبصر : والله ما هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعيدها ، وربي قادر على أن يرد علي بصري ، فرد الله عليها بصرها تلك الليلة . فقالت قريش : هذا من سحر محمد ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها ، وكانت قريش تقول : لو كان خيراً ما سبقنا إليه زُبيرة . فأنزل الله عز وجل : وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه .

واشترى جارية كانت أمة في بني عدي ، قوم عمر بن الخطاب ، وقد أسلمت ،

فكان عمر بن الخطاب قبل اسلامه يعذبها ويضربها لتترك الاسلام، فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه وأعتقها.

واشترى أمة في بني عبد شمس، وكانت تسمى أم عبيس وأعتقها.

ولعل أبا بكر رضي الله عنه كان أكثر من دافع عن رسول الله ﷺ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما كان بعد وفاة أبي بلثينة أيام اجتمعت قريش تريد قتل رسول الله ﷺ، فلم يعنه يومئذ إلا أبو بكر. ولأبي بكر يومئذ صغيرتان، فأقبل بجادل هذا وبدفع هذا ويقول: «أنتقلون رجلاً أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم». والله إنه لرسول الله. وتقطعت في ذلك اليوم إحدى صغيرتي أبي بكر.

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي إلا وهما بديتان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طوي النهار: بكرة وعشيا. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض؛ وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع وعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نسائنا وأبنائنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم هدا رجلاً بكاء، لا يملك عنه إذ قرأ القرآن، والمزع ذلك أشراف قريش من المشركين،

فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا ، إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتس مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا ، فإنه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبنى إلا أن يعلن ، فله أن يرد إليك ذمتك ، فإننا قد كرهنا أن نخفرك ، ولستنا مقربين لأبي بكر الاستعلان ، فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر ، قال : قد علمت الذي عقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلى ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب التي خفرت في رجل عقدت له ، قال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله عز وجل ، والتي ﷺ يومئذ بمكة . واشتد أذى قريش على المسلمين في مكة ، وكانت بيعة العقبة الثانية بين رسول الله ﷺ وبعض أعيان أهل المدينة من الأنصار وذلك في الثاني عشر من شهر ذي الحجة في العام الذي سبق الهجرة ، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين : « قد رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتي ، لهاجر من هاجر من المسلمين إلى المدينة ، ورجع أكثر من كان منهم بأرض الحبشة إلى المدينة .

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة قائلاً لهم : إن الله جعل لكم إخواناً وداراً آمنون بها . فخرجوا أرسالاً ، وأقام النبي ﷺ ينتظر أن يؤذن له ، ولم يتخلف من المسلمين إلا من حبس أوقفن ، وتخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة ، فيقول له : فإني أرجو أن يؤذن لي . قال أبو بكر : وترجو ذلك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم . فحبس أبو بكر نفسه لصحبة رسول الله ﷺ ، وعلف ناقتين كانتا عنده ورق السم .

وجاء الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة مع هلال شهر ربيع الأول ، فأتى دار أبي بكر رضي الله عنه في الظهر على غير عادته ، إذ كان بأبي ذلك المنزل إما صباحاً وإما مساءً ، وأخبره بمجيء الإذن من السماء بالهجرة ، فقال أبو بكر : الصحبة بأبي أنت يا رسول الله ، قال : نعم ، فبكى أبو بكر من شدة الفرح وقال :



بأبي أنت يا رسول الله ، فخذ إحدى راحتي هاتين ، وقدم له أفضلها ، وقال : اركب بأبي أنت وأمي . فقال : إني لا اركب راحلة ليست لي . قال : فهي لك يا رسول الله ، قال : لا ، ولكن بالشمن الذي ابتعتها له ، قال : ابتعتها بكذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك . وعلى الرغم من الصلة القوية الصادقة بين رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعلى الرغم من أن أبا بكر قد وضع ماله تحت تصرف الدعوة ، وأنفق الأموال الكثيرة في سبيل ذلك ، إلا أن رسول الله ﷺ لم يرغب أن يعيش المسلم على إخوانه وهو قادر على العمل ، ولا الأمر على رحيمته وهو يستطيع الانتاج ، إن كل عمل يقوم به رسول الله إنما هو أسوة للمسلمين .

وسار رسول الله ﷺ وصديقه باتجاه غار ثور ، ووعدا دليلها عبدالله بن أريقط غار ثور بعد ثلاث ومعه راحلتاهما . وكان أبو بكر رضي الله عنه يمشي أثناء الطريق تارة أمام رسول الله ، وتارة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ، فقال له : ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا من فعلك ! قال : يا رسول الله : أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك .

ودخل أبو بكر رضي الله عنه الغار قبل رسول الله ﷺ ، فسوى أرضه ، ووجد فيه ثقباً ، فشق إزاره وسد تلك الثقب ، إلا أنه بقي اثنان منها ، ثم قال لرسول الله ﷺ : ادخل .

فدخل رسول الله ﷺ ، فجلس أبو بكر وقد سد الثقبين برجله ، وطلب من رسول الله أن يتام على رجله ، فوضع النبي رأسه في حجر أبي بكر ونام . فلذغت حشرة أبا بكر في رجله من الثقب ، فلم يتحرك مخافة أن يتأذى رسول الله أو يثني ، إلا أن الألم قد أبكاه وسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ ، فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال : لذغت فذاك أبي وأمي ، فتغل له رسول الله على مكان اللدغ فذهب عن أبي بكر ما يجيد من الألم .

وكان عبدالله بن أبي بكر يأتي إليها مساء فيبيت عندها، ويتركها قبل الفجر فيصبح في مكة كأنه نائم فيها، يسمع من قريش ويرجع إلى الغار بالأخبار مساء، ويأتي عامر بن فهيرة مساء باللبن من أظفار يرهاها، وهكذا ثلاثة أيام وفي صبيحة اليوم الثالث منها جاءها عبدالله بن أريقط يراحتها، وأتت أسماء بنت أبي بكر لها بالطعام، وسارا مع الدليل ومعها أيضاً عامر بن فهيرة. وامتنى كل بغيراً، وانطلقوا إلى المدينة.

وأصابت حتى المدينة أبا بكر حين نزل فيها، وعندما سأته عائشة رضي الله عنها عن صحته قال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وذكرت عائشة رضي الله عنها ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاحبها ومدنها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة.

وعندما رجع الدليل عبدالله بن أريقط من المدينة إلى مكة أخبر عبدالله بن أبي بكر بما كان وجود أبي بكر، فخرج عبدالله بعبال أبيه إليه، وصحبهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

ويوم بدر استشار رسول الله ﷺ أصحابه فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأجاد، ويوم كانت المعركة، كان رضي الله عنه شاهراً سيفه يذود عن رسول الله ﷺ. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً، وهو في جماعة من الناس: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس أبو بكر: لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، وقلنا: من يكون مع النبي ﷺ لئلا يصل إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد، إلا أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله ﷺ. وانتهت غزوة بدر بنصر مؤزر للمسلمين إذ قتلوا سبعين رجلاً من صنابد قريش، وأسروا مثلهم، واستشار رسول الله ﷺ أصحابه في شأن هؤلاء.

الأسرى، فقال أبو بكر: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الغدبة، فيكون ما أخذنا منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً.

ورأى عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم قتل الأسرى، وكان رسول الله ﷺ أن أخذ برأي أبي بكر، وأخذ الغدبة من المشركين. ولما كان الغد جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فوجده قاعداً مع أبي بكر يبكبان، فقال: يا رسول الله! أخبرني ما يبكيك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباكيت ليكاثمتكما. فقال رسول الله ﷺ: لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة (وأشار إلى شجرة قريبة). وأنزل الله تعالى ﴿ما كان لشيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾<sup>(١)</sup>.

وكان عبدالرحمن بن أبي بكر يوم بدر من المشركين، فقال مرة لأبيه بعد أن أسلم: لقد أهدفت لي يوم بدر، فطفت عنك ولم أقتلك. فقال: لكلك لو أهدفت لي لم أطف عنك. أي لم يكن أبو بكر رضي الله عنه لتأخذه عاطفة الأبوة فيعدل عن قتل ابنه، إنه الإسلام، وإن ابنه لشيء شركه، ولا يتفق الإسلام مع الشرك، ولن تكون مودة أبداً بين المسلمين والمشركين مهما كانت الصلات المادية في هذه الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...﴾<sup>(٢)</sup>.

وثبت أبو بكر رضي الله عنه ثبوت الجبال يوم أحد حول رسول الله ﷺ يدافع عنه. وكانت غزوة بني المصطلق، وكان فيها حديث الالفك الذي انفري فيه

(١) الانفال: ٦٧ - ٦٩.

(٢) المجادلة: ٢٢.

على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ثم جاءت براءتها . وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثانة<sup>(١)</sup> ، وكان من الذين اشتركوا في حديث الافك أو خاصوا فيه ، فقال أبو بكر : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفق بنفق بعد الذي قال لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ، فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾<sup>(٢)</sup> فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله إنني لأحب أن يغفر الله لي ، فأرجع إلى مسطح نفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

وشعر المسلمون ببعض الانقباض من صلح الحديبية ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يقول : أتيت النبي ﷺ يوم الحديبية فقلت : يا رسول الله أأنت نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرني . قلت : وأأنت كنت تمدننا أننا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : أو أخبرتك أنا تأتيه هذا العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به .

فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أيها الرجل إني رسول الله وليس يعصيه وهو ناصره ، فاستمسك بفرزه فوالله إنه على الحق . قلت : أوليس كان يمدننا أننا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : فأخبرك أنك تأتيه هذا العام ؟ قلت : لا . قال : فإنه آتية ومطوف به . فكانت

(١) مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، اسمه حرف ، ولقبه مسطح ، كان وأمه من المهاجرين الأولين ، مات أبوه وهو صغير فكفله أبو بكر لقراءة أمه عنه ، جلد في حادثة الافك ، وشهد صفين مع سيدنا علي ، ومات في ذلك العام ٣٧ هـ .

(٢) سورة النور : ٢٢ .

أجوبته رضي الله عنه تشبه إجابة رسول الله ﷺ .

وبعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني فزارة سنة سبع للهجرة بقيادة أبي بكر رضي الله عنه ، فوردت الماء ، وغنمت ، وسبت ، وعادت سالمة .

وفي غزوة تبوك ساعة العسرة كانت راية المسلمين بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ويوم حنين أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغنهم شيئاً ، وولوا مديبرين بعد أن كمن لهم الأعداء في شعاب الوادي ، وثبت حول رسول الله أبو بكر ، وعمر ، وعلي بن أبي طالب ، والعباس بن عبدالمطلب ، والفضل بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم جميعاً ، ثم تاب المسلمون إلى رشدهم واجتمعوا إلى رسول الله بعد نداء العباس بن عبدالمطلب ، ونصرهم الله ، وهزم المشركين .

وبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحج في السنة التاسعة للهجرة وذلك بعد الرجوع من غزوة تبوك بثلاثة أشهر تقريباً . وانطلق مع أبي بكر رضي الله عنه ثلاثمائة حاج ، وأرسل رسول الله ﷺ معه عشرين بدنة ، وساق أبو بكر نفسه خمس بدنات ، وبعد مسير الحاج أنزلت سورة براءة فأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أثره بأربعين آية من سورة براءة ، فقرأها على الناس يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر ويوم النفر الأول . وذلك بعد كلمات كان أبو بكر رضي الله عنه يخاطب بها الناس ويعلمهم مناسكهم .

وحدث خلاف بين بني عمرو بن عوف من الأوس كانوا يقيمون بالقرب من قباء ، فذهب رسول الله ﷺ ليصلح بينهم ، وأمر بلالا قيل ذهابه أن يقدم أبا بكر إذا حانت الصلاة ولم يرجع رسول الله ، وكان ذلك ، ورجع رسول الله فما دخل المسجد إلا وأبو بكر قد دخل في الصلاة ، فنه المسلمون أبا بكر فأشار رسول الله إلى أبي بكر أن يستمر ، إلا أن أبا بكر قد تراجع وتقدم رسول الله وأتم

الصلاة، فلما انتهت، قال رسول الله لأبي بكر، يا أبا بكر ما منعك إذا أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟ فقال أبو بكر: لم يكن لأم أبي تحافة أن يؤم رسول الله ﷺ، فقال للناس: إذا ناهكم في صلاتكم شيء فليسمع الرجال، وليصفق النساء.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس (قالت) فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيب (سريع الحزن والبكاء) وإنه متى يتم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، (قالت) فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيب وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. فقالت له، فقال رسول الله ﷺ: إنكن أنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس، (قالت) فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تحيطان في الأرض (قالت): فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حه فذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أقم مكانك، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً. يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر.

ولما انصرف الناس من هذه الصلاة، وهم يظنون أن رسول الله قد هوى من مرضه الذي هو فيه، وكذلك كان ظن أبي بكر الأمر الذي جعله يقول للنبي ﷺ: يا نبي الله! إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب، واليوم يوم حبيبة بنت خازجة أفأنتيها؟ قال: نعم.

ثم دخل رسول الله حجرتي، وخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى أهله بالسيح (في العالية).

ولم يلبث رسول الله ﷺ أن توفي من ليلته تلك، وجاء أبو بكر فنزل بهاب

المسجد، وقد بلغه الخبر، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحدث الناس، ويقول لهم: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وأنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجع رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. ولم يلتفت أبو بكر إلى ما في المسجد، ودخل إلى بيت رسول الله في حجرة عائشة رضي الله عنها، وكان مسجى في ناحية البيت عليه برد حرة، فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد دقتها، ثم لن بصيبك بعدها موتة أخرى. ثم رد الثوب على وجهه. ثم خرج إلى المسجد، وعمر بن الخطاب لا يزال يخاطب الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنت... ولكن عمر استمر في كلامه. فقال أبو بكر: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن الله قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾<sup>(١)</sup> فكان الناس كأنهم سمعوا هذه الآية لأول مرة، وكأنها ما نزلت على محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام.

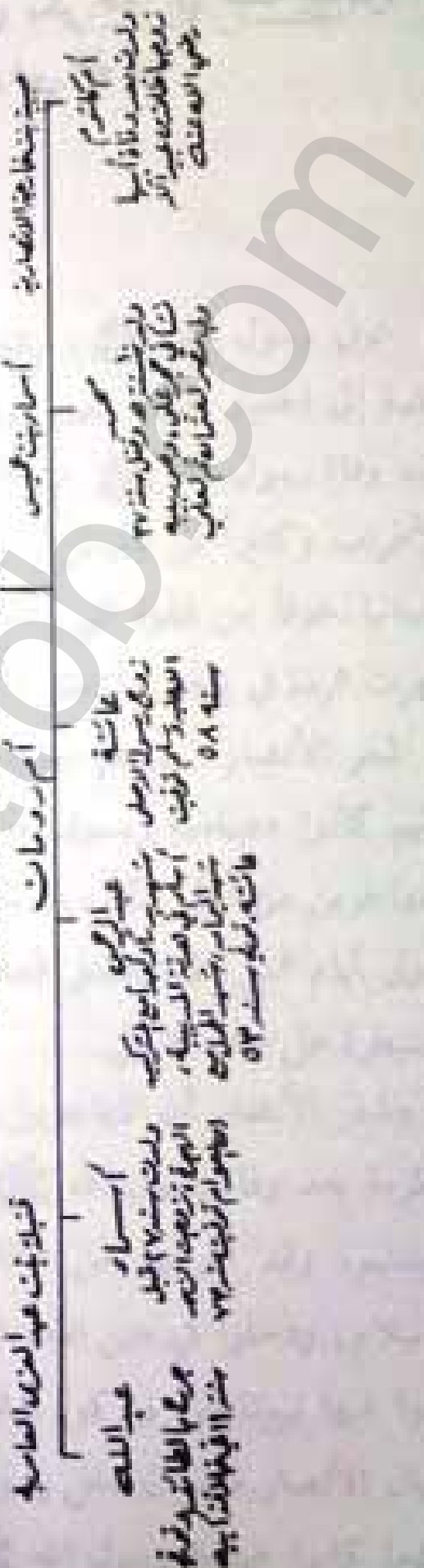
لقد انقطع الوحي، ومات رسول الله، ولم يعد الصحابة يرونه، ولم يعد المسلمون يتلقون التوجيه والإرشاد، وهذا ما جعل المسلمين يشعرون بصدمة كبيرة طاشت معها أحلامهم، وفقدوا صوابهم، الأمر الذي جعلهم يعتقدون أن رسول الله لم يموت، وهذا ما كان من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتزوج أبو بكر رضي الله عنه في الإسلام حبيبة بنت خازجة الأنصارية فأولدها أم كلثوم بعد وفاته، وتزوجها طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه.

(١) آل عمران، ١٤٤.

عبد الله  
 عبد الله  
 عبد الله  
 عبد الله  
 عبد الله  
 عبد الله

عثمان [أبو قحافة] أسلم يوم العقيق، وتوفي كلاً بمصر سنة ٢٧ هـ.  
 عبد الله [أبو بكر الصديق] أسلم في اليوم...





وتزوج أسماء بنت عيسى، وكانت قبله تحت جعفر بن أبي طالب رضي الله  
عنه، واستشهد عنها في غزوة مؤتة، وولدت لأبي بكر محمداً في السنة العاشرة  
 للهجرة، وبعد وفاته تزوج أسماء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

www.alkottob.com

## الفصل الثالث

### بَيْعَتُهُ

توفي رسول الله ﷺ ، وشعر الأنصار وهم أهل المدينة المنورة أنهم بحاجة ماسة إلى اختيار خليفة منهم يتولى شؤون المدينة وأمر المسلمين ، فمدينتهم مهددة بعد وفاة رسول الله ﷺ من الأعراب ورجال القبائل ، إذ يعرفون أن كثيراً من الأعراب وكثيراً من القبائل لم تؤمن ، ولم يدخل الإيمان في قلوبها ، وإنما أسلمت بلسانها خوفاً من القوة التي بلغت الدولة الإسلامية أيام رسول الله ﷺ ، وقد ظهرت الردة في بعض المناطق قبل وفاة رسول الله ﷺ .

شعر الأنصار أنهم هم مهددون قبل غيرهم من قبل الأعراب ورجال القبائل لأنهم كانوا دعامة رسول الله ﷺ ، وهم الذين نصره ، وفتحوا بيوتهم للمهاجرين من أهل مكة ، واستطاعوا مع المهاجرين أن يكونوا الدولة الإسلامية الأولى أيام النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، والتي تمكنت من إخضاع الأعراب والسيطرة على ديار القبائل .

وشعر الأنصار أن المهاجرين ربما تركوا المدينة ورجعوا إلى بلدتهم الأول مكة المكرمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وهم ما هاجروا بالأصل إلا من أجله وأجل عقيدتهم ، وقد خرجوا من مكة عندما كان سكانها على شركهم ، فلما دانوا بالإسلام ، ودخلوا في دين الله ، فمن المحتمل أن يعود المهاجرون إلى ديارهم وقد تركوا فيها بيوتاتهم ، وتركوا أملاكهم ، وغادروا أهلهم ، بل إن هذا قد خطر في بال الأنصار منذ أن دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً في السنة الثامنة للهجرة ، وعندما كانوا هم مع رسول الله ﷺ في ذلك الفتح ، وقد كلموا رسول الله عليه

أفضل الصلاة والسلام، وأجابه وذلك بعد توزيع غنائم هوازن وتقيف لي  
الجرانة بعد غزوة حنين ، لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش  
وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في  
أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه!!  
فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار  
قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا النبي الذي أصبت، قسمت في قومك  
وأعطيت عطايا عظيمة في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء،  
فقال: فأين أنت من ذلك يا سعد! قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي! قال: فاجمع  
في قومك في الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك  
الحظيرة، قال: فجاءه رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون  
فردهم، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال: قد اجتمع إليك هذا الحي من  
الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم  
قال: يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وموجدة وجدتموها في أنفسكم! ألم  
أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! أ  
قالوا: بلى، لله ورسوله المن والفضل! فقال: ألا تحببوني يا معشر الأنصار!  
قالوا: وماذا نحبيك يا رسول الله، لله ورسوله المن والفضل! قال: أما والله لو  
شتم لقتلتم فصدقتم، ولصدقتم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، ونخذولاً فنصرناك،  
وطريدا فأوينناك، وعائلاً فأسينناك، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة  
من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم! أفلا ترضون يا  
معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى  
رجالكم! فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو  
سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار! اللهم ارحم  
الأنصار وأبناء الأنصار!

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا<sup>(١)</sup>.

فيمكن إذن أن يعود المهاجرون بعد وفاة رسول الله ﷺ، لذا فإن الأنصار هم بالدرجة الأولى المسؤولون عن إيجاد خليفة لرسول الله ﷺ بغض النظر عن وجود المهاجرين، هذا الأمر هو الذي جعلهم يلتقون في سقيفة بني ساعدة وحدهم، ولم تعوزهم الشورى، فالخزرج هم أكثر الأنصار، وزعيمهم هو سعد بن عبادة وهو من كبار الصحابة، ومن الذين توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، لذا فقد اتفقوا على بيعته.

أما المهاجرون فقد كانوا أكثر بعداً عن هذا الموضوع، بعضهم قد شغل بوفاء رسول الله ﷺ ودفنه، وبعضهم لا تزال صدمة وفاة رسول الله ﷺ تملأ نفسه، وبعضهم لم يفكر في اختيار خليفة بعد، إذ أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يدمر بعد ولم يفكر بموضوع فيه، وهو آخر ما يمكن أن يقع في الاختلاف - حسب رأيه - . وبينما عدد من المهاجرين في بيت رسول الله ﷺ إذا برجل ينادي من وراء الجدار: اخرج إلي يا ابن الخطاب. فقال عمر: إليك عني فإننا هنك مشاغيل، فقال: إنه قد حدث أمر لا بد منك فيه: إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً يكون بيننا وبينهم فيه حرب. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من هؤلاء الأنصار. وأدركنا هنا رضي الله عنها قيمة وجود الخليفة لتسيير الأمور وشؤون الناس احتساباً لكل حادث. وسارا باتجاه سقيفة بني ساعدة فوجدوا أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فأخذاه معها، ووجدوا في طريقهم رجلين من الأنصار هما: عويم بن ساعدة<sup>(٢)</sup>، ومعن بن عدي<sup>(٣)</sup>، فسألوهما، فقالا: لا عليكم إلا تقربوهم يا معشر

(١) تاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام.

(٢) عويم بن ساعدة: من الأوس، حضر بيعة العقبة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ،

وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) معن بن عدي: حضر بيعة العقبة، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأخى رسول الله =

المهاجرين اتصوا أمرم بينكم ، فإن اتفقتم لها بينكم لن يكون خلاف بينكم وبين  
الأنصار . إلا أن المهاجرين قد تابعوا السير حتى وصلوا إلى سقيفة بني ساعدة .  
ومن هذا يبدو أنه لم يكن خلاف بين مهاجرين وأنصار ، وإنما دعت الضرورة إلى  
لقاء الأنصار كما ذكرنا .

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وقالوا : نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ  
سعد بن عباد ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه : إني  
لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكنك تلتق مني قولي  
فأسمعهم ، فكان بينكم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع صوته فيسمع أصحابه ،  
فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، لست لقبيلة من  
العرب : إن محمداً ﷺ ليش بضع عشرة سنة في قومه ، يدعو لهم إلى عبادة الرحمن ،  
وخلق الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، ما كانوا يقدرون  
على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم  
ضماً عموا به ، حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة ، وخصكم  
بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له  
ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقلهم على عدوه  
من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى العبد المقادة  
صاغراً داخراً ، حتى أغنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت له  
بأسياقكم العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قير العين . وهذا ما يدل  
أيضاً على أن الأنصار كانوا يعتقدون أنهم سيكونون هدف العرب الأمر الذي  
جعلهم يفكرون بمبايعة خليفة بشكل سريع .

وجاء المهاجرون ، والأنصار مجتمعون ، وجلس المهاجرون فقام خطيب

بينه وبين زيد بن الخطاب واستشهدا معاً في الهامة .

الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين حي منا، وقد دلت لنا دافة منكم، فإذا أنتم تريدون أن تحتزلونا من أصلنا، وتحضنوا الأمر من دوننا (وقد كان رسول الله ﷺ إذا استعمل رجلاً منكم، قرن معه رجلاً منا، فأرى أن يلي الأمر رجلاً من أحدنا منكم والأخر منا).

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلما قضى الأنصاري مقاله، أردت أن أتكم، وكنت قد زورت في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر، فلما أردت أن أتكم قال أبو بكر: على رسلك فكرهت أن أغضبه، ولقد كان أحلم مني وأدبر، فتكلم أبو بكر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني مما كنت قد زورت في نفسي إلا أتى بمثلاً أو أفضل منها في بديته، ولم يدع شيئاً أنزل في الأنصار أو ذكره رسول الله ﷺ إلا ذكره. فقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار، وما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم أهله. ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش. هم أوسط العرب داراً وأنساباً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيها شتم (وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة)، فوالله ما كرهت من مقاله غيره، ولأن أقدام فتضرب عنقي لا يكون في ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر مقاله قالت الأنصار: والله ما نخدم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا، ولا أرضى عندنا منكم، ولكن نشفق مما بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم، فإذا هلك اخترنا رجلاً من الأنصار فجعلناه مكانه، فإذا هلك اخترنا رجلاً من المهاجرين فجعلناه مكانه كذلك أبداً. وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي إن زاغ أن ينقض عليه الأنصاري، وأن يشفق الأنصاري إن زاغ أن ينقض عليه القرشي.

ويبدو من هذا أن الأنصار لما وجدوا أن المهاجرين باقون في المدينة، رأوا أن

الحق لهم، وأن الخلافة يجب أن تكون بينهم، ولكن أصبح في الأمر شيء من  
الحرجة، فإن بيعة سعد بن عباد قد تمت، والخليفة أنسى قريباً من القيام  
بواجبه، إلا أن الحق للمهاجرين الذين هم أول بالأمر، فإلخاً قد وقع، والتراجع  
أمر لا بد منه، وإن كان صعباً في حالة كهذه، إذ فيها استهتار بالخليفة المباح،  
وهو زعم الأنصار، إذ لا بد من أن يكون التراجع بشكل تدريجي، فالنفوس  
بشرية، ولا بد من معاملتها حسب الطبيعة التي فطرها الله عليها، إذن يجب أن  
تستمر المناقشة ويتراجع الأنصار بهدوء.

ثم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن سمع مقالة الأنصار: لا ينبغي  
هذا الأمر ولا يصلح إلا للرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلا به، ولن تعرف  
الإمارة إلا له، والله ما يخالفنا أحد إلا قتلناه.

ثم وقف الحباب بن المنذر الأنصاري<sup>(١)</sup> وكرر: منا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر بن الخطاب: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب  
أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت  
النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أي من العرب الحجة الظاهرة  
والسلطان المبين، من فآ ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا  
مُدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة.

وأصر الحباب بن المنذر على موقفه، ودعا الأنصار إلى التمسك بهذا الرأي.

فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>: يا معشر الأنصار! إنكم أول من

(١) الحباب بن المنذر: شهد بدرًا، وأشار على رسول الله ﷺ بالمكان المناسب للمعركة،  
فوافق رسول الله، وشهد المشاهد كلها، وأشار كذلك على رسول الله في حير بنصيب  
المكان الذي نزل به المسلمون، فوافقه أيضاً، لذا كان يعرف به (ذي الرأي) تولى رضي  
الله عنه في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه.

(٢) أبو عبيدة بن الجراح: عامر بن عبد الله الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد المشاهد =

نصر وأرد، فلا تكونوا أول من بدل وغير . فقام بشر بن سعد الأنصاري<sup>(١)</sup> رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضاه ربنا وطاعة نبينا، والكفاح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي الملة علينا بذلك . ألا إن محمداً ﷺ من قریش، وقومه أحق به وأولى، ولا يراني الله أنزعهم في هذا الأمر أبداً . فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم .

وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> : وأظهر ما يدعو إلى ترك الأنصار للأمر، والمبايعة للمهاجرين فأبدي ما يمكن عليه أن يحدث من خلاف بين الأوس والخزرج فيها إذا تسلمت الأنصار الأمر، لذا دعا إلى بيعة المهاجرين .

ودوى النسائي والحاكم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قال للأنصار يومذاك: أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر للصلاة ؟

قالوا: بلى .

قال: فأبكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله ﷺ ؟

قالوا: لا أحداً .

ثم قام زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> فقال: إن رسول الله ﷺ كان

---

= كلها مع رسول الله ﷺ ، وسواء رسول الله أمين الأمة، قاد فتوح الشام، وتولى عام ١٨ هـ بطاعون عمواس .

(١) بشر بن سعد الأنصاري الخزرجي، شهد بيعة العقبة الثانية، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وولاه رسول الله المدينة أثناء هجرة القضاء، استشهد عام ١٢ هـ في عين قسر وكان في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه .

(٢) أسيد بن حضير الأنصاري الأوسي، سيد الأوس، أحد نقباء العقبة، لم يحضر يوماً إذ لم يعلم أنه سيكون قتال، تولى عام ٢١ هـ في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٣) زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: ولد عام ١١ قبل الهجرة، كتب الوحي، وكتب لأبي بكر وعمر، تعلم السريانية أيام رسول الله ﷺ ، وكان عثمان رضي الله عنه يستعمله =



من المهاجرين، وإن الإمام إنما يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار  
رسول الله -

فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله من حي خيراً، وثبت قائلكم،  
أما والله لو قلت غير ذلك لما صالحناكم... ثم قال لعمر بن الخطاب: أيسر يدك  
يباع لك. فقال عمر: أنت أفضل مني. قال: أنت أقوى مني، فقال عمر: فإن  
قوتي لك مع فضلك. وقال عمر وأبو عبيدة: لا ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ  
أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله، وثاني اثنين،  
وأمرك رسول الله ﷺ حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق الناس بهذا  
الأمر.

وثب عمر فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنها، وقام أسيد بن حضير وبشر  
ابن سعد رضي الله عنها يستبقون لبياعوا، ووثب أهل السقيفة يتندرون البيعة،  
فلم يبق أحد لم يبيع في السقيفة سوى سعد بن عبادة رضي الله عنه، وماتته أن  
يباع سوى حراجة وضعه وصحة جسمه، ولكنه لم يتكلم بشيء.

وهذا يدل تمام الدلالة على أنه لم يكن هناك خلاف على البيعة بين المهاجرين  
والأنصار، وإنما وقع خطأ في سرعة الأنصار بسبب ما توقعوه. الأمر الذي أدى  
إلى المناقشة والتراجع البطيء، حرصاً على وضع سعد بن عبادة رضي الله عنه. كما  
أن اللقاء في سقيفة بني ساعدة لم يكن القصد منه الاستئثار بالخلافة من أجل  
المهاجرين أو الرغبة في الزعامة والوجاهة أو دعم فلان دون فلان، فلم يكن سعد  
ابن عبادة إلا صحابياً جليلاً له موضع الاحترام بين جميع الصحابة، ولكن كانت  
المصلحة العامة للمسلمين والاسلام لا غير، خوفاً على وضع المدينة وتسيير الأمور

على المدينة إذا خرج منها، وهو الذي جمع القرآن أيام أبي بكر، وكان له دوره وثقته لجنة  
الجميع أيام عثمان، توفي عام 10 هـ.

وإدارة الشؤون . وكان ذلك في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ في ١٢ ربيع  
الأول سنة ١١ هـ .

وفي اليوم الثاني من بيعة أبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة دعي إلى  
الصلاة ، ووقف أبو بكر على المنبر ، وقام عمر وتكلم بين يديه وقبله ، فقال بعد أن  
حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما  
كانت إلا عن رأيي ، وما وجدتها في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهداً عهدته إلى  
رسول الله ﷺ . ولكني كنت أرى رسول الله ﷺ سيدهر أمرنا حتى  
يكون آخرنا ، وإن الله قد أبى معكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن  
اعتصمتم به هداكم لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب  
رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار وأول الناس بأمركم فقوموا فبايعوا .  
فبايع الناس بيعة عامة بعد بيعة سقيفة بني ساعدة ، ثم تكلم أبو بكر رضي الله  
عنه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد أيها الناس ، فإنني قد وليت عليكم  
ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعبنوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ،  
والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله تعالى  
والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذت منه الحق إن شاء الله تعالى . لا يدع قوم  
الجهاد في سبيل الله إلا ضربه الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عنتهم  
الله باليأس ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة  
لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم بريحكم الله .

ولم يتخلف عن البيعة إلا الذين كانوا مشغولين بتجهيز رسول الله ﷺ ، فلما  
انتهوا من ذلك بايعوا ، ولم يتخلف منهم أحد ، سوى سعد بن عبادة رضي الله عنه  
الذي تأخر قليلاً من الوقت ، ثم بايع وخرج مجاهداً ، واستشهد في بلاد الشام بعد  
قليل من خروجه .

أما ما أشيع عن تحريض أبي سفيان لعل بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب  
رضي الله عنهما فهو أمر غير مقبول ، إذ لا يمكن أن يفعل هذا وهو من الطلقاء ،

ولا يمكن أن يقبلوا منه وهما على تلك الصورة من الإيمان، وعلى تلك الحالة من الوعي، ثم إن هذا الخبر لو صح لكان على أبي بكر وهو بوضعه أن يسأل أبا سفيان عن هذا التصرف الذي عليه أن ينشأ عنه خلاف وتفرق ويحدث بنتيجته خصام وقتال، ولما لم يحدث شيء من هذا فهو من عمل الرواة.

وما أشيع عن وصية رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو محض الاختراع وتلفيق، إذ أن وصية رسول الله للمؤمنين إنما هي من الدين الذي يجب ألا يجحد عنه أحد من المسلمين، فالخيدان عنه إنما هو اتهام للمسلمين كافة وطمع في إيمان صحابة رسول الله ﷺ جميعهم، فكيف يقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ترك هذه الوصية، وهو الذي لم يعرف عنه أنه توقف لحظة عن أمر رسول الله ﷺ؟ ثم كيف يقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السكوت عن هذه الوصية وهو الذي لا يخشى في الله لومة لائم؟ وإذا ذكر بعضهم أنه بايع في الظاهر، فمضى كان علي رضي الله عنه والصحابة أجمعين يظهرون غير ما يبطنون؟ ومعنى ذلك اتهامهم بالتفريق، ونعوذ بالله من هذا الكلام.

أما ما أشيع عن تأخر سيدنا علي رضي الله عنه في بيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى وفاة زوجته فاطمة رضي الله عنها، فهو افتراء أيضاً، فما كان علي ليفارق جماعة المسلمين مدة ستة أشهر، وهو الذي عرف بالإيمان، ودعا إلى وحدة القلوب، وأحسن بأخوة الإسلام منذ نعومة أظفاره، إلا أنه قد حدث شيء من جفوة بين الإمامين الجليلين والصحابين الكرامين، ولكن ليس بسبب الخلاف وإنما بسبب الإرث، إذ طلبت فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر حقها بإرث أبيها رسول الله ﷺ من فدية وسهمه في خير، فلم يقبل أبو بكر رضي الله عنه هذا الطلب، وأجابها بحديث والدها عليه أفضل الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة، ومع التسليم بهذا الحديث وفاطمة وعلى رضي الله عنها على علم بهذا، وهي من أهل العلم إلا أنه حدث شيء من جفوة، ولم تتعد ذلك، وكان علي رضي الله عنه يومذاك معتزلاً في البيت، لا يتردد كثيراً على أبي

بكر، ينصحه، ويستشير، وإن كان بجانبه في معضلات الأمور مثل الدفاع عن المدينة، وحرب المرتدين كما سئى، ولعل ذلك كان بسبب مرض زوجته فاطمة رضي الله عنها، إذ شغل بتعريضها حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وما يقال عن هجرانها لأبي بكر فهذا كلام من لم يعرف طبيعة الإسلام، فعني كانت النساء تتردد على الرجال أو يتردد الرجال على النساء، ثم إنها كانت مريضة لا تستطيع الخروج من بيتها، وأبو بكر كان مشغولاً بأعباء الخلافة، إذ كانت تلك الأيام من أحلك ما مر على الدولة الإسلامية<sup>(١)</sup> كما سئى -

(١) ملخص الموضوع أن الرواة مزجوا تأخير البيعة علي رضي الله عنه في موضوع ما حدث من جهاء، وذلك أن فاطمة بنت محمد ﷺ، ورضي الله عنها قد جاءت مع العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه إلى أبي بكر بطلب ميراثها من رسول الله ﷺ في غير وقتك فقال لها أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أما إلي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا فهو صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أرى أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعت. فحدثت الجفوة التي ألتها عنها، فلما توفيت فاطمة رضي الله عنها اجتمع عدد من بني هاشم عند علي رضي الله عنه وأرسلوا إلى أبي بكر أن يأتيهم، فجاؤهم، فقام علي رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه لم ينعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضلك ولا تقاساً عليك بغير سابقه الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا (ويقصد به الميراث)، ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقه، ولم يزل على يذكر ذلك حتى بكر أبو بكر.

فلما سكنت علي تشهد أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصلهم من قرابتي، وإني والله ما أتوبكم في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم على الخير، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال) وإني والله لا أذكر صنعه فيه إلا صنعت إن شاء الله، ثم قال علي رضي الله عنه: موعدهك للبيعة العشية، فلما صل أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر به، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إليه قبايعه، وأقبل الناس إلى علي رضي الله عنه فقالوا: أصبت وأحسنت.

ويبدو من هذا أن تأخر البيعة إن كان قد حدث فهي بسبب موضوع الميراث، ويبدو أن هذه البيعة قد حدثت مرة ثانية بعد البيعة العامة، وكانت بمثابة تأكيد. والاعتذار إنما كان على الجفوة وعدم التردد على دار أبي بكر رضي الله عنه.

إذن بايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس بن عبدالمطلب وبنو هاشم  
كافة يوم بايع الناس، ولم يخالف أحد علي أبي بكر لا من بني هاشم ولا من  
غيرهم. والقرآن الكريم لم يحدد نظاماً معيناً لاختيار الخلفاء، ولم يشر رسول الله  
ﷺ إلى مثل ذلك، وإنما اعتاد المسلمون أن يبايعوا رسول الله ﷺ على  
الاسلام، ولا يجوز لأحد من الطرفين المتبايعين أن ينتقض العهد سواء أكان من  
قبل الخليفة أم من قبل الرعية. والخلافة عهد بين الخليفة والمسلمين، يلزم الخليفة  
بموجب هذه البيعة نفسه العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والنصح  
للمسلمين، ويلزم المسلمون أنفسهم بموجب البيعة الطاعة للخليفة وتنفيذ أوامره.  
فإذا انحرف الخليفة عن سيرة الاسلامي بطلت طاعته، وعلى المسلمين مطالبته  
بالوفاء بما وعد فإن استقام انقضى والا اعتزل الخلافة، أو عزل من قبل أهل  
الحل والعقد (اطيعوني ما أطيعت الله ورسوله، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم).

أعماله وفتوحاته

على الرغم من قصر مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، إلا أنها كانت مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لانجازها ولترسيخ معاني الإسلام في قلوب أبنائه إلا أن تطبيقه العلمي وإصراره على ما اعتقد كل ذلك كان بدل على وعي تام بالإسلام، وعزيمة ثابتة راسخة كالجبال بالإيمان، وهذه الأمور هي التي رسخت دعائم الإسلام ووطدت أركانها، لذا يعد رضي الله عنه هو الذي أرسى الدعائم، وأثبت المفاهيم، وكان رضي الله عنه بعيد النظر في الأمور كلها، واسع الأفق.

كان كثير من الأعراب قد أسلم ولم يدخل الإيمان في قلبه، قال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يَنْفَقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمِ الدَّوَائِرَ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) التوبة: ٩٧ - ٩٨.



تعالى، ثم من حولكم من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة مردوا على  
النفاق لا تعلمهم، نحن نعلمهم، سنتلهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم<sup>(١)</sup>،  
فالنفاق كان أيام رسول الله ﷺ، والأعراب على رأس المنافقين، وقد أتى  
الله رسوله بهذا كما هو واضح في آيات كتاب الله. وهؤلاء سترتدون عن  
الإسلام عندما يجدون الفرصة المناسبة لهم، بل إن ظواهر الردة قد ظهرت في  
أيام رسول الله ﷺ إذ أتى الأسود العنسي في اليمن، وسيلعة الكذاب في  
الهامة، وطلحة الأسيدي في بني أسد في نجد أيضاً، إلا أنهم لم يجرؤوا إعلان  
ذلك ولو فعلوه لقاتلهم رسول الله ﷺ. فلما انتشر خبر وفاة رسول الله ﷺ  
أعلن هؤلاء ارتدادهم، وصرحوا بنبوتهم، ولبت الأمر اقتصر على ذلك بل إن  
أكثر قبائل العرب قد أظهرت نفاقها، وأعلنت عودتها إلى الجاهلية، ولم يسلم  
من ذلك سوى مدن: المدينة المنورة، ومكة المكرمة، والطائف، وما أن قام أبو  
بكر الصديق رضي الله عنه بالأمر حتى أرسلوا رسلهم إليه، يطلبون منه أن  
يعفيهم من الزكاة، وظنوا أنه سيوافق على ذلك، ما دام الأمر لا يشمل إلا  
جزءاً صغيراً ومادياً، ولم تكن الناحية المادية ليهم بها المسلمون ذلك الاهتمام  
الذي يجعلهم يقاتلون بسبب ذلك، ولم يعلموا أن الزكاة ركن من أركان  
الإسلام لا يمكن التساهل به أبداً، إذ أن التساهل به تلف للبدأ كله  
فالإسلام نظام متكامل لا يمكن أن يطبق جزء منه ويترك جزء، وقد انطبقت  
عليهم الآية الكريمة: وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله،  
وأيقنوا أن كثرتهم وقوتهم بجانب قلة وضعف جند المدينة يضطر أبا بكر  
للموافقة على مطلبهم، وبذلك يتخلصون من الزكاة التي يعدونها لجهلهم ضريبة  
ولكن ظنهم قد خاب، فأبو بكر رضي الله عنه كان أقوى في إيمانه من أن يجعل  
عقدة من عقد الإسلام، أو يسكت على انتهاك ركن من أركانه، ما دام فيه  
عرق بنفض. وأعلن أبو بكر رضي الله عنه أنه سيقاثلهم، وكان في الوقت

(١) التوبة: ١٠١.



نفسه قد أصر على إنقاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنها، وهنا كانت  
المعضلة الكبرى، وكانت قوة الصديق في إيمانه هي التي حلت المعضلة، وأهت  
المشكلة.

جيش أسامة بن زيد رضي الله عنها؛ وأسامة بن زيد بن حارثة، وأمه أم  
أمين بركة حاضنة رسول الله ﷺ، وأسامة حب رسول الله ﷺ وابن حبه.  
وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه قد استشهد في معركة مؤتة أميراً، فأراد  
رسول الله ﷺ أن يولي ابنه قيادة جيش يغزو تلك الجهات، وقد جهز رسول  
الله الجيش، وأمره أن تطأ خيله أرض البلقاء في جنوبي الأردن والداروم في  
جنوبي فلسطين بالقرب من غزة، فتجهز الناس وتعباً في جيش أسامة  
المهاجرون الأولون، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو آخر جيش  
جهزه رسول الله ﷺ، وبينما كان الجيش يستعد ويتجهز إذ مرض رسول الله  
مرضه الذي توفاه الله فيه، ولم يخرج آخر جندي من المدينة إلا والتحق رسول  
الله ﷺ بالرفيق الأعلى فتوقف أسامة بالجيش، فلما بويع أبو بكر رضي الله  
عنه بالخلافة، ومضى ثلاثة أيام على وفاة رسول الله ﷺ أمر أبو بكر الجيش  
بالحركة والسير إلى الجهة التي أمره رسول الله ﷺ، إذ نادى منادي أبي بكر،  
من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ، ليم بعث أسامة، ألا لا يبقين بالمدينة  
أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف<sup>(١)</sup>. وقام بالناس، فحمد  
الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وإني لا أدرى لعلكم  
ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين  
وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني،  
وإن زغتم فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة  
يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني

(١) الجرف: مكان في شمال المدينة على بعد ثلاثة أميال منها.

فاجتنبون، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه! فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فابتقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلموا آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغبرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجذء الجذء! والوحا الوحا، والنجاء النجاء! فإن وراءكم طالباً حثيثاً، أجلاً مره سريع. احذروا الموت، واعتبروا بالأهواء والابناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات<sup>(١)</sup>.

فقال أسامة لعمر بن الخطاب: أرجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه بأذن لي أن أرجع بالناس فإن معي وجوه الناس، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وكان المسلمون فعلاً قد أحسوا بالخطر من جراء استئثار النفاق في جزيرة العرب وردة القبائل عن الإسلام. وقال الأنصار: فإن أبي إلا أن يمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة. وما كانوا يعلمون أن أبغض شيء على أبي بكر أن يخالف أمراً من أوامر رسول الله ﷺ بها كانت الظروف ومنها كانت النتائج.

خرج عمر بن الخطاب بأمر أسامة وجاء إلى أبي بكر فأخبره بما قالوا عن أسامة، فقال أبو بكر، لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ! قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة، فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بلحية عمر، فقال له: نكلتك أمك وخدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمروني أن أزعجه! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال امضوا، نكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سبكم من خليفة رسول الله<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الطبري.

(٢) تاريخ الطبري.

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيخهم وهو ماشٍ وأسامة راكب، وعبدالرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأتزلن! فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة! حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل! فأذن له ثم قال: يا أيها الناس، قتلوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغفلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة، ولا تذبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تحرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصاب، فاخفقوهم بالسيف حنقاً، اندفعوا باسم الله، أفتاكم الله بالطعن والطاعون<sup>(١)</sup>.

ثم قال أبو بكر لأسامة: اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ، ابدأ ببلاد قضاة ثم إيت آبل<sup>(٢)</sup>. ولا تقصرون في شيء من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجبين لما حلفت عن عهده. فمضى أسامة مقدماً على ذي المروة والوادي، وانتهى إلى ما أمره به النبي ﷺ من بث الخيول في قبائل قضاة والغارة على آبل، فلم وغتم، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً<sup>(٣)</sup>. وفي إرسال جيش أسامة ما يدل على قوة إيمان أبي بكر رضي الله عنه

(١) تاريخ الطبري.

(٢) آبل: منطقة في جنوب بلاد الأردن اليوم.

(٣) تاريخ الطبري.

ومحاولة تنفيذه لما أوصى رسول الله ﷺ بها كانت النتائج، وهو يعتقد أن النتائج لا تكون إلا خيراً ما دام رسول الله قد أمر بذلك.

وفي إرسال هذا الجيش قوة معنوية كبيرة للمسلمين، وإضعاف وانسحاب لمعنويات المنافقين والمرتدين الذين شعروا أن لدى المسلمين على الأقل قوة معنوية كبيرة جداً، ولو لم يكن ذلك لما تم إرسال هذا الجيش إلى تلك المناطق الثابتة التي تقع على أطراف الجزيرة العربية وحتى خارج نطاقها أيضاً، ولم يحشوا أبداً ما يتهدد المدينة من الخارجين على حكمها، والذين يحيطون بها من كل جانب.

حروب الردة: لما تولى رسول الله ﷺ اتسع نطاق الردة ونجم التفاق في كل مكان إلا ما كان من المدينة ومكة والطائف والبحرين، ثم إن المناطق التي تقع إلى الشمال من المدينة، قد خاف أهلها بإرسال جيش أسامة، وقالوا: لو لم يكن للمسلمين من قوة لما أرسلوا مثل هذا الجيش، فلترك الأمر إلى قتالهم مع الروم، فإن انتصر الروم فقد كفتنا القتال، وإن انتصر أسامة فقد ثبت الإسلام، وهذا ما جعل الردة والتفاق لا تظهر في تلك البقاع.

وكان المرتدون فريقين، أولهما قد سار وراء المنتهين الكاذبين أمثال مسيلة وطلحة والأسود، وآمنوا بما يقول هؤلاء الكذابين، وثانيهما بقي على إيمانه بالله وشهادته بنبوته محمد ﷺ وأقام الصلاة، إلا أنه قد رفض تأدية الزكاة وعذرها ضريبة يدفعها مكرهاً، وقد أرسل هذا الفريق الثاني وقدماً إلى المدينة لمفاوضة خليفة رسول الله، وقد نزل على وجهاء الناس في المدينة، عدا العباس ابن عبدالمطلب رضي الله عنه، وقد وافق عدد من كبار المسلمين على قبول ما جاءت به رسل الفريق الثاني، وناقشوا في ذلك الأمر، أبا بكر، ومنهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن أي حذيفة، وغيرهم، إلا أن أبا بكر رضي الله عنه قد رفض منهم ذلك، وقال قولته المشهورة: «والله لو

منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه .

وقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: كيف نقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بجمته، وحسابه على الله. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً ألقايتهم على منعمهم. وهكذا رأى أبو بكر رضي الله عنه أن الإسلام كل لا يتجزأ وليس هناك من فرق بين فريضة وأخرى، والزكاة وإن كانت من النظام الاقتصادي، إلا أنها ركن من أركان الإسلام، وعبادة بحد ذاتها، ولا يمكن تطبيق جزء من الإسلام وإهمال آخر. ورأى الصحابة أن الأخذ باللين أفضل إذ زلزلت الأرض بالردة والنفاق.

وقال عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارتفق بهم، فأجابه أبو بكر: رجوت نصرتك وجنتي بخذلانك؟ أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أو ينقص وأنا حي؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ: إلا بحقها، ومن حقها الصلاة وإيتاء الزكاة، والله لو خذلي الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي.

وردة أبو بكر وقد المنافقين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، مسفهاً رأيهم، مصراً على رأيه في إجبارهم إلى الخضوع الصحيح للدين فعاد رجال الوفد إلى قبائلهم وأخبروهم بقتل عدد المسلمين - وكان جيش أسامة قد انطلق - وأطعموهم بغزو المدينة.

وكان أبو بكر رضي الله عنه عندما عاد إلى المدينة بعد أن شجع جيش أسامة قد جعل كبار الصحابة على منافذ المدينة إلى البادية، ومنهم علي بن أبي

طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص،  
وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، وطلب من أهل المدينة أن يكونوا  
في المسجد استعداداً لكل طارئ، وقال لهم: إن الأرض كافرة، وقد رأى  
وقدمهم قلة، وانكم لا تدرُونَ أليلاً تلتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على يزيد،  
وقد كان القوم يأملون أن تقبل منهم وتوادعهم، وقد آيينا عليهم، وثبتنا إليهم  
عهدهم، فاستعدوا وأعدوا.

كان أبو بكر رضي الله عنه يريد أن يؤخر قتال المنافقين المرتدين حتى  
يعود جيش أسامة، لذا كان يستقبل الرسل ويبعث بأخرين، إلا أنه في الوقت  
نفسه قد أحب بعض المنافقين أن يستغلوا الفرصة ويهاجموا المدينة قبل عودة  
الجيش الإسلامي من بلاد الروم، وقبل استكمال المسلمين لقوتهم. فلم تمض أيام  
ثلاثة على عودة أبي بكر إلى المدينة من تشييع أسامة حتى داهمت المدينة غارة  
ليلاً، وقد اطمأن المغبرون إلى أن الجيش الإسلامي قد ابتعد عن المدينة وأوغل  
في البعد.

وصلت الغارة إلى المدينة المنورة وقد خلقت وراءها قوة ردها لما في (ذي  
حجى)<sup>(١)</sup>، وعندما طرقت الغارة الأنقاب وجدت عليها المقاومة، ووراءهم  
أقوام أشبه بالمراسلين، فأوصلوا الخبر إلى أبي بكر في المسجد، فأرسل أبو  
بكر إلى المقاتلة عن الأنقاب أن اتبنوا، وصار بأهل المسجد إلى الأنقاب،  
فانهزم المغبرون وولوا الأدبار، ولحقهم المسلمون على إيلهم حتى (ذي حجى)،  
فوجدوا الرده هناك، وقد نفتحوا الانحاء<sup>(٢)</sup>، وربطوها بالجبال، ودهدهوها<sup>(٣)</sup>  
بأرجلهم في وجه إيل المسلمين، فنفرت الإبل ورجعت بالمسلمين إلى المدينة،

(١) ذي الحجى: موقع قرب المدينة.

(٢) الانحاء: ضروف السمن.

(٣) ددهوها: دلموها.

فأرسل المنافقون إلى اخواتهم في (ذِي الْقِصَّة) <sup>(١)</sup> بالخبر، فأسرعوا إليهم، وحضر أبو بكر ليلة يتهياً، ثم خرج في آخر الليل ماشياً، وعلى المينة النعمان بن مقرن <sup>(٢)</sup>، وعلى الميسرة عبدالله بن مقرن <sup>(٣)</sup>، وعلى الساقة سويد بن مقرن <sup>(٤)</sup>، فلما أصبح الصباح لم يشعر المنافقون إلا والمسلمون يعجلون فيهم السيف، فلما كانت ضحوة ذلك النهار ولى المنافقون الأدبار، ووصل المسلمون إلى (ذِي الْقِصَّة)، فترك أبو بكر هناك النعمان بن مقرن في عدد من المسلمين، ورجع هو بالناس إلى المدينة.

اوتفتت معنويات المسلمين في هذا البصر، وثبت مسلمو القبائل على دينهم، وجاء نصر آخر إذ وصلت إلى المسلمين أموال الصدقات من عدة جهات، فقد جاء صفوان بن صفوان <sup>(٥)</sup> بصدقات بني عمرو وذلك في أول الليل من جهة النقب الذي عليه سعد بن أبي وقاص <sup>(٦)</sup>، وجاء الزبيرقان بن بدر <sup>(٧)</sup> في وسط الليل بصدقات بني عوف من جهة النقب الذي عليه عبدالرحمن

- (١) ذِي الْقِصَّة . مكان بعد ٣٥ كيلومتراً عن المدينة .
- (٢) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني . أبو عمرو، صحابي فاتح، من الأسماء القادة الشجعان، كان مع لواء مزينة يوم فتح مكة، استشهد يوم نهاوند عام ٢١ هـ . وله عشرة إخوة كلهم من الشجعان .
- (٣) عبدالله بن مقرن بن عائذ المزني، أخو النعمان .
- (٤) سويد بن مقرن بن عائذ المزني، أخو النعمان، أبو عائذ، أسلم مع أسرته، شهد فتح العراق، وحضر القادسية والمدائن، قاتل تحت لواء أخيه النعمان بنهاوند، ولحق لواء أخيه نعم في الري وهمدان، ثم قاد فتح طبرستان وجرجان، سكن الكوفة ومات بها .
- (٥) صفوان بن صفوان بن أسيد من بني لخم، كان رسول الله ﷺ قد ولاء على صدقات بني عمرو الذين هم فرع من بني لخم .
- (٦) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، أبو اسحاق، من المسلمين الأوائل، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، فاتح القادسية والمدائن، فارس الإسلام، أحد رجال الثوري، اعتزل الفتنة، وتولى قرب المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٥٥ هـ .
- (٧) الزبيرقان بن بدر التميمي، صحابي، أحد وجهاء قومه، ولاء رسول الله ﷺ صدقات قومه، وبقي عليها حتى أيام عمر رضي الله عنه، كلف بصره في آخر حياته، ومات عام ٤٥ هـ في أيام معاوية رضي الله عنه وكان شاعراً .

ابن عوف<sup>(١)</sup> وجاء عدي بن حاتم الطائي<sup>(٢)</sup> في آخر الليل بصدقات قومه من جهة النقب الذي عليه عبدالله بن مسعود<sup>(٣)</sup>، وكان ذلك بعد مسير جيش أسامة ابن زيد بشهرين كاملين، ثم كان النصر الثالث إذ لم تخض عشرة أيام حتى يرجع جيش أسامة عائماً ظاهراً، فاستخلف أبو بكر أسامة بن زيد على المدينة، وقال له: أريجوا وأريجوا ظهركم، ثم خرج في الذين خرجوا إلى (ذي القصة) والذين كانوا على الأنتاب، فقال له المسلمون: نشدك الله يا خليفة رسول الله، أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامكم أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمرت آخر، وجاء علي بن أبي طالب بزمَام راحلة وقال له: أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شمسك ولا نفيجنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً فقال: لا والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي، فخرج إلى (ذي الحسى) و(ذي القصة)، والنعيمان بن مقرن وأخوه كما كانوا في التشكيل السابق، ثم نزل أبو بكر بمن معه على الربرة بالأبرق وقاتل المنافقين وغلبيهم، فولوا الأديار، ورجع أبو بكر إلى المدينة، وجاءت صدقات كثيرة إلى المسلمين تزيد على حاجاتهم، وكان جند أسامة قد أخذوا الراحة المطلوبة،

- (١) عبدالرحمن بن عوف الزهري القرشي، أبو محمد، صحابي جليل، من عشرة المشركين بالجنة، وأحد رجال الشورى، من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان تاجراً مشهوراً، تولى عام ٣٢ هـ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- (٢) عدي بن حاتم الطائي، أبو طريف وأبو وهب، أمير، صحابي، أسلم في السنة التاسعة للهجرة، شهد فتح العراق، وحضر الجمل وصفين والنهروان مع علي رضي الله عنه، ولقيت عينه يوم صفين، مات بالكوفة عام ٦٨ هـ أيام عبدالملك بن مروان.
- (٣) عبدالله بن مسعود المذلي، أبو عبدالرحمن، صحابي، من السابقين للإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، خدم رسول الله ﷺ، كان قصيراً، تولى في خلافة عثمان رضي الله عنه عام ٣٢ هـ، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجاء علي علفاً.
- (٤) شم: الحمد.



فقتل أبو بكر أحد عشر لواءً لقتال المرتدين في كل أنحاء الجزيرة العربية وهم:

- ١ - خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> : وأرسله إلى طليحة بن خويلد الأسدي<sup>(٢)</sup> إذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة اليربوعي التميمي<sup>(٣)</sup> بالبطاح<sup>(٤)</sup>.
- ٢ - عكرمة بن أبي جهل<sup>(٥)</sup> : وأرسله إلى مسيلمة الكذاب الحنفي<sup>(٦)</sup> في البهامة.

٣ - شرحبيل بن حسنة<sup>(٧)</sup> : وأرسله دعماً إلى عكرمة بن أبي جهل في البهامة.

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أبو سليمان، سيف الله، الصحابي الجليل، من أشرف قريش في الجاهلية، كان يلقب أعمى الخيل، أسلم عام ٧ هـ، سر به رسول الله وولاه الخيل، اشتهر بحروبه ضد المرتدين، قاد الفتح في العراق ثم الشام، توفي في المدينة عام ٢١ هـ، وقيل بمصر.

(٢) طليحة بن خويلد الأسدي ارتد: ثم عاد إلى الإسلام، وباع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان قد استخلف، ورجع طليحة إلى دار قومه وبقي فيها حتى خرج مهاجراً إلى العراق، وقد أهل بلاء حسناً في الفتوحات.

(٣) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة، فارس شاعر، أسلم، وولاه رسول الله صدقات قومه، وعند وفاة رسول الله اضطرب أمره وفرق ما جمع من صدقات في قومه، وقيل ارتد، قتله ضمير بن الأزور بأمر خالد بن الوليد أثناء حروب المرتدين.

(٤) البطاح، منزل لسبي يربوع، وقيل ماء في ديار بني أسد بن خزيمه، وتقع جنوب وادي الرقة في بعض الأودية المنجبة إليه من الجنوب.

(٥) عكرمة بن أبي جهل المخزومي، من صحابة قريش في الجاهلية والإسلام، أسلم بعد فتح مكة، وحسن إسلامه، كان على رأس كرموس في اليرموك واستشهد يومذاك عام ١٣ هـ.

(٦) مسيلمة بن ثمامة بن كعب بن حبيب الحنفي، أبو ثمامة، متسي، كذاب، ولد ونشأ بالبهامة في بلدة الجبلية القابلة حتى الآن في وادي حنيفة شمال الرياض بأربعين ميلاً. عرف في الجاهلية بريحان البهامة، وعندما ظهر الإسلام في الحجاز جاء مع وفد بني حنيفة قوم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ويقال أنه تخلف عن الوفد، وأسلم الوفد، ولما رجعوا كاتب رسول الله، وأراد أن يشاركه في الأمر، وأن يكون لهم نصف الأرض ولقريش النصف الآخر، وأظهر أن قريشاً قوم يعتدون، وانتقل رسول الله ﷺ ولم يلبس حل فتنة مسيلمة، وعندما ولي أبو بكر أرسل له الجيوش فقتلت عليه عام ١١ هـ. واستشهد في قتاله عدد كبير من الصحابة.

(٧) شرحبيل بن حسنة الكندي حليف بن زهرة، صحابي من القادة، أسلم بمكة، وهاجر إلى -

٤ - المهاجر بن أبي أمية<sup>(١١)</sup>، وبعثه لقتال أتباع الأسود العنسي<sup>(١٢)</sup> في اليمن،  
فإذا طرغ سار إلى حضرموت.

٥ - عمرو بن العاص<sup>(١٣)</sup>، وسيره إلى قبيلة قضاعة في الشمال.

٦ - خالد بن سعيد بن العاص<sup>(١٤)</sup>، ووجهه إلى مشارف الشام.

٧ - حذيفة بن عاصم، وأمره بالحركة إلى أهل ذبأ.

٨ - عرفة بن هرة<sup>(١٥)</sup>، وسيره إلى مهرة، وأمره أن يلتقي مع حذيفة.

الحبشة، وأوفده رسول الله إلى مصر، قاد جيشاً لفتح الشام، عزله عمر وول معاوية مكانه،  
وتوفي بطاعون هموس عام ١٨ هـ، وحسنه أمه أمنا أيوبه فلقم بن عبد الله.

(١) المهاجر بن أبي أمية - صحابي، من القادة المشهورين، شهد بدرًا مع المشركين، أسلم  
المهاجر، وأخته هي أم المؤمنين أم سلمة هند، أرسله رسول الله إلى اليمن، لخلق من  
تبوك، ولاء رسول الله على صدقات كندة، وقيل أن يسير توفي رسول الله، أرسله أبو  
بكر لقتال من بقي من المرتدين في اليمن، وتولى إمرة صنعاء.

(٢) الأسود العنسي: عبلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي: متنى كذاب، أسلم لما  
أسلمت اليمن، وارتد أول من ارتد في الإسلام وذلك أيام رسول الله ﷺ، وادمى  
النوة، اغتيل أيام رسول الله وقبل انتقال رسول الله بشهر واحد تقريباً.

(٣) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرظي، أبو عبدالله: أحد قادة فتوح الشام، وفتح  
مصر، من أهل الرأي والحزم، أسلم بعد الخديبية، ولاء رسول الله إمرة ذات السلاسل، ثم  
استلمه على عمان، وفتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنيح وانطاكية، تولى أمر  
فلسطين، ثم مصر، عزله عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مصر، ثم عاد إليها عام ٣٨ بأمر  
من معاوية رضي الله عنه، وتوفي بالقسطنطين عام ٤٣ هـ.

(٤) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي، من ولادة المجاهدين، أسلم في  
بداية الدعوة، لقي العذاب الشديد في سبيل دينه، هاجر إلى الحبشة، شهد فتح مكة  
وتبوك، أرسله رسول الله إلى اليمن، وتوفي رسول الله، فاستدعاه أبو بكر، فجاهد،  
وخرج مجاهدًا، شهد فتح أجدالين، واستشهد في مرج الصفر قرب دمشق عام ١٣ هـ.

(٥) عرفة بن هرة الأزدي، من أهل البحرين، ثم قاتل تحت إمرة العلاء بن الحضرمي لوجهه  
للمصل في البحر لفتح جزيرة، ثم سار مدداً إلى عتبه بن غزوان حين غزا (الأهلة) ثم سار  
إلى الموصل وتوفي في خلافة عمر في عام ٢٠ هـ.

٩ - طريقه بن حاجر، ووجه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن.

١٠ - سويد بن مقرن؛ وبعثه إلى تمامة اليمن.

١١ - العلاء بن الحضرمي<sup>(١)</sup>؛ وقد اتجه إلى بلاد البحرين.

وبعد أن قاتل أبو بكر الصديق عيس وذيان (بالأبرق) من أرض (الريذة)<sup>(٢)</sup> وهزمهم، اتجه قسم منهم إلى (بزاخة)<sup>(٣)</sup>، وهي ماء لبني أسد، وهناك طليحة بن خويلد الأسدي، فلما عقد أبو بكر الألوية، طلب من خالد أن يسير إلى أرض طي، لتتخذل طي، وعيس وذيان، وأظهر أن أبا بكر سيتجه إلى خيبر ومن هناك سيرقد خالدًا في بلاد طي.

سار خالد بن الوليد إلى بلاد طي، ولكن عدي بن حاتم طلب من خالد أن يمهل ثلاثة أيام ليكب إليه قومه ففعل، ومن بلاد طي، نزل خالد إلى (بزاخة)، وقتلت طليحة (عكاشة بن محصن)<sup>(٤)</sup> (وثابت بن أقرم)، ولما التقى الجماعة هزم (عينة بن حصن)<sup>(٥)</sup> مع قومه فزارة، فاتفصل عن القوم، وفر طليحة بعدها نحو بلاد الشام، وكان طليحة قد ارتد في أيام رسول الله

(١) العلاء بن الحضرمي: أصله من حضرموت، سكن أبوه مكة، فولد العلاء فيها، ونشأ في ربوعها، أسلم وهاجر، ولاء رسول الله البحرين، وجعله عاملًا على الصدقات فيها. وأقره أبو بكر وعمر عليها، وبعد أول مسلم ركب البحر للفوز، مات في طريقه إلى البصرة عام ٢١ هـ.

(٢) الريذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام منها، قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز، إذا رحلت من بئير تريم مكة.

(٣) بزاخة: ماء لطي، بأرض نجد، وقيل ماء لبني أسد.

(٤) عكاشة بن محصن: من بني أسد، صحابي من أمراء السرايا، بعد من أهل المدينة إذ أنه حليف الأنصار مع أنه مع المهاجرين، شهد المشاهد مع رسول الله، قتل في حروب الردة، وكان طليحة للمسلمين.

(٥) عينة بن حصن: سيد فزارة، قاتل المسلمين أميراً لقومه، ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم كان مع طليحة الأسدي مرتدًا، فأبصر وأرسل إلى المدينة مؤثوقًا.

ﷺ فأرسل إليه ضرار بن الأزور<sup>(١)</sup>، فنزل المرتدون في (سبيرة) وبدأ  
 عددهم بالتناقص، وفي هذه الأثناء توفي رسول الله ﷺ، فزاد عدد المرتدين  
 وانضمت غطفان بأمرة عبيدة بن حصن إلى بني أسد، وكانوا قد خالفوا طيناً  
 (حرف وجديلة وغوث)، فلما انضمت غطفان إلى أسد فر ضرار بن الأزور  
 ببعض من معه إلى المدينة، وانقضت جموعه. وعندما جاء خالد وهرم أهداه  
 في البزاحة أسلمت أسد وعامر وغطفان. وبعد انتهاء خالد من بني أسد  
 وأحلافهم اتجه بأمر الخليفة إلى بني بربوع في نهم في البطاح وعليهم مالك بن  
 نويرة. وكان الحلاف في بني نهم على أشده وقد جاءتهم سجاج<sup>(٢)</sup> من الجزيرة  
 ببني تغلب فدخلت بلادهم فوادعها من وادعها، وفر من وجهها من فر.  
 وسارت بعد ذلك إلى الهامة فكان أمر مسيلة قد قوي، فخافها مسيلة  
 فاستأنها، فأمنته، ونزوحها وبقيت عنده ثلاثة أيام ثم رجعت إلى أرض  
 قومها، وكانت قد تبتت مثل مسيلة، وسار معها عدد من وجهاء بني نهم،  
 وكانت قد صالحت مسيلة على نصف غلات الهامة... وعندما عادت إلى  
 الجزيرة وجاء المسلمون أسلمت وحسن إسلامها.

ولما عادت سجاج إلى الجزيرة، تحير بنو نهم الذين وادعوها، وتدموا على ما  
 كان منهم، ولم يلبثوا طويلاً حتى وصلت إليهم جيوش خالد بن الوليد،  
 فعندما جيء برؤسائهم إلى خالد، جادهم، وشهد جماعة على بني بربوع أنهم لم  
 يؤذنوا لقتلهم، وقتل ضرار بن الأزور الذي كان على طليعة خالد مالك بن

- (١) ضرار بن الأزور بن أوس، من بني أسد، أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، صالحاً
- قاتل يوم الهامة، شهد اليرموك وفتح الشام، وقطعت ساقاه، وتوفي بعدها بأيام.
- (٢) سجاج بنت الحارث بن سويد بن غطفان من بني نهم، فرح بني بربوع، أم صامو، متبعة
- كذابة، كانت في بني تغلب في الجزيرة، متصرة، شاهرة، جاءت من الجزيرة فتنحها بنو
- نهم، وسارت بهم إلى بني حنيفة، فالتقت بمسيلة ونزوجت به، ثم رجعت إلى الجزيرة،
- وأسلمت بعد مقتل مسيلة، وأقامت بالبصرة وتوفيت في خلافة معاوية رضي الله عنه عام
- ٥٥ هـ، وصلى عليها والي البصرة سكرة بن جندب.

نوبة... وحدثت خلافات في قتلها، فتزوج خالد امرأتها أم تميم ابنة المنهال بعد انقضاء عدتها.

وسار عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب في الهامة، وتبعه شرحبيل ابن حسنة، ولكنه لم يدركه، وكان عكرمة قد أسرع فهزمته جموع بني حنيفة، فبقي شرحبيل ينتظر المدد، وجاء أمر أبي بكر لعكرمة بالانتظار أيضاً، وإذا فرغ - ار إلى حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة لقتال المرتدين في عمان حتى يلتقوا مع المهاجر بن أبي أمية الذي يكون قد فرغ من اليمن وسار إلى حضرموت.

وكان خالد قد عاد إلى المدينة والتقى بأبي بكر وذلك بعد الانتهاء من البطاح، فاعتذر لأبي بكر فرضي عنه، وأرسله إلى مسيلمة الكذاب، فسار إلى البطاح والتقى بجنده هناك وانتظر حتى جاءه المدد، فقام إلى مسيلمة... ولما وصل إليها كان شرحبيل بن حسنة قد سبقه في قتال القوم فهزم، وكان يساعد بعض بني حنيفة بإمرة ثمامة بن أثال<sup>(١)</sup> رضي الله عنه، فلام خالد شرحبيل في تسرعه: وعسكر مسيلمة في بني حنيفة في عقرباء في أعلى وادي حنيفة - وتسمى اليوم الجبيلة - وسلك خالد ثنية في جبل الهامة (طويق) وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب<sup>(٢)</sup> أخو عمر، وأبو حذيفة بن عتبة<sup>(٣)</sup>، وكانت راية المهاجرين

(١) ثمامة بن أثال بن النعمان الهامي، من بني حنيفة، أبو أمية، صحابي، من سادات الهامة، أسر بيد المسلمين وهو في طريقه لزيادة البيت، أطلق سراحه بأمر رسول الله، أسلم بعد أن أدى العمرة، ولما ارتد بنو حنيفة ثبت على إسلامه، وقتل المرتدين بجانب عكرمة وشرحبيل، ثم سار أبو بكر إلى البحرين لقتال المرتدين هناك تحت إمرة العلاء بن الحضرمي، واستشهد هناك.

(٢) زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أخو عمر بن الخطاب، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله، صحابي، بعد من شجعان العرب في الجاهلية والإسلام، كانت راية المسلمين بيده يوم الهامة، وثبت يوم طماك حتى استشهد، وقبره هناك.

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن عبد شمس، صحابي، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، شهد بدرًا

مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس<sup>(١)</sup>، وكان ضرار بن الأزود قد سار في قسم من الجند من ثنية من الشمال، ونزلوا من جهة (ملهم)<sup>(٢)</sup> إلى عقرباء، وجرت معركة حامية الوطيس تراجع المسلمون في أولها حتى دخل بنو حذيفة على خالد في فسطاطه، ثم حل المسلمون حلة رجل واحد أزلت الم تدين عن مواقعهم، وأجبرت مسيلة الانتجاء إلى حذيفة عرفت باسم حذيفة الموت، وفيها صرع مسيلة الكذاب وعدد كبير من قومه، واستشهد من المسلمين عدد من القراء ووجهاء الناس، منهم زيد بن الخطاب وثابت بن قيس وغيرهم كثير.

وفي عمان ظهر لقيط بن مالك الأزدي، وغلب عليها، واضطر جيفر وعباد الإلتجاء إلى الجبال وعلى سواحل البحر، وأرسل جيفر إلى أبي بكر الصديق يستجده، فبعث أبو بكر حذيفة بن محصن إلى عمان وعرفجة بن هرثة إلى مهرة، وأوصاهما إذا التقيا أن يتدثا بعمان، وإذا اقتربا منها راسلا جيفرا وعبادا، ثم أتبعها بعكرمة بن أبي جهل الذي كانت وجهته الهامة، فلما هزم طلب من الخليفة أن يسير بمن معه إلى عمان.

اتجه عكرمة في أثر حذيفة وعرفجة فأدركهما قبل الوصول إلى عمان، وهناك راسلوا جيفرا وعبادا، وعسكر المسلمون في صحار<sup>(٣)</sup>، وتجمعت

= مع المسلمين ولها قتل أبوه وهه وأخوه كفلراً، وحضر المشاهد كلها، واستشهد يوم الهامة.

- (١) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، خطيب رسول الله ﷺ، شهد المشاهد التي بعد أحد كلها، وكان راية الأنصار بيده يوم الهامة، واستشهد يومها.
- (٢) ملهم: قرية من قرى الهامة، ولا تزال معروفة، تقع إلى الشمال من الرياض على بعد ستين كيلا منها.

- (٣) صحار: قصبة عمان مما يلي الجبل، وهي طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالأجر والساج، كثيرة ليس في تلك النواحي مثلها. ولا تزال قائمة إلى الآن بين مسقط والفجيرة.

جموع لقيط في دبا، وجرت معركة بين الطرفين كاد يتجح فيها لقيط لولا  
 النجدات التي وصلت للمسلمين من البحرين وغيرها، فانتصر المؤمنون، وهزم  
 لقيط، واستولى المسلمون على الغنائم، وأرسلوا الخمس مع عرفجة إلى أبي بكر  
 الصديق، وبقي حذيفة يدير شؤون عمان، وسار عكرمة إلى مهرة. وكان القوم  
 فيها قد ارتدوا، إلا أنهم اختلفوا فقسم منهم في السواحل مع (شخریت) وهم  
 أقل عدداً، وبدأ بهم عكرمة، فدعاهم للإسلام، فوافقوا، الأمر الذي أضعف  
 القسم الثاني الذين كانوا في المناطق المرتفعة مع (المصبح)، فهزموا أمام  
 المسلمين الذين حازوا على الغنائم، فأرسل عكرمة الخمس مع (شخریت) إلى  
 المدينة المنورة.

وأما اليمن فقد كان عليها عدد من الولاة كل على جزء، وقد ادعى فيها النبوة  
 الأسود العنسي، وأرسل له رسول الله ﷺ الرسل والكتب، واستمر ذلك  
 حتى مات وهدأت الأمور باليمن، فلما انتقل رسول الله ﷺ انتقضت اليمن،  
 فالتجأ عمال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام إلى المسلمين إلا عمرو بن حزم<sup>(١)</sup>  
 وخالد بن سعيد بن العاص فإنها عادا إلى المدينة، ووصل الخبر إلى أبي بكر  
 فحارب المرتدين بأن أرسل إليهم الرسل والكتب كما كان يفعل رسول الله  
 ﷺ - فلما رجع جيش أسامة من غزوه، وعقد أبو بكر رضي الله عنه  
 الألوية، بعث (عتاب بن أسيد)<sup>(٢)</sup> عامل مكة أخاه خالد بن أسيد<sup>(٣)</sup> إلى

(١) عمرو بن حزم بن زيد بن لوقان الأنصاري، أبو الضحاك: وال، صحابي، شهد الخندق،  
 وما بعدها، استعمله رسول الله ﷺ على لحيان وتولي عام ٥٣ هـ. في أيام معاوية رضي الله  
 عنه.

(٢) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن، وال أنصاري قرشي  
 مكّي، من الصحابة. كان شجاعاً عاتلاً، من أشرف العرب في صدر الإسلام، أسلم يوم  
 فتح مكة، واستعمله رسول الله ﷺ عليها عند تخرجه إلى حنين، وكان عمره ٢١ عاماً، وبقي  
 عليها، وأقره أبو بكر، واستمر لها إلى أن مات.

(٣) خالد بن أسيد، أخو عتاب بن أسيد، وهو من الفرسان المشهورين.

المرتدين في تهامة فغلبهم، وبعث عثمان بن أبي العاص على الطائف ابن ربيعة إلى  
شونة فقتلهم.

وتحرك كذلك بتهامة اليمن الأخبات من (عك) و(الأشعريون) فسار  
إليهم الطاهر بن أبي هالة، وأخبر بذلك أبا بكر، فانتصر الطاهر قبل أن يصل  
إليه كتاب وجواب أبي بكر.

وأرسل أبو بكر جرير بن عبدالله البجلي إلى (بجيلة) و(خنعم) فانتصر  
عليهم، وأقام بنجران حسب أوامر خليفة رسول الله.

وأرسل أبو بكر كتاباً إلى طاهر بن أبي هالة يأمره بأن يسير إلى صنعاء  
لمساعدة المسلمين، كما كتب إلى عبدالله بن ثور أن يجمع إليه من استجاب له  
من أهل تهامة، وينظر التعلبات.

أرسل أبو بكر رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن، فسار عن  
طريق مكة، فمضى معه خالد بن أسيد، ومر بالطائف، فمضى معه عبدالرحمن  
ابن أبي العاص، ثم انضم إليه جرير بن عبدالله البجلي بالسراة، وعبدالله بن ثور  
بتهامة، كما انضم إليه من نجران فروة بن مسيك<sup>(١)</sup>، فأوثق المهاجر عمرو بن  
معد يكرب<sup>(٢)</sup>، وقيس بن عبد يعقوث المكشوح وهما من المرتدين، إلى أبي بكر  
رضي الله عنه. ووصل المهاجر إلى صنعاء ودخلها، ولاحق شذاذ القبائل الذين  
هربوا.

وارتدت حضرموت، وكان عمال رسول الله ﷺ عليها (عكاشة بن

(١) فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة الغنطي المرادي، أبو عمرو، وال من الصحابة، وهو  
من اليمن، وفد على النبي وأسلم، فاستعمله على مراد ومذبح وزيد، وقتل المرتدين بعد  
وفاة رسول الله، تولى بالكوفة عام ٣٠ هـ.

(٢) عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، فارس اليمن، وفد على رسول الله في  
عشرة من زيد فأسلموا جميعاً، ولما تولى رسول الله ارتد عمرو، ثم أسلم، وبعث أبو بكر  
إلى الشام بجاهداً فشهد اليرموك وفقد إحدى عينيه. وسار إلى العراق فشهد القادسية، تولى  
عام ٢١ هـ.



محصن) و(زياد بن لبيد البياضي) ثم أرسل إليها المهاجر بن أبي أمية، ولم يبتلع من المدينة بعد حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبّه أبو بكر إلى اليمن، وهو في طريقه إلى عمله الجديد، فوصل إلى صنعاء ودخلها، وكان عمال أبي بكر ينتظرون والي حضرموت الجديد. وسار المهاجر إلى حضرموت، كما سار إليها عكرمة بن أبي جهل، فالتقيا في مأرب، فاقترحا حضرموت، وأرسل خمس الغنائم إلى أبي بكر ومعها الأشعث بن قيس الكندي<sup>(١)</sup> أسيراً، وبقي في المدينة حتى خرج مجاهداً إلى العراق، واختار المهاجر بن أبي أمية العمل في اليمن فكان هو وفيروز، وبقي في حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعبيدة بن سعد.

وأما البحرين فكان فيها بنو عبد القيس وبنو بكر، وكان عامل رسول الله ﷺ المنذر بن ساوي<sup>(٢)</sup>، وتوفي في المدة التي مات فيها رسول الله ﷺ، فارشدت البحرين، أما بنو عبد القيس فقد ثبتت على الإسلام بفضل (الجارود) وأما بكر فثبتت على ردتها. وأما الجارود فكان رجلاً نصرانياً، وقد وفد على رسول الله ﷺ وأسلم، وبقي بالمدينة حتى فقه في الدين، ثم رجع إلى قومه فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفي رسول الله ﷺ، فارتد قومه وقالت بنو عبد القيس: لو كان محمد نبياً لما مات، وبلغ ذلك الجارود فجمعهم وقال لهم: يا معشر عبد القيس، إني سألتكم عن أمر فأخبروني به إن علمتموه ولا تحبسوني إن لم

(١) الأشعث بن قيس الكندي: أمير كندة في الجاهلية والإسلام، وفد على رسول الله وأسلم، ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض كندة من تأدية الزكاة، ولكنه هزم وسبق مؤثوقاً إلى أبي بكر في المدينة، فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة، وحسن إسلامه، وحضر اليرموك ولقد عبت، وحضر فتح العراق مع سعد، وكان مع علي في صفين والشهران، وتوفي عام ٤١ هـ.

(٢) المنذر بن ساوي بن الأخنس العمدي: أمير في الجاهلية والإسلام، كان صاحب البحرين، أرسل له رسول الله رسالة مع الغلاء بن الحضرمي يدعوها فيها إلى الإسلام فأسلم، واستمر في عمله، وتوفي قبل وفاة رسول الله بشهر واحد.

تعلموا . قالوا: هل هذا لك ، قال : تعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟  
قالوا: نعم . قال : تعلمونه أو ترونه ؟ قالوا : لا بل نعلمه ، قال : فما فعلوه ؟  
قالوا: ماتوا . قال : فإن محمداً ﷺ مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا  
الله وأن محمداً عبده ورسوله ، قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
عبده ورسوله ، وأنت سيدنا وأفضلنا ، وثبتوا على إسلامهم ، وحضرت جماعته  
في مكانين ، وقاد المرتدين الحطيم بن ضبيعة ، وأرسل أبو بكر رضي الله عنه  
العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وكان من قبل أميراً عليها من قبل رسول الله  
ﷺ ، فلما اقترب من البحرين التحق به تمامة بن أثال رضي الله عنه من مسلحة  
بني ضبيعة وذلك بأمر رسول الله ﷺ ، فكان الجارود ومن معه من عبدالقيس  
يقاتلون الحطيم بن ضبيعة ، والعلاء ومن معه يقاتلون المرتدين في جهة حجر ،  
ونصر الله المسلمين وأيدهم وخذل الكافرين وهزمهم .

الفتوحات : لم تكبد الدعوة لتقف في أرض معينة ، فالأرض كلها  
ساحتها وميدانها ، وإذا توقفت قليلاً بعد وفاة رسول الله ﷺ فذلك بسبب  
الردة ، فلما انتهت الردة كان لا بد من أن تعاود نشاطها ، وتسير بشكل طبيعي ،  
ويقاتل كل من يقف في وجهها وذلك هو الجهاد .

وانتهت حروب الردة ، وكان لا بد من الجهاد ، فالفرس يقفون في وجه  
الدعوة ، ويحاولون دعم أعدائها ، ومدد المرتدين عليها ، والروم يحاربون الدعوة ،  
وينصرون خصومها ، ويحرضون القبائل المنتصرة ضدها ، وكان لا بد من قتال  
الطرفين ، والاستعانة بالله عليها وبالإيمان القوي بأن النصر من الله يؤتاه من  
يشاء ممن استقام على منهجه ، وإذن كان على المسلمين أن يقاتلوا على جبهتين لم  
تكونا متفتحتين وهذا ما ساعدهم على القتال وحرية الحركة دون الخوف من  
الطرف الآخر .

أ - الجبهة الفارسية : كان الفرس يسيطرون على مناطق واسعة تبدأ من  
بادية الشام في الغرب ، وشمال جزيرة العرب من الجنوب ، وتنوع منطقتهم في

الغرب وتتناقص حسب انتصارهم على الروم، أو هزيمتهم أمامهم، فتارة يتوسعون، وقد وصلوا الى سواحل البوسفور ثم ارتدوا حتى حدود الفرات، وكان عدد من القبائل العربية تقيم في المناطق التي يسيطر عليها الفرس سواء في منطقة السواد أم على ضفاف الفرات والجزيرة، ومن هذه القبائل تغلب ويكر وشيبان وربيعة وطيء، وبعضها كانت مُتصِرة في أغلبها كتغلب، وكانت طيء تقيم ويقوم رئيسها في بلدة الحيرة على مقربة من الفرات، ويعمل للفرس على توطيد سلطانهم في تلك الأنحاء، وكان من بني شيبان فارس مقدم قد دخل في الاسلام هو المشي بن حارثة الشيباني<sup>(١)</sup>، وقد طلب من أبي بكر بعد أن انتهى من حروب المرتدين في البحرين أن يؤمره على قومه ومن تان بالاسلام في تلك الجهات ليجاهد الفرس، ويقاوم أعداء الله، فأمره أبو بكر فصار يناوش الفرس، ويستصر عليهم وقعة بعد وقعة إلا أنه في عدد قليل من المجاهدين، والفرس كثير، ودمهم عدد كبير من العرب المُتصِرة، والقوة ستتناقص مع الأيام أمام الكثرة فكان لا بد من إرسال المدد للمشي.

وانتهى خالد بن حرب الهامة، فجاءه الامر من أبي بكر بالتوجه إلى العراق ليدعم المشي بن حارثة الشيباني وليكن دخوله من الجنوب على حين يدخلها عياض بن غنم<sup>(٢)</sup> من جهة الشمال، وليكن لقاؤهما في الحيرة<sup>(٣)</sup> ومن سبق إليها كانت له الامرة على صاحبها. وكان ذلك في مطلع العام الثاني عشر

(١) المشي بن حارثة الشيباني: صحابي فاتح، من كبار القادة، أسلم عام ٩ هـ، فحارب بلاد فارس أيام أبي بكر، أمده أبو بكر بخالد بن الوليد، وأمده عمر بن الخطاب، وخرج في معركة الجسر، ثم أمده سعد بن أبي وقاص، ولكنه توفي قبل وصول سعد إليه.

(٢) عياض بن غنم بن زهير النهدي: قائد من شجعان الصحابة، شهد المشاهد مع رسول الله، وفتح الجزيرة الفراتية، وتوفي بالشام عام ٢٠ هـ.

(٣) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف (المخروفق) إلى الشرق منها على بعد ميل، والدير إلى الغرب منها في بداية الشام.

للخيرة، وأمد خالدًا بالقتلح بن عمرو النسيبي<sup>(١)</sup>، وأحمد هبائن بن نعم بن عبد  
بن عرف الحميري.

سار خالد بن الوليد مباشرة باتجاه الخيرة، والتقى في طريقه بعض القريات  
(أليس)<sup>(٢)</sup> وما جاورها فصالح صاحبها (بصيري بن سلوبا)، ثم اتجه نحو  
الخيرة، وكان عليها من قبل الفرس هاني، بن قبيصة الطائي<sup>(٣)</sup>، فقال له خالد:  
إني أدعوك إلى الله وإلى عبادته، وإلى الإسلام، فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليکم  
ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جشام يقوم بعبود الموت كما تحبون  
أتم شرب الخمر فقالوا: لا حاجة لنا في حربك، فصالحهم على تسعين ومائة  
ألف درهم، وكان المشي بن حارثة الشيباني يقاتل نارة في جهات كسرك<sup>(٤)</sup>  
وأخرى في جهات القريات الأسفل، يقاتل المرمزان في تلك البقاع،  
فاستدعى خالد المشي ونزلوا إلى جهات الأبله<sup>(٥)</sup> لتجميع قوات المسلمين،

(١) القتلح بن عمرو النسيبي: أحد فرسان العرب المشهورين وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له  
صحة، قال فيه أبو بكر: صوت القتلح في الحرب خير من ألف فارس، شهد اليرموك  
ولفتح دمشق، والقاسية وأكثر وقائع العراق، وسكن الكوفة، وشهد صفين بحلب سيدنا  
علي، وتوفي عام ٤٠ هـ.

(٢) أليس: هي غير موجودة الآن، وهي في أول أرض العراق من ناحية البادية.

(٣) هاني بن قبيصة الطائي: وهو أبو إياس بن قبيصة الذي تولّى أمر الخيرة بأمر كسرى بعد  
استدعاء النعمان بن المنذر إلى فارس، وجعل ودائع عند هاني بن مسعود الشيباني، وجررت  
موقعة ذي قار بين جيوش كسرى بقيادة إياس وهاني بن مسعود الشيباني الذي يقود بني  
بكر.

(٤) كسرك: كورة واسعة، ولصبتها واسط التي يمر بها الحجاج بن يوسف، ومن قبل كانت  
لصبتها حسر وسابور، وهي في وسط السواد.

(٥) الأبله: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة  
البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة نصرت أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكانوا في ثمانية عشر ألفاً، وقد سار المشي قبل خالد بيومين، وسار عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو التميمي<sup>(١)</sup> بعد المشي بيوم، وأعطاهم خالد موعداً في الحفير<sup>(٢)</sup>. وقد التقوا بهرمز في أرض الأبلّة، وكانت المعركة وأراد هرمز أن يقدر بخالد إلا أن القعقاع بن عمرو قتل هرمز، والتحم مع حماته الذين أرادوا أن يعذبوا بخالد، وركب المسلمون أكتاف أعدائهم حتى غشاهم الليل، وكان القرني قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل لذلك سميت هذه المعركة ذات السلاسل... وأرسل خالد بن الوليد المشي بن حارثة في أثر القوم، وبعث معقل بن مقرن<sup>(٣)</sup> إلى الأبلّة ليجمع المال والسي، وسار المشي حتى بلغ نهر المرأة، فحاصرها في الحصن الذي كانت فيه وكان على مقدمته أخوه المعنى<sup>(٤)</sup>، فصالحت المرأة المشي، وتزوجها المعنى، أما المشي فقد استنزل الرجال من الحصون، وقتل مقاتلتهم، وأقر الفلاحين الذين لم ينهضوا للقتال مع القوم.

كان أردشير قد أمر بجيش كبير بقيادة (قارن بن قربانس) فلما وصل إلى (المدار)<sup>(٥)</sup> وصل إليه خبر هزيمة هرمز ومقتله، فتجمع هناك، فسار إليه خالد، ونشبت معركة قتل فيها معقل بن الاعشى القائد الفارسي (قارن)، وقتل عاصم بن عمرو خصمه (الانوشجان) وقتل عدي بن حاتم غوه (قباد) وقتل

وكانت الأبلّة حينئذ فيها مسالح من قبل كسرى، وقائد، وهي غير موجودة الآن وموقعها شمال موقع البصرة الحالي.

(١) عاصم بن عمرو التميمي، آخر القعقاع، شاعر، له صفة، أول في القافية لبلاء الحسن تولى عام ١٦ هـ.

(٢) الحفير، أول منزل من البصرة لمن يريد مكة.

(٣) معقل بن مقرن، أحد إخوة النعمان بن مقرن.

(٤) المعنى بن حارثة، أخو المشي بن حارثة السبائي، وكان على مقدمة أخيه.

(٥) المدار، على الضفة نهر دجلة اليسرى تقع شمال القرية ب ٢٧، بين البصرة وواسط، وهي قصبة بيسان.

بمذاك من الفرس عذد كبير وصل إلى ثلاثين ألف مقاتل . وبعدها وزع خالد الغنائم وقسم الغنيمة .

وتجمع الفرس ثانية في (الولجة)<sup>(١)</sup> مع ما جاءهم من مدد قوامه جيشان الأول بقيادة (الأندرزهر) والثاني بإمرة (سمن جاذويه) فنار إليهم خالد ، وقد خلف سويد بن مقرن في الحفير ، وقد هزمت الفرس هزيمة منكرة أيضاً في هذه الجولة .

ونأثر نصارى العرب من هذه الانتصارات فكاتبوا الفرس وتوهموا لي أنيس ، فأمرع إليهم خالد وانتصر عليهم انتصاراً ميبأً وقتل منهم ما يقرب من سبعين ألفاً ، ثم اتجه نحو الحيرة ثانية .

ولما انتهى خالد من الحيرة ولي عليها القعقاع بن عمرو ، وخرج يريد دعم عياض بن غم الذي كلف بشمال العراق ، فنزل خالد إلى الفلوجة ومنها إلى كربلاء ، فولى عليها عاصم بن عمرو ، وكان على مقدمته الأقرع بن حابس<sup>(٢)</sup> ، أما المشي فكان يناوش الفرس على شواطئ دجلة . وسار خالد إلى الأنبار<sup>(٣)</sup> لفتحها ثم استخلف عليها الزبيرقان بن بدر ، وقصد عين التمر<sup>(٤)</sup> ، فهزم جموع أهلها الذين هم من العرب المنتصرة والعجم ، ثم حصرها فنزلوا على حكمه ، فقتل من قتل منهم وأسر وسي . واستخلف على عين التمر عوم بن الكاهل ، وسار باتجاه عياض بن غم الذي علم أنه لا يزال في دومة الجندل<sup>(٥)</sup> وقد كتب

(١) الولجة ، موضع وسط السواد قريبة من كسكر .

(٢) الأقرع بن حابس بن عقيل المجاشعي الدارمي التنيسي ، صحابي ، من سادات العرب في الجاهلية ، ولد على رسول الله مع وفد قومه وأسلم وشهد فتح مكة وحنين والطفح ، وكان من المؤلفة للروم ، استشهد بخراسان بالهوزجان عام ٣١ هـ أيام سيدنا عثمان .

(٣) الأنبار ، تقع قريباً من خلف الفرات اليمن ، وقريباً من الفلوجة .

(٤) عين التمر ، بلدة قريبة من الأنبار ، إلى الغرب منها .

(٥) دومة الجندل ، وهي في شمال جزيرة العرب ، ومكانها اليوم مدينة الجوف .



إلى يستجده، فكتب إليه خالد، من خالد إلى عياض إياك أريد،  
ولما علم أهل دومة الجندل منير خالد إليهم استجدوا بالقبائل المُنصَّرة من  
العرب من كلب وحمان وتلوح والضجاعم فأمدوهم. ولما اقترب خالد من  
دومة الجندل اختلف رئيساها وهما: أكيدر بن عبد الملك<sup>(١)</sup>، والجودي بن  
ربيعة، فاعتزل الأكيدر، وهزم الجودي ومن معه ومن جاءه من الدعم الذين لم  
ينسحب لهم الحصن. وأقام خالد بدومة الجندل، وأرسل الأقرع بن حابس إلى  
الأنبار، وبعد مدة لحق خالد بالخيبة.

وخرج خالد من الخيبة وولى عليها عياض بن غنم، وكان هلي مقدمة خالد  
الأقرع بن حابس. ثم بعث وهو بالعين أبا ليلي بن فركس إلى الخنافس<sup>(٢)</sup>  
والقعقاع إلى حصيد<sup>(٣)</sup>. فانتصر القعقاع في حصيد، وفر من الخنافس إلى  
المصيخ<sup>(٤)</sup> إذ لم يجد أبو ليلي، بالخنافس كيدا. وسار خالد وأبو ليلي والقعقاع  
إلى المصيخ وكان قد اجتمع فيه من هرب من الخنافس والحصيد، وهناك  
انتصر المسلمون انتصاراً ميبثاً. ثم ساروا إلى (التي)<sup>(٥)</sup> و(الزُمَيْل)<sup>(٦)</sup>  
فانتصروا على أعدائهم، ثم ساروا إلى (الرضاب)<sup>(٧)</sup>، وبها هلال بن عثقة، وقد  
ارفض عنه أصحابه عندما سعوا بملكو خالد وجيشه، ثم ساروا إلى

(١) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل في الجاهلية، بعث رسول الله خالد بن  
الوليد إليه، فأسره وقدم إلى المدينة فأسلم وأعيد إلى بلاده، فلما تولى رسول الله تقضى  
العهد، ومات عام ١٢ هـ.

(٢) الخنافس: موقع قرب الأنبار.

(٣) حصيد: واد بين الكوفة والشام.

(٤) المصيخ: مصيخ برشاء، وهو بين حوران والعراق، وهو غير معروف الآن، أما مصيخ  
براء فهو آخر ماء من بلاد الشام، ورواه خالد بن الوليد بعد سؤي.

(٥) التي: مكان بالجزيرة الفراتية يقع إلى الشرق من الرصافة، تجتمع فيه بنو تغلب.

(٦) الزمَيْل: موقع إلى الشرق من الرصافة.

(٧) الرضاب: موقع إلى الشرق من الرصافة، أو مكانها قبل أن يعمرها هشام بن عبد الملك.



(الفراض)<sup>(١)</sup> وهي على تخوم الشام والعراق والجزيرة وذلك في شهر رمضان،  
وتعاون الفرس والروم ضد المسلمين، والتقت الجموع على نهر الفرات فقتل من  
الفرس والروم والعرب المنتصرة أكثر من مائة ألف . . .

أقام خالد بن الوليد عشرة أيام بالفراض، ثم أذن بالرجوع إلى الحيرة  
لخمسة بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بالناس، وأظهر  
خالد أنه في الساقة، وسار مع عدة من أصحابه إلى مكة يؤدي الحج، ورجع  
من الحج، فوصل إلى الحيرة ولم تدخل الساقة البلدة بعد، ولم يدر الخليفة أبو  
بكر رضي الله عنه بما فعل خالد إلا بعد مدة، فعتب عليه، وصرفه عن العراق  
إلى الشام.

وصل كتاب أبي بكر إلى خالد وهو بالحيرة وفيه: أن سر حتى تأتي جموع  
المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت،  
فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك، ولم ينزع الشجى من الناس  
نزعك، فليهنك أبا سليمان النية والخطوة، فأتم بتم الله لك، ولا يدخلك  
عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل، فإن الله له المن، وهو ولي  
الجزاء.

وجاء بها كتب أبو بكر لخالد: أما بعد فدع العراق وخلف فيه أهله الذين  
قدمت عليهم، وهم فيه، وامض محتفياً من أهل القوة من أصحابك الذين  
قدموا معك العراق من الهامة وصحبوك في الطريق، وقدموا عليك من  
الحجاز، حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين، فإذا التقيتم  
فأنت أمير الجماعة والسلام.

سار خالد من الحيرة في العراق، وقد استخلف المشي به حارثة الشيباني

(١) الفراض: موضع بين إلى الشرق من البوكمال على بعد ٤٠ كيلاً عنها، قرية من الحدود بين  
العراق وسورية اليوم.

عن جند العراق، وسار هو إلى الشام، وكتب إلى أبي عبيدة<sup>(١)</sup> : أما بعد فإني  
أسأل الله لنا ولك الأمن يوم الحوف والعصاة في دار الدنيا من كل سوء، وقد  
أتاني كتاب خليفة رسول الله بأمرني بالمسير إلى الشام وبالقيام على جندها  
والتولي لأمرها، والله ما طلبت ذلك قط ولا أردته إذ وليت فأنت على حالك  
التي كنت عليها لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع دونك أمراً، فأنت سيد  
المسلمين، لا ننكر فضلك، ولا نستغني عن رأيك ثم الله بنا وبك من إحسان  
ورحمة وإيّاك من حلي النار والسلام عليك ورحمة الله.

سار خالد من الحيرة إلى دومة الجندل، وخرج منها مع وادي السرحان  
إلى الشمال.

ب - فتوح الشام: بعد أن رجع خالد بن سعيد بن العاص من اليمن أمره  
أبو بكر أن ينزل بتهامة وأمره ألا يبرحها، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه،  
وإلا يقبل إلا ممن لم يرتد، ولا يقاتل إلا من قاتله، حتى يأتيه أمره. فأقام  
فاجتمعت إليه جموع كثيرة، وبلغ الروم عظم ذلك العسكر، فاستنفروا العرب  
الذين بالشام على المسلمين، فاستنفرت كلب ونبوخذ ونحوه ولحم وجدام وفسان،  
فكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو بكر: أن أقدم ولا  
تخجم واستصر الله، فسار إليهم خالد بن سعيد، فلما دنا منهم  
تفرقوا، فاتخذ موقعة مكانهم، وكتب إلى أبي بكر بذلك، فكتب إليه أبو  
بكر: أقدم ولا تقتحم حتى لا تأتي من خلفك. وحدث قتال، وطلب خالد  
ابن سعيد من أبي بكر المدد، فأمدّه بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل،  
وانتصر على (ماهان) قرب القدس، وانتقل ماهان إلى دمشق فلحق به خالد بن  
سعيد، فلما كان بمرج الصفر جاءت جموع كثيرة من الروم بقيادة (ماهان)

(١) أبو عبيدة الجراح، عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرظي فاتح الديار الشامية  
وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أمين الأمة وهو من السابقين إلى الإسلام شهد المشاهد كلها  
مع رسول الله وتولى بطاهون حمص سنة ١٨ هـ.

الأمر الذي جعل خالد بن سعيد يتراجع إلى ذي المروة على حين وقف عكرمة ابن أبي جهل يحمي المتراجعين، ووصل المجاهدون من اليمن، وكثرت قتل دخلت السنة الثالثة عشرة، فطلب أبو بكر استبدال عمال الصدقات. ومنهم عمرو بن العاص الذي كان قد سبره في السنة الحادية عشرة إلى قضاة، ثم استدعاه قولا ما كان رسول الله ﷺ قد ولاء على صدقات عثمان نانية، وكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: إني كنت قد رددت على العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاك مرة، وسماه لك أخرى، ومبعتك إلى عثمان إجماعاً لمواهب رسول الله ﷺ، فقد وليت ثم وليت، وقد أحببت - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك من، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك، فكتب إليه عمرو: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها، والجامع لها، فانتظر أشدها وأخشاه وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي.

وصل خالد بن سعيد بن العاص إلى ذي المروة<sup>(١)</sup> هرباً من جند (ماهان)، ووصل الخبر إلى أبي بكر فكتب إليه: أقم مكانك، فلعمري إنك مقدم بحجام، نجاء من الغمرات، لا تخوضها إلا إلى حق، ولا نصر عليه. ولما كان بعد، وأذن له في دخول المدينة - كما سرى - .

عاب أبو بكر الصديق الجيوش إلى الشام في مطلع السنة الثالثة عشرة فسار:

١ - يزيد بن أبي سفيان<sup>(٢)</sup> في سبعة آلاف بعد عزل خالد بن سعيد، وكانت وجهته دمشق، وكان أول أمراء الذين ساروا إلى الشام، وكان في جنده سهيل بن عمرو. ثم آمد أبو بكر يزيد بن أبي سفيان بأخيه معاوية بجند

(١) ذو المروة: قرية بوادي القرى.

(٢) يزيد بن أبي سفيان، أبو خالد، أسلم يوم فتح مكة، وبقي على صدقات بني قريظة، وكان أحد قادة فتح الشام، ولاء عمر فلسطين، ثم دمشق، توفي في طاعون صواس عام ١٨ هـ.

كثير ، ولما تم معاوية بندي المروة أخذ من بقي من جند خالد بن سعيد ، وسمح  
بعدها الصديق خالد بدخول المدينة .

٢ - عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين .

٣ - شرحبيل بن حسنة وسار إلى الأردن ، وقد استعمل على جند الوليد بن  
عقبة<sup>(١)</sup> ، وأخذ عندهما مر بندي المروة جمهور جند خالد بن سعيد .

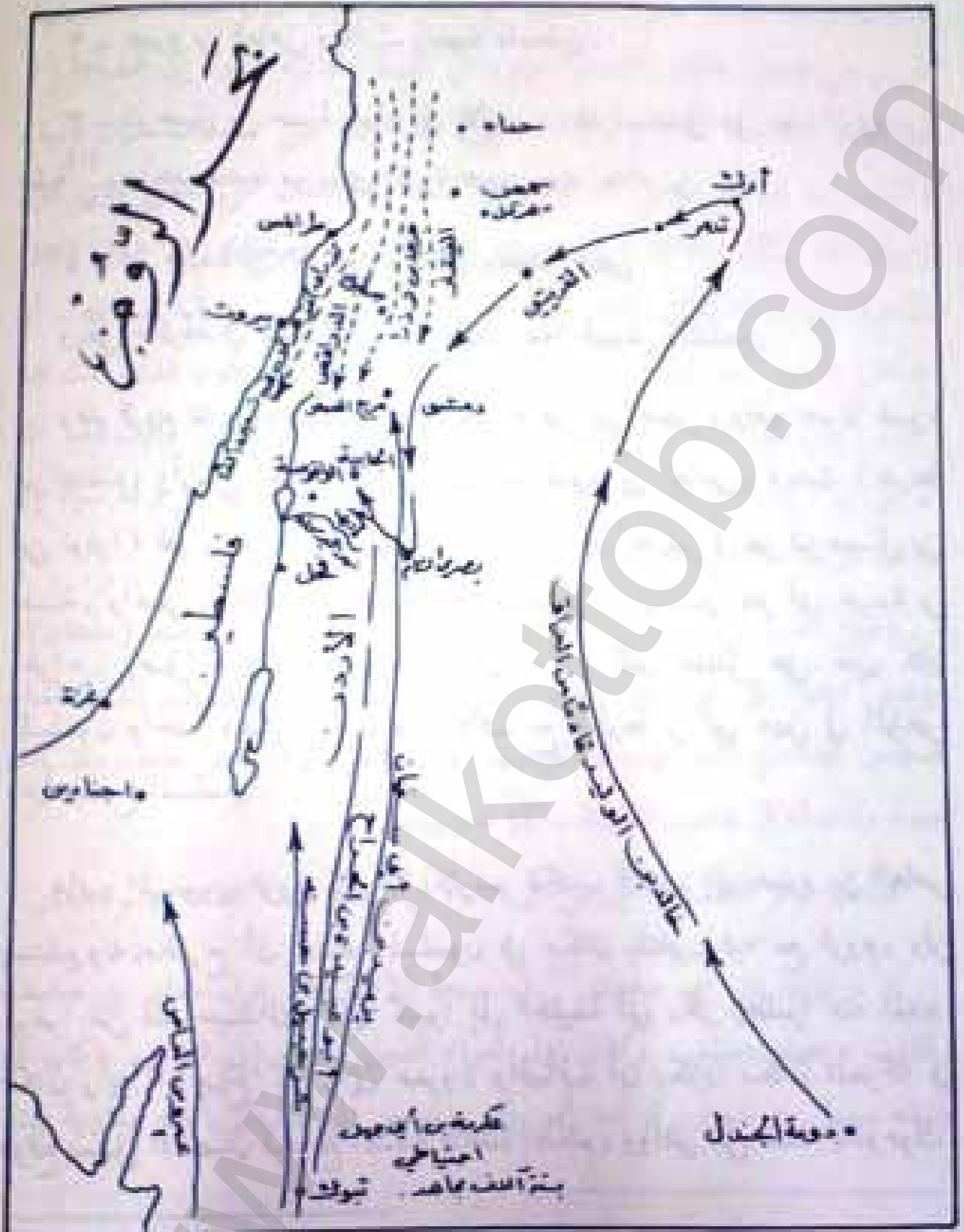
٤ - أبو عبيدة بن الجراح ، وكانت وجهته حصص .

وبقي عكرمة في ستة آلاف من الجند ردها للجيش المسلمين .

وعلم الروم بما عساه المسلمون ، فانتقل هرقل إلى حصص ، وجمع جوعاً غفيرة  
من جنده ، وأرسل أخاه (تذارق) ليواجه عمرو بن العاص ، وبعث (جرجة  
ابن توفرا) نحو يزيد بن أبي سفيان ، ووجه (الدراقص) نحو شرحبيل بن  
حسنة ، وأعطى أوامره لـ (الفيقار بن نسطوس) أن يسير نحو أبي عبيدة بن  
الجراح ، وصل عدد الروم يومذاك إلى ٢٤٠ ألف مقاتل على حين كان  
المسلمون واحداً وعشرين ألفاً و٦ آلاف مع عكرمة بن أبي جهل في المؤخرة  
دعماً لجمهور المسلمين .

هاب المسلمون الروم لما رأوا كثرتهم فكتب قادتهم إلى عمرو بن العاص  
يستشيرونه ، فاقترح أن يجتمع المسلمون في مكان يلتقون فيه مع الروم ، ولن  
يهزموا من قلة حينذاك ، كما كتبوا إلى الخليفة أبي بكر وطلبوا منه المدد ،  
فكان رأيه الاجتماع كما رأى عمرو ، وأضاف أن يكون مكان المعركة في  
موقع يسهل الاتصال فيه مع المدينة قاعدة الحكم ، ووافق على اللقاء باليرموك ،

(١) الوليد بن عقبة بن أبي سبيط ، أبو رهب ، من فتيان قريش وشعرانهم ، أخو عثمان بن عفان  
لأمه ، أسلم يوم فتح مكة ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق ، ولما هجر صدقات  
بني تغلب ، ولما هجر عثمان الكوفة ثم هجره ، توفي عام ٦١ هـ .



وكتب إلى خالد بالعراق أن يقدم إلى اليرموك لدعم المسلمين هناك وأن يكون هو الأمير .

سار خالد بن الوليد من الحيرة إلى قراقر حيث شيعه إليها المتسي بسن حارثة ، ومنها إلى سوى ، ثم تحرك إلى دومة الجندل ، وأغار خالد على مصبح هراء ثم تحرك نحو الشمال مع وادي السرحان إلى شرقي جبل حوران (الدرود) حتى وصل إلى (أرك)<sup>(١)</sup> ومنها إلى تدمر فالقرينتين<sup>(٢)</sup> . ولما علمت غسان بذلك ، اجتمعوا له بمرج راهط<sup>(٣)</sup> ، فسار إليهم ، وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتصر عليهم ، ثم سار إلى بصرى الشام<sup>(٤)</sup> ، وكانت أول مدينة افتتحها من بلاد الشام ، ثم ذهب إلى اليرموك فوصل إلى المسلمين في تسعة آلاف ولحقه جند المسلمين ستة وثلاثين ألفاً . وفرح المسلمون بوصول خالد لأن الروم كانوا قد وصلتهم إمدادات يامرة ماهان ومعه القساوسة والمطارنة والرهبان من أجل تشجيع المقاتلين . وربما يتساءل المرء لماذا هذه الطريق الطويلة التي قطعها خالد بن الوليد؟ إنه أراد ألا يصطدم مع الروم قبل الالتقاء بالمسلمين وبخاصة أنه أصبح أمير المقاتلين في الشام فلا بد من الوصول إلى جنده ليقودهم في القتال ، وإن خطة المسلمين كانت تقضي أن يكون القتال مجتمعين لا متفرقين ليتمكنوا من قتال الروم الذين يملكون أعداداً كبيرة تفوقهم بعشرة أمثال ، وللروم ثغور وسط البادية حيث كانت من قبل مسرحاً للمعارك الدائرة بينهم وبين الفرس ، فلو سار من الحيرة مباشرة نحو الغرب لاصطدم بتلك الثغور . ولأضاع على المسلمين تجمعهم في اليرموك وقيادته لهم ، ولهذا الحظر أن يسير

(١) أرك: مدينة صغيرة قرب تدمر، وهي ذات نخل وزيتون، وكل أهلها كانوا من النصارى .

(٢) القرينتين: قرية كبيرة من أعمال حمص ، وهي التي تدعى حورارين .

(٣) مرج راهط: يقع إلى الشمال من دمشق ، والمسافر من دمشق إلى حمص ما كان هل يساره فهو

مرج راهط ، ومن كان هل يجناه فهو مرج عذراء حتى التابها (ثنية العقاب) .

(٤) بصرى الشام: مدينة بحوران ، من قواعد الغساسنة ، وكانت مدينة رومانية ، ولها سوق

دائمة للعرب . ولا تزال فيها آثار رومانية ، منها المدرج الروماني المشهور .



نحو الجنوب لتجاوز تلك الثغور عن طريق دومة الجندل ثم اتجه شمالاً ، وعندما وصل إلى الشرق من بصرى الشام وجد نفسه أمام جبل حوران (الدروز اليوم) البركاني الصعب الاجتياز، فأراد الالتفاف حوله فوجد نفسه بسرعة المعروفة في منطقة تدمر، لذا عاد فرجع إلى الغرب عن طريق القريتين فثنية العقاب (الشايبا) فشرقي دمشق إلى بصرى ففتحها ومنها سار إلى اليرموك . هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن خالد بن الوليد طريقته الخاصة في القتال وهي التحرك بسرعة في عمق العدو والاعتراف على مواقع خصمه المتأخرة، ثم الانسحاب للخوض في معركة حاسمة، وعندها يشعر العدو أن مجموعات من خصمه لا تزال تعمل خلف خطوطه الأمامية، وستداهمه في الوقت المناسب من القتال الأمر الذي تضعف فيه معنوياته، ويبقى جزء من جنوده خارج المعركة لصد أي هجوم مرتقب من الخلف، وهذا ما رأيناه في قتاله في العراق إذ وصل إلى نقاط بعيدة من أرض العدو على حين لم تظهر أرض السواد بعد بل ولا منطقة الحيرة نفسها، ولم يأمن جانب المصالحين بشكل صحيح إذ سزاهم بتقصون العهد بعد ذلك . كما أن حركته كانت خلف ثغور الروم الأمر الذي يجعل الروم لا يستطيعون ترك مواقعهم خوفاً من أن يكون هناك اتفاق بين المسلمين والفرس وبخاصة أن خالداً كان في أرض فارس، كل هذا يجعل حركة خالد سهلة ويتقل بحرية كأنه يقوم بمناورة معروفة الخطأ .

وصل خالد بن الوليد إلى اليرموك، وصل في اليوم الأول بجندته الذين قدموا معه من العراق، ورأى الروم مجتمعين فجمع المسلمين وخطب فيهم قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا اليقني . أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بملككم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولا نقاتلوا قوماً على نظام وتعبية، على تسائد وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به والذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبت، قالوا : فهات، فما



الرأي؟ قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا ستبأسر، ولو علم بالذي كان ويكون، لقد جمعكم، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فإله الله، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجند، ولا يزيد عليه إن دانوا له. إن تأمر بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ. هلموا فإن هؤلاء تهبثوا، وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها. فهلموا فلتتجاوز الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم، ودعوني إليكم اليوم.

قسم خالد المسلمين إلى كراديس يتراوح عددها بين ٣٦ - ٤٠ كروياً ويقسم الكرويس الواحد ما يقرب من ألف مقاتل. وكان أبو عبيدة في القلب، وعمرو بن العاص وشرحيل بن حسنة في الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان في الميسرة، ومن أمراء الكراديس يومذاك القعقاع بن عمرو، ومذهور بن عدي، وغياض بن غنم، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص<sup>(١)</sup>، وسهيل بن عمرو<sup>(٢)</sup>، وعكرمة بن أبي جهل، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وحبيب بن مسلمة<sup>(٣)</sup>، وصفوان بن أمية<sup>(٤)</sup>، وسعيد بن خالد بن العاص، وخالد بن سعيد بن

(١) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، صحابي، خطيب من الغرسان، ابن أخي سعد بن أبي وقاص، أقام بالشام بعد فتحها، فقد عت باليرموك، وذهب مدداً لعنه سعد في القاسية، شهد صفين مع علي وكان قائد الرجالة فيها، وقتل في آخر أيامها.

(٢) سهيل بن عمرو العامري القرشي، من الذين وقفوا في وجه الإسلام، أسلم يوم فتح مكة، حسن إسلامه، خرج مجاهداً إلى الشام وهو خطيب قرشي، توفي بالطاعون بالشام عام ١٨ هـ.

(٣) حبيب بن مسلمة بن مالك النهدي، قائد فاتح، خرج مجاهداً أيام أبي بكر، وشهد اليرموك وفتح دمشق، ولاء أبو عبيدة الثقافية، توفى في أرمينية، تولى أمر الجزيرة وأرمينية والفرجينان توفي عام ٦١ هـ.

(٤) صفوان بن أمية بن وهب الجمحي القرشي، أبو وهب، من السادات في الجاهلية والإسلام، وقتل ضد الدعوة، أسلم بعد الفتح، شهد اليرموك، توفي عام ٤١ هـ، بمكة المكرمة.

الغاص<sup>(١)</sup>، وعبدالله بن قيس<sup>(٢)</sup>، ومعاوية بن حديج<sup>(٣)</sup>، والزبير بن العوام<sup>(٤)</sup>،  
وضرار بن الأزود.

وكان قاضي الجيش أبو الدرداء<sup>(٥)</sup>، والقاص أبو سفيان بن حرب<sup>(٦)</sup>،  
وعلى الغنم عبدالله بن مسعود، وعلى الطلائع قباث بن أشيم، وكان المقرئ،  
المقداد بن عمرو<sup>(٧)</sup>، وقد كان عدد الصحابة في اليرموك أكثر من ألف صحابي  
بينهم مائة من أهل بدر. وكان أبو سفيان يسر فيقف على الكراديس، فيقول:  
الله الله! إنكم زادة العرب، وأنصار الإسلام، وإنهم زادة الروم وأنصار  
الشرك! اللهم إن هذا يوم من أيامك! اللهم أنزل نصرك على عبادك!

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي، من تولاة الغزاة، من أوائل  
الذين أسلموا، ونال العذاب من أبيه (أبو أمية)، هاجر إلى الحبشة، فزار مع النبي،  
حضر فتح مكة، وغزوة تبوك، كتب لرسول الله، وبعثه مع ملاء على اليمن، استدعاه أبو  
بكر، وخرج مجاهداً استشهد في مرج الصفر عام ١٤ هـ.

(٢) عبدالله بن قيس الحارثي، حليف فزارة، أمير البحر في صدر الإسلام، استشهد عام  
٥٣ هـ، وهو بطرف متحفاً في أحد المواضع.

(٣) معاوية بن حديج بن جندب بن قيس، أبو نعيم الكندي، الأمير الصحابي، شهد صفين مع  
معاوية، وتولى له مصر بعد أن أخذها له، وولي غزو المغرب عدة مرات، تولى عام  
٥٢ هـ.

(٤) الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ابن عمه رسول الله، أبو عبدالله، الصحابي الشجاع، أول  
من سل سيفه في الإسلام، من أوائل الذين أسلموا، شهد المشاهد كلها مع رسول الله  
وحضر اليرموك، وهو أحد رجال الثوري، قتل غيلة عام ٣٦ هـ. بعد معركة الجمل.

(٥) أبو الدرداء، عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي، من الحكماء  
الفرسان القضاء، اشتهر بالشجاعة والعبادة، ولي الحديث وعويمر حكيم أمي، وولعه  
الفرس عويمر، ولاء معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، تولى عام ٣٢ هـ.

(٦) أبو سفيان حرب، صحابي، من حرب الأموي القرشي، وقف في وجه الإسلام، وقاد فريقه  
في ذلك، أسلم يوم الفتح وهو وأولاده من الشجعان، قاتل تحت راية ابنه يزيد، فقد حبه  
الأول في حين والثابة في اليرموك، تولى عام ٣١ هـ.

(٧) المقداد بن عمرو ويعرف بابن الأسود، أبو عمرو، صحابي، من الأبطال، من أوائل الذين  
أظهروا الإسلام، كان من سكان حضرموت فر منها إلى مكة، تولى عام ٣٣ هـ.

ونشب القتال، والنجم الناس، وتطارده الفرسان، ولم يلبث الأمر قليلاً حتى جاء البريد، يحمل موت أبي بكر، وتولية عمر، وعزل خالد وتأمير أبي عبيدة رضي الله عنهم. وكان الرسول بحجة بن زبير، ولكن خالدًا عندما سئل عن البريد، قال: السلامة وقرب وصول الأمداد.

وكانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه يوم الاثنين ٢٣ جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة من هجرة رسول الله ﷺ، وبدا تكون خلافته، سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

وإذا كانت الفتوحات الإسلامية في عهد الصديق تبدو ضيقة الرقعة إلا أننا يجب أن نضع في خلدنا الملاحظات التالية:

١ - قصر مدة خلافة الصديق.

٢ - القضاء على حروب الردة التي شملت الجزيرة كلها.

٣ - كانت المعارك التي جرت في عهد الصديق بين المسلمين من جهة والفرس والروم من جهة ثانية، قد دوخت أعداء الإسلام، وأظهرت قوة المسلمين وامكاناتهم القتالية.

شعر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بشيء من الراحة النفسية بعد أن قضى على المرتدين، وانطلقت الفتوحات في كل الجهات، وتحطمت كبرياء الدولتين الكبيرتين اللتين كانتا تقفان في وجه الدعوة، وتدعمان المرتدين، وتستغفران قوائها ومن والاهما من العرب المتصرة، كل ذلك في سبيل القضاء على الفكرة الجديدة، وفي الوقت نفسه، فقد شعر أن مهمته في الحياة قد انتهت، فقد توطد الأمر، وثبت كيان الإسلام، وسيتابع الأمر الخلفاء من بعده، كما زاد شعوره في هذا الأمر أن سنة قد اقترت من سن حبيبه ورسوله محمد ﷺ عندما فارق الحياة الدنيا وانتقل إلى الرفيق الأعلى. كما شعر أن استخلاف رجل من بعده وهو على قيد الحياة، يجنب المسلمين الكثير من الصعاب، وقد أشفق عليهم أن



يختلفوا ويرهد في هذا المنصب أهله ، ويتعد عنه من يستحقه ، وقد تداعى إلى  
ذهبه ما حدث عند وفاة رسول الله ﷺ عندما لم يخطر على بال المسلمين وفاة  
نبيهم ، وحين ثقل عليهم مصابهم ، والأمر لا بد له من خليفة يطبق منهج الله في  
الأرض . إذن لا بد من استخلاف رجل يخلفه ، ولا بد من الاستشارة ، ولاح  
في ذهنه أولئك الصحابة الذين كان رسول الله ﷺ يستشيرهم ، وكثرت في  
نفسه شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومواقفه في الإسلام ، وقوته في  
الحق ، وهيبته في النفوس ، ونظرة المسلمين إليه ، ولكن كان لا بد من أخذ  
رأيهم واستشارتهم ، ولو كان الأمر منهم لكان أفضل .

وشعر أبو بكر بالمرض ، واشتد عليه ونقل فجمع عدداً من الصحابة  
المعروفين الذين كان رسول الله ﷺ يشاورهم في الأمر ، وقال لهم : إنه قد  
نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتا لما بي ، وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتي ،  
وحل عنكم عقدي ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتهم ، فإنكم إن  
أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي .

فقاموا في ذلك فلم يستقم لهم أمر ، وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه  
ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية ، لذا رجعوا إليه ، فقالوا : رأينا يا  
خليفة رسول الله رأيتك ، قال : فأمهلتوني حتى أنظر الله ولديته ولعياده .

دعا أبو بكر عبدالرحمن بن عوف فقال له : أخبرني عن عمر بن الخطاب :  
فقال له : ما نسألك عنه أمراً إلا وأنت أعلم به مني . فقال له : وإن ، فقال  
عبدالرحمن : هو أفضل من رأيتك فيه .

ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال له مثل ذلك ، فقال : علمي به أن سريرته خير  
من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله ، فقال أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته  
ما عدتلك .

ثم دعا أسيد بن حضير فقال له مثل ذلك ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة

بعدك. يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يستر خير من الذي يعلن،  
ولن ينل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم  
تقريباً كانوا يراي واحد في عمر إلا رجل خاف من شدته، وقد عاتبه بعضهم  
باستخلافه فقال أبو بكر: لا والله ولا نعمة عين، هو والله خير لكم، والله لو  
وليتك جعلت أنفك في السماء ولرفعت نفسك فوق قدرك حتى يكون الله هو  
الذي يضعك، تريد أن تردني عن رأيي وتفتني في ديني؟ فوالله لئن بلغني أنك  
تصبت أو ذكرت بسوء لأفعلن ولافعلن... ثم دخل على أبي بكر عثمان وعلي  
فقال لهما مباشرة لعلكما تقولان في عمر ما قال فلان أنفاً؟

قالا: وماذا قال يا خليفة رسول الله؟

قال: زعم أن عمر أحدثكم إسلاماً و... ..

فقال عثمان رضي الله عنه: بشي لعمر الله ما قال فلان، عمر بحيث يحب  
من قوته مع سابقته.

وقال علي رضي الله عنه: بشي ما قال، عمر عند ظنك به، ورأيك فيه، إن  
وليته - مع أنه كان والياً معك - نحطلي برأيه وتأخذ منه، فامض لما تريد، ودع  
مخاضة الرجل فإن يكن علي ما ظننت إن شاء الله فله عمدت، وإن يكن مالا  
ظن لا ترد إلا الخير.

ودخل عبدالرحمن بن عوف على أبي بكر الصديق بعوده في مرضه الذي  
مات فيه فوجده مقنعاً، فقال له عبدالرحمن: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال:  
أبره ذلك؟ قال: نعم، قال: أما إني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم  
أبها المهاجرون أشد علي من وجعي، إني وليت امرئ خيركم في نفسي، فكلكم  
ورغم أنه أن يكون له الأمر دونه ورأيت الدنيا قد أقبلت، ولما تقبل، وهي  
مقنعة، حتى تتخذوا مشور الحريز وشائد الديباج، وحتى يأم أحدكم

بالاصطجاج على الصوف الأثري<sup>(١)</sup> كما يأنم أحدكم إذا نام على حسك  
السعدان<sup>(٢)</sup>، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد، خير  
له من أن يخوض غمرات الدنيا، ثم أنتم غدا أول ضال بالناس يمينا وشمالا، لا  
تضيعوهم عن الطريق، يا هادي الطريق جرت، إنما هو الفجر أو البجر<sup>(٣)</sup>.  
فقال له عبدالرحمن: حفظ الله عليك يرحمك الله فإن هذا يهبطك إلى ما بك،  
إنما الناس في أمرك رجلان: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل  
رأى ما لم تر فهو بشير عليك بما يعلم، وصاحبك كما تحب أو كما يحب، ولا  
تعلمك أردت إلا الخير، ولم تزل صالحاً مصلحاً مع أنك لا تأسي على شيء من  
الدنيا.

ودخل بعض الصحابة على أبي بكر وقد علموا باستشارته في عمر، فقال  
أحدهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى  
غلفك، وهو إذا ولي كان أظف وأغلظ؟ فقال أبو بكر: أجلسوني فلما جلس،  
قال: أيا الله تخوفوني؟ خاف من تزود من أمركم بظلم. أقول: اللهم إني قد  
استخلفت على أهلك خير أهلك، ثم قال للمقاتل أبلغ عني ما قلت لك من  
وراءك.

ثم اصطجع ودعا بعثمان، فقال له: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما  
دعا به أبو بكر ابن أبي قحافة، في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده  
بالآخرة داخلها فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني  
استخلف عليكم بعدي... وأخذته غشية قبل أن يسمي أحداً. فكتب عثمان  
رضي الله عنه: إني استخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب... ثم أفاق أبو  
بكر فقال: اقرأ علي ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر، ففكر أبو بكر، وقال:

(١) الأثري: نسبة إلى الأثريجان، وهو صوف شديد التعمية.

(٢) حسك السعدان: نبات كثير الشوك.

(٣) البجر: الدهاء والمعنى في الفجر تبصر الطريق، وفي الظلمة تنزل بالمكروه.

أراك خفت أن تذهب نفسي في غشي تلك فيختلف الناس ، فجزاك الله عن  
الاسلام خيراً ، والله إن كنت لما لأهلاً . ثم أمره أن يتم فأمل عليه : فاسمعوا  
وأطيعوا ، وإن لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل لذلك  
علي به وعلمي فيه ، وإن بكل فللكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردت ، ولا  
أعلم الغيب ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته . ثم أمره فحتم الكتاب وخرج به محتوماً ، ومعه عمر بن الخطاب  
وأسيد بن حضير . وأشرف أبو بكر على الناس من كونه فقال : أيها الناس إنني  
قد عهدت عهداً ، أفترضونه ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله ﷺ ،  
فقام علي رضي الله عنه فقال : لا نرضى إلا أن يكون عمر .

فأقروا بذلك جميعاً . ورضوا به ، ثم بايعوا . فرفع أبو بكر رضي الله عنه  
بديه فقال : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعلمت  
فيهم ما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً ، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم  
عليه ، وأحرصهم علي ما أرشدكم . وقد حضرتي من أول ما حضر ، فأخلفتني  
فيهم ، فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، فأصلح لهم أميرهم ، واجعله من خلفائك  
الراشدين ، يتبع هدى نبي الرحمة ، وهدى الصالحين بعده ، وأصلح له رعيتاً ، ثم  
دعاه فأوصاه .



## وَصِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، قال: أما إننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، فانظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي وأبرأوا منه، فإني قد كنت استحلته واستصلحته جهدي.

وسأل عن يوم هذا فقيل له: الإثنين، قال: فأني يوم قبض رسول الله؟ فقيل الإثنين، وسأل عن كفن رسول الله فقيل له: ثلاثة أثواب بيض سحوية بياض ليس فيها قميص ولا عمامة. فقال أبو بكر: انظروا ملاقي هاتين، فإذا مت فاغسلوهما وكفنوهن فيهما، فقيل له: قد رزق الله وأحسن تكفلك في جديد، قال: إن الهى هو أحوج إلى الجديد ليصون به نفسه عن الميت، إنما يصير الميت إلى الصديد، وإلى البلى.

وقال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي الذي يمكن كذا وكذا فيها، وهذا المبلغ هو مجموع ما أخذه من بيت المال مدة خلافته كراتب له أو كتعويض عن تركه التجارة واشتغاله بأمر المسلمين وهي حق له.

إذن كانت وصية أبي بكر رضي الله عنه ما يلي:

١ - يرد ما عنده من مال إلى بيت مال المسلمين عن طريق الخليفة عمر بن الخطاب.

٢ - يرد بيتان يملكه إلى بيت مال المسلمين عوضاً عما أخذه من بيت المال مدة خلافته.

٣ - أن يتصدق بمقدار خسي ما يملك من أرض العالية<sup>(١)</sup>، وما يبقى يقسم بين أولاده وهم:

عبدالرحمن

محمد

أسياء

عائشة

وما تصع حية بنت خارجة، ويتوقع أن تكون أنثى. وقد أوصى بها أولاده خيراً، (وبالفعل فقد وضعت أنثى - وهي أم كلثوم -).

٤ - أن يكفن بثوبه بعد غسلها.

٥ - أن تغسله زوجته أسياء بنت عميس، وأن يدفن بجانب رسول الله ﷺ.

ولما مات أبو بكر أرسل أهله ما ترك إلى الخليفة، وإذا هي عبد نولي كان يجعل صبيانه، وناصح يئسى عليه فيسقي بثناً له، وجرود قطيفة... فلما تسلمها الخليفة عمر سالت دموعه، وقال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، ويردد هذه العبارة...

وأمر الغلام أن يرفع تلك التركة، فقال عبدالرحمن بن عوف: سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرود قطيفة ما تساوي حبة دراهم؟ قال: فماذا تأمر؟ قال: تردهن على عياله. قال لا والذي بعث محمداً بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولم يكن أبو بكر ليخرج منهن عند الموت، وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك.

أما البستان، فقد قال عمر فيه: يرحم الله أبا بكر، لقد أحب أن لا بدع

(١) من أموال بني النضير، كانت من نصيبه بعد إجلاء بني النضير عنها.

لأحد بعده مقالة، وأنا ولي الأمر من بعده قد رددتها على عباله، ورفض أن يأخذ البستان.

واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً، ثم توفي يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكانت سنة ثلاثاً وستين سنة.

وخطبته زوجته أسماء بنت عميس حسب وصيته، ودفن بجانب رسول الله ﷺ، وصلى عليه خليفته عمر بن الخطاب، ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبدالرحمن.

وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم وفاة أبي بكر فوقف بالباب وقال: رحك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على رسول الله ﷺ، وأحدثهم على الإسلام، وأحناهم على أهله، وأشبههم برسول الله خلقاً وخلقاً وهدياً وسنة، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله خيراً، صدقت رسول الله حين كذب الناس، وواست حين يخلوا، وقمت معه حين قعدوا، وأسألك الله في كتابه صديقاً (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) يريد محمداً ويريدك، وكنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً، لم تقل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تحين نفسك، كنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف - كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدئك قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض كبيراً عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هواة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمتنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك.

## نظرة إلى المجتمع أيام خليفته رسول الله

إن أول وأهم صفة يتميز بها المجتمع الإسلامي عدم وجود الطبقات فيه، فالناس كلهم متساوون كأسنان المشط الواحد، لا فرق فيه بين الأجناس أو الألوان بل وحتى بين العقائد من حيث الحقوق والواجبات، وهذه المساواة مساواة حقيقية تنبع من العقيدة التي مقرها القلب، وليست مساواة نظرية مدونة تنطلق من النظريات الفلسفية التي يقصد منها المزاودة والمتاجرة لتأمين المصالح والوصول إلى بعض الأغراض. وأعضاء المجتمع الإسلامي يحترم فيه الكبير، ويعطف بينهم على الصغير، ويحرص على تأمين الحاجات لأصحابها. ويعيش الناس كلهم ضمن أسرة واحدة كبيرة متعاونة متكاتفة متكاملة. فالخليفة وهو يمثل رأس السلطة لا يعد أفضلهم أو أكرمهم أو له ميزات تجعله يختلف عن سواه أو يتميز عن غيره، فهو لا يتميز عن بقية أفراد المجتمع في ركوبه أو لباسه أو طعامه أو في سكنه واحتجابه عن رعاياه، كما ليست له صفة تجعله في طبقة خاصة هو وأسرته يستطيع من خلالها التسلط أو نيل حقوق لا يتمكن غيره من الحصول عليها. بل هو فرد عادي أوصلته إمكاناته واستعداداته الفطرية وإخلاصه في عمله وتضحياته من أجل عقيدته للوصول إلى مركز قيادة الأمة وإدارة شؤونها، فهو يعيش بين أفراد المجتمع، يسير معهم في الشوارع، ويذهب معهم إلى السوق يبيع ويشترى ويساوم، وقد يكون بيته أكثر تواضعاً وليس له بيت عام يعيش فيه، وأثناء ذهابه هذا، وفي وقت

وجوده في السوق يعطي التعليقات لمن يراها ضرورة له، ويلاحظ مقدار انسجام معاملة الناس مع الشريعة الإسلامية، ويراقب إن كان هناك ذور حاجة، ويُسأل في الطريق عن بعض الموضوعات، ويلتقي مع الأفراد في الندوات، ويتبادل معهم الآراء، ويناقش في ضرورات الناس وحاجاتهم، وما تقتضيه ظروف الدولة، وأخبار الجهاد، وأبناء المقاتلين.

لقد كان خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب شياه الحمي لأصحابها، وفي الليل يتفقد الناس، ويسهر على مصالحهم، وهم نيام، ويحرس طرقات المدينة عندما خلت من القوة بعد تسير بعث أسامة بن زيد رضي الله عنها.

وقد انصرف الناس أيامه إلى قتال المرتدين، وإلى الفتوحات، وبقي في المدينة عدد من الصحابة أمثال: عمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وأسيد بن حضير وغيرهم، ولم يكن بقاء هؤلاء تقاعساً عن الجهاد - معاذ الله - وإنما استبقاهم الخليفة لاستشارتهم والاستئذان بأرائهم إضافة إلى حماية المدينة فقد كانوا - كما رأينا - على أنقائهم، وعلى صلة مستمرة بالمسلمين الذين كانوا في المسجد مع الخليفة على أهبة الاستعداد لكل طارئ، وعلى اتصال بالخليفة نفسه، ولم يكن هؤلاء مع جلاله قدرهم ليميزوا عن بقية المسلمين، وإن كانوا يلقون كل احترام وتقدير من كافة المسلمين، وما ذلك إلا بسبب سابقتهم في الإسلام، وصحبتهم المستمرة لرسول الله، وجهادهم الطويل في سبيل الله، وتضحيتهم من أجل الدعوة، ومع هذه النظرة التي ملؤها التوقير واستشارة خليفة رسول الله لم فلم يكن لهم أية مميزة، بل كان كل فرد من المجتمع يمكن أن يقاضيه، وأن يقتص منهم فيما إذا اخطؤوا، وأن يرد عليهم، وليس بينهم وبين أي فرد من عامة الناس أي فرق.

أما المجاهدون الذين اندفعوا إلى القتال من تلقاء أنفسهم، إذ لم تكن هناك

جندية إجبارية أو إكراه على الخروج، وإنما كان المسلمون يخرجون للجهاد في سبيل الله لنيل الشهادة أو إحراز النصر والدعوة في سبيل الله، يدفعهم إلى ذلك كله طلبهم لإرضاء الله بأداء مهمتهم في الحياة على الصورة المطلوبة.

لقد كان هؤلاء المجاهدون كتلة واحدة وراخوة حقيقيين بمعنى الأخوة الإيمانية، وقد وقعت حوادث كثيرة كان الرجل فيها يسرع لتلقى الضربة عن أخيه يسبقه فيها إلى الشهادة حرصاً على أخيه ودفاعاً عنه وتفضيلاً له، وكان طعامهم واحداً ولباسهم يتشابه في البساطة لا يختلف في ذلك الأمير قائد الجيش والجندي الصغير، بل إذا قُدّم طعام لأمر كان يسأل هل أكل الجندي جميعاً من هذا النوع؟ ولم تكن يده لتمتد قبل أن يتأكد أن جنده كافة قد حصلوا على ما ناله هو، وقد يكون قائد الجندي اليوم، ويصبح غداً جندياً يقاتل تحت إمرة أحد جنده بالأمس، ولا يختلف الأمر عنده أبداً بين كونه قائداً أو جندياً، لا من حيث القتال فقط، وإنما من حيث احترام الأفراد له، ولكن تختلف طاعة الأفراد له وتنفيذ الأوامر والسؤال في الخطة وأسلوب القتال.

ولم يكن الجندي في الثغور ليفكر في أهله أو بلده، إذ أن أهله يعيشون بين أفراد مجتمعهم الذين هم إخوانهم، وهم يكلفونهم إضافة إلى العقيدة الراسخة التي تقضي أن يعتقد المرء أن الله هو وليهم في الدنيا والآخرة، ومن هذا المنطلق لم يفكروا في بلدهم، فإن لها حانتها وهم المسؤولون عنها وعن يعيش فيها، والخليفة هو المسؤول الأول. أما الجندي فكان مهمهم الجهاد ونشر الدعوة.

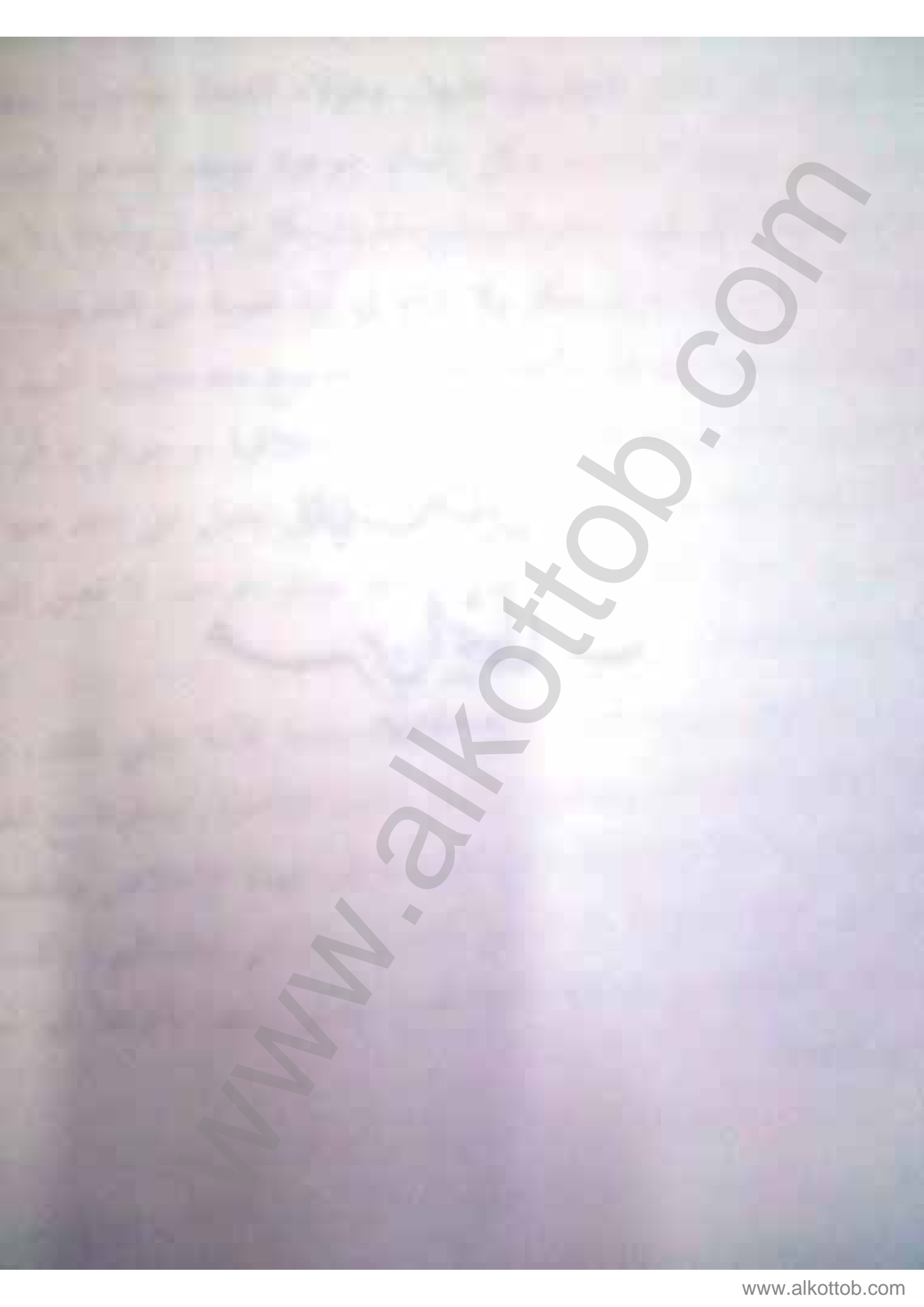
وتوزع الغنائم بالتساوي بين المشاة وكذلك بين الفرسان، ومن قتل رجلاً فله سلبه، وما كان القتال والالتقاء حول الرايات حسب القبائل إلا لتمتاز بالشجاعة، ومحاولة عدم الهزيمة حتى لا تعبر، وقد كان عباد بن بشر رضي الله عنه ينادي الانتصار يوم الهامة أن يمتازوا عن غيرهم بالإقدام والحمل على الأعداء.

وأفراد المجتمع الذين يعيشون في المدن والقرى والبادية، ولم يخرجوا  
للمقتال لضعفهم وكلهم من النساء والأطفال والمعجزة، ولا يعدّ الإنسان نفسه  
عاجزاً ما دام يستطيع حمل السلاح. ولم من رجل قد جاوز الثمانين فإذا دعا  
داعي الجهاد المخروط بين صفوف المقاتلين وراح يقلد الشباب، وذلك لأن الجهاد  
غاية يسعى كل مقاتل للحصول عليها. وهؤلاء القعدة متعاونون بعضهم مع  
بعض لأخر حدود التعاون، وكل إنسان موجود بينهم بعدهم أهله، وهو  
مسؤول عنهم في كل شيء. وهم بشرون ويشتركون بكل صدق وأمانة، لا يوجد  
غش ولا خداع ولا يعرف مكر ولا نزاع في أية قضية من القضايا ما دامت  
الشريعة تمنع هذا وتحاربه. وأعضاء هذا المجتمع متعاونون أشد أنواع  
التعاون، متكافلون، ولم تحدث هناك حوادث أخلاقية أو جرائم إذ أن تطبيق  
الحدود يحول دون انتشار الفساد بل على العكس يعمل على الحد منها، وما  
حدثت من حوادث أيام تطبيق الإسلام كلها سوى حوادث لا تصل إلى عدد  
أصابع اليد الواحدة.

والمرأة تؤدي دورها كاملاً، فهي تعرف حاجة الأمة وتلبي ذلك، بتربية  
الأولاد التربية الصالحة، وشحنهم بالإيمان الشحنة الكافية، والحياة مع الضرائر  
إن تعددوا حياة الأخوة الحقة، ومع الجوار تعيش عبثة الإخلاص والتضحية،  
تشارك في المواساة والتعزية، فتش مع أبنيتهم، وتبكي لبكائهم، وكذا في  
المسرات فتضحك مع ابتسامه الحياة لهم، وتوحي إليهم بأعمالها أنها تعد  
بجياتهم السعيدة.

الباب الثاني  
عشرين الخطاب  
رحمى اللعنه





www.alkottob.com

## حياته في الجاهلية

عمر بن الخطاب من بني عدي، وهم بطن صغير من قريش، وقد عُرف أبوه الخطاب بخلافة طبعه وقسوة قلبه، فعرف بعذابه لابن أخيه زيد بن عمرو الذي أنكر على قريش عبادتهم للأصنام مع من أنكر أمثال ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث. إذ اجتمعت قريش يوماً في عبد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عليه ويدبنون له، وكان ذلك عبداً لهم في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نجياً، وهم الذين ذكرناهم، فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم! ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً، فإنكم والله ما أنتم على شيء. ففرقوا في البلدان يلتمسون الخفية، دين إبراهيم.

لقد همّ زيد بن عمرو بالخروج من مكة يطلب دين إبراهيم إلا أن زوجته صفية بنت الحضرمي كانت له بالمرصاد، فكلما رأته تها للخرج وأرداه أعلمت عمه الخطاب بن نفيل فمنعه من الخروج، وهو الذي كان قد كلف صفية بذلك، وقال لها: إذا رأيتيه قد همّ بأمر فأذني به. ولم يدخل زيد في يهودية ولا نصرانية، ولكنه فارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والمبته والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل المرمودة، وقال: أهد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيد ما هم عليه.

وكان زيد يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته. وكان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: ليك حقاً حقاً، تعبداً ورقاً.

وكان الخطاب يعذب زيداً، ويعاتبه، ويلومه على مفارقة دين قومه، ويمنعه من الخروج، وكل هذا بمنتهى الشدة والجلالة، والقسوة وعدم الشفقة. وروث عمر عن أبيه هذه الطباع.

ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الثامنة والأربعين قبل الهجرة، فكان عمره يوم بعث رسول الله ﷺ تسعة وعشرين عاماً، واستمر بعدها على جاهليته مدة ست سنوات إذ معلوم أنه قد أسلم في السنة السادسة للبعثة، ثم دخل في الإسلام، وهذا يكون قد عاش في الجاهلية خمس وثلاثين عاماً، وعاش ثلاثين عاماً في الإسلام.

عاش عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمسة وثلاثين عاماً في الجاهلية لم يكن له فيها مركز ولا شهرة، ولولا الإسلام لما اشتهر، ولما عرفه أحد بعد ذلك. قضى تلك المدة في الجاهلية، وعرف أنه كان سفير قريش بينها وبين القبائل الأخرى فيها إذا وقع بينها خلاف أو حدث قتال. ولم تكن هذه النسبة إلا صورة لأن قريشاً لم تكن قبيلة محاربة، ولم تعرف بالفرز والقتال، وإنما كانت قبيلة متحضرة تجارية يهملها الأمن والاستقرار حرصاً على قوافلها ومصلحة لتجارها، وهي تعيش في حرمتها آمنة مطمئنة... هذا إضافة إلى أن مركزها بين القبائل العربية الأخرى كان موضع الاحترام لا موضع الخصام والعناد لأنها تعيش في الحرم الأمن، وتخرج القبائل إلى البيت الأول الذي فيه ذكر أبيهم إبراهيم وإسماعيل، وتؤدي المناسك، وقريش تقوم بمدانة البيت وحجابه، كما تقوم برفادة الحجاج وسقائهم. وما وقع من حروب الفجار واشتركت في

قريش ومن معها من كثانة ضد قبس عيلان، وهو آخر ما وقع من حروب، فقد كان عمر رضي الله عنه آنذاك صغيراً لم يتجاوز الثلاث سنوات من العمر، وهذه آخر الحروب التي وقعت بين قريش وغيرها أيام عمر، وبالتالي لم تكن هناك من سفارات، أو أن عمر لم تكن له مهمة في قريش، فهو فرد عادي في المجتمع، وبالأحرى فهو عضو مهمل الذكر ضعيف الشأن، شأنه في ذلك شأن أسرته القليلة الأهمية بين الأسر المعروفة آنذاك مثل بني عبد مناف وبني مخزوم وبني عبد الدار وغيرها، بل كان أقل أهمية من أسرته التي كان عضواً فيها، إذ أن المجتمع الجاهلي الذي كان يعيش فيه يقوم الرجال حسب مقاييس معينة واعتبارات محددة، ولعل أهم هذه المقاييس هو المال وعمر لا يملك إلا القليل منه، والقوة أيضاً أحد جوانب هذه المقاييس، والقوة تتعلق بالأسرة وكبرها وكثرة أفرادها، وبني عدي عدد قليل كما ذكرنا، وعمر لا يملك إلا أخاً واحداً أسن منه، وهو زيد، إضافة إلى صبية صغار. وليست هذه السفارة إلا أنه يمثل بطناً من بطون قريش.

ومات زيد بن عمرو ومات عمه الخطاب، وبقي عمر وجهه بني هدي، وسفير قريش، وطباعه الجلفة هي التي تميزه، ويُعرف بها.

وشع نور الإسلام في مكة، وأمنت به جماعات من فئات شتى وقبائل عدة، وكان من بني عدي أن آمن سعيد بن زيد ابن عم عمر، وزوجه فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، ونعم بن عبدالله من قوم عمر وآخرون من بني عدي، أما عمر فلم يسلّم وتمسك بجاهليته تمسك الإنسان الجلف الذي إذا اقتنع بشيء لا يمكن أن يغير أبداً إلا إذا اقتنع بشيء آخر ولن يكون هذا بسهولة. وإذا عمر قد ورث عن أبيه هذه الطباع الصعبة، إلا أنه قد أخذ عن خاله أبي جهل عمرو ابن هشام معاداته الصريحة للإسلام، والوقوف في وجهه، فأمر عمر حنطة بنت هشام وهي أخت أبي جهل عمرو بن هشام، لذا فقد قسى على ابن عمه سعيد بن زيد زوج أخته فاطمة قسوة كبيرة، كما قسا القسوة نفسها على شقيقته فاطمة

إذ أسلموا دون هلع.

كان رسول الله ﷺ يجمع المسلمين الإثنين والثلاثة والأربعة منهم في بيت من البيوت ويرسل إليهم من يعلمهم مبادئ الإسلام ويقرئهم القرآن، وكان من جملة هذه الأسر، أسرة ضمت سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب، ونعيم بن عبد الله النحام رجل من قوم عمر، وكان خطاب بن الأرت<sup>(1)</sup> يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام.

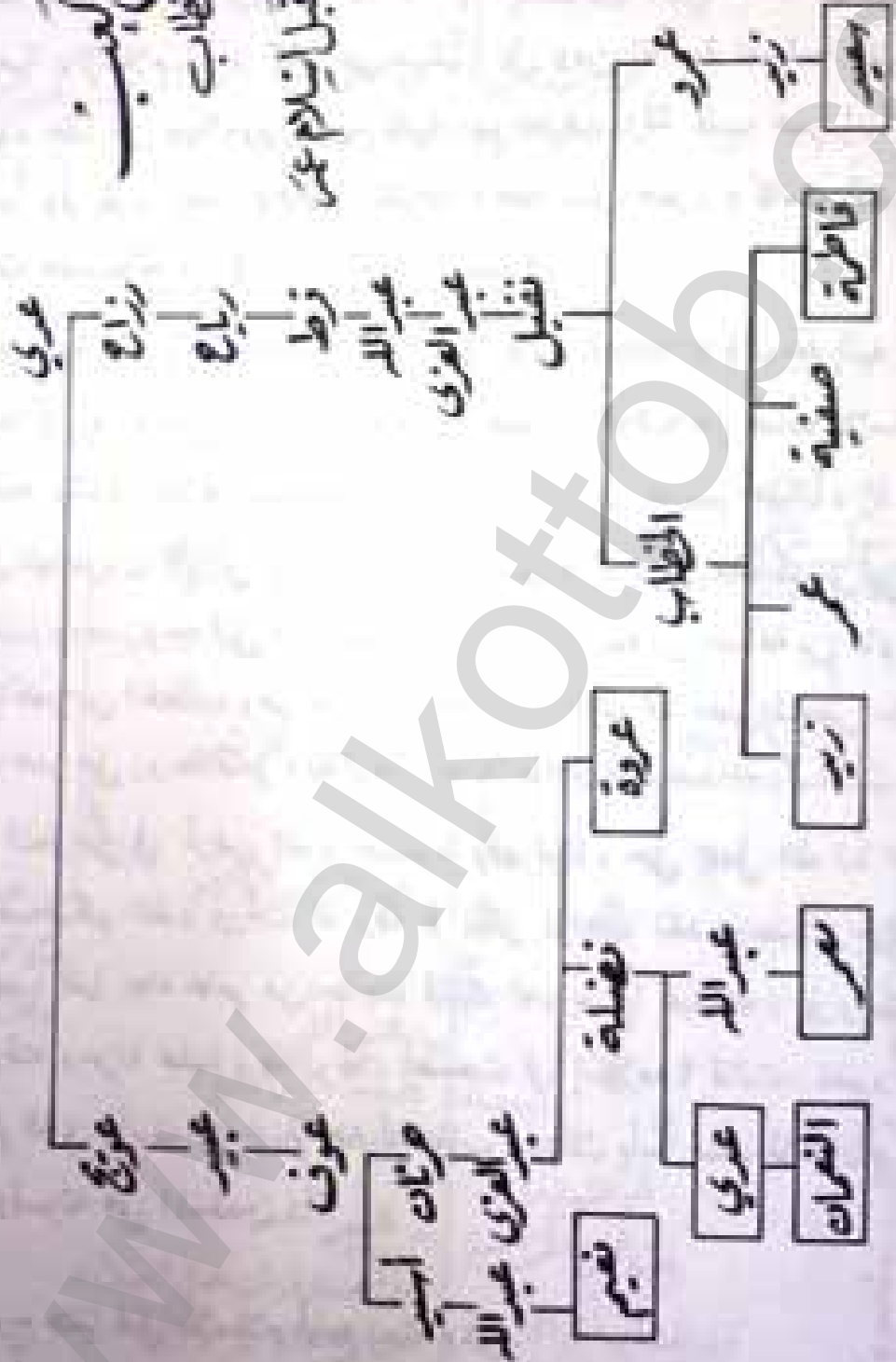
شعر عمر بن الخطاب بالغضب الشديد، والأسى الكبير، عندما لاحظ تفرق كلمة قريش بين مسلمها وكافرها، بعد أن وقف وجهاء قريش في وجه الدعوة، وحاولوا منعها. وبينما كان مرة في البيت إذ ذكروا له أن محمداً ﷺ يجتمع مع رهط من أصحابه الذين لم يهاجروا إلى الحبشة أمثال حمزة بن عبدالمطلب، وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وذلك في بيت عند الصفا فاشتد غضبه، فتوشح سيفه نحوهم، يريد إنهاء هذه المشكلة، ويتقضي على ما حل في قريش من تفرقة، وانطلق يبدو على وجهه الغضب، والتقى بالطريق مع نعيم بن عبد الله وهو رجل من قومه، ومن الأسرة المسلمة التي يلتقي فيها سعيد ابن زيد ابن عم عمر وزوجه فاطمة أخت عمر... وسأل نعيم عمر إلى أين يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصائس، الذي فرق أمر قريش، وسفاه أسلامها، وهاب دينها، وسب آلتها، فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟

خطاب بن الأرت: رجل يتسب إلى لحم، وقع في يدي فاشتدته أم الفار بنت سباع الخراعية، وأعتقت، فكان لذلك خزانة بالولاء، وكان أبوها حليفاً لبي (زهره)، لذا نشأ زهرياً بالخلف، كان من أوائل الذين أسلموا، وثقته في الدين، وتولى تعليم غيره، حضر المشاهد كلها. تولى بالكوفة سنة سبع وثلاثين من الهجرة بعد أن شهد مع علي صلح النهروان.

# بنو عدي بن كعب

قوم عربون الطاب

الذين أتوا قبل إيلام عم



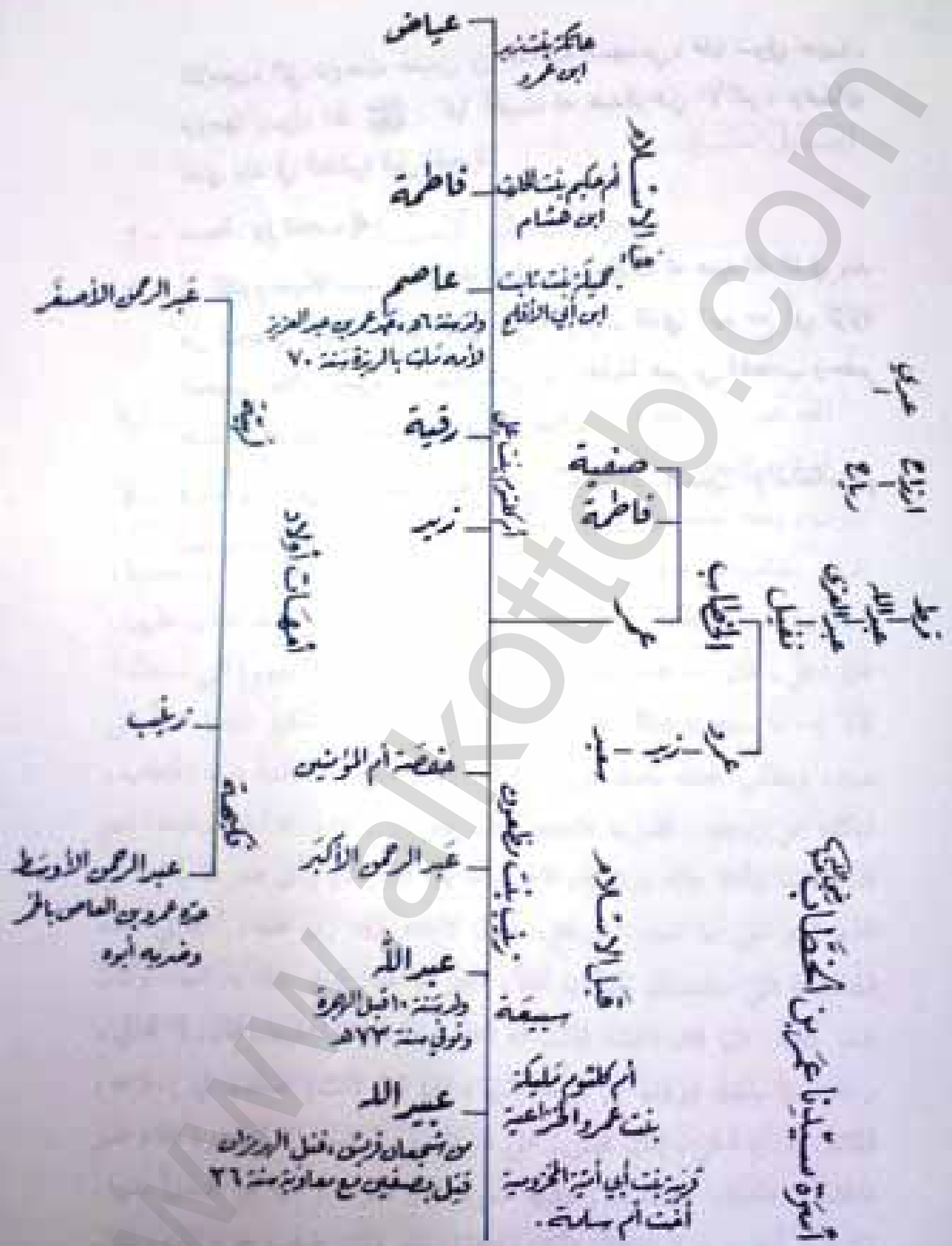
قال: أختك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلمنا، وتابعا محمداً على دينه، فعليك بها، قال نعم ذلك: خوفاً من انطلاقه إلى رسول الله، فلربما حدث ما يكره، ففضل أن ينال سعيد وزوجه فاطمة بعض الأذى وينجو محمد عليه الصلاة والسلام... ولم يقل ذلك كراهية بالإسلام، إذ كان هو مسلماً، بل ومن الأسرة المسلمة التي تحمه معها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فهو يعرف رقة قلب عمر إن لم يكن مفضياً ولم يثره أحد. وهكذا تغيرت وجهة سير عمر، وكانت النتيجة أن تغيرت عقيدته ودخل في الإسلام - كما سئرى - .

مع شدة عمر وجلالة طبعه كان رقيقاً طيب القلب، إذا لم توجه إليه كلمات تغضبه أو إذا لم تكن إثارة مباشرة له. فمع ما عرف من عناده للإسلام في جاهليته وشدة إيذائه للمؤمنين فإن قلبه كان يرق عليهم أحياناً، إذ عندما انطلق المهاجرون الأوائل إلى الحيشة، وكان فيهم عامر بن ربيعة وهو من بني عدي بالخلف، ومعه زوجته ليل (أم عبدالله) بنت أبي حنيفة بن حذافة بن غام، فمر عليهم عمر بن الخطاب وهو على شركه، وكان عامر قد مضى لبعض حاجته، فوقف عمر على زوجة عامر، فقال لها: إنه للانطلاق يا أم عبدالله، قالت: نعم والله، لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً، قال: صحبكم الله، ورأت له رقة لم تكن تراها، لقد وجدت حزنه على خروجهم، فلما جاء عامر من حاجته قالت له، يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا، فقال لها: أطمعت في إسلامه؟ قالت: نعم، فقال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، وذلك ياساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته على المسلمين.

وتزوج عمر قبل الإسلام أربع نساء وهن:

١ - زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون: وقد ألحبت له: حفصة أم

أسرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه





المؤمنين، التي تزوجت نخيس بن حذافة السهمي، فلما تسول عنها،  
تزوجها رسول الله ﷺ. كما أنجبت له عبدالرحمن الأكبر، وعبدالله  
الذي ولد في العاشرة قبل الهجرة.

٢ - سبيعة: ولم تنجب له.

٣ - أم كلثوم مليكة بنت عمرو الخزاعية: وقد ولدت له عبدالله الذي بعد  
من شجعان قريش، وهو الذي قتل الهرمزان الذي اتهم مع أبي لؤلؤة  
المجوسي غلام المغيرة بن شعبة بقتل أبي الخليفة عمر بن الخطاب وحضر  
عبدالله صفين مع معاوية، وقتل يومذاك.

٤ - قريبة بنت أبي أمية المخزومية: وهي أخت أم المؤمنين أم سلمة، ولم  
تنجب له أيضاً.

## حياته في الإسلام

اتجه عمر بن الخطاب إلى ابن عمه سعيد بن زيد وأخته فاطمة يرى شيئاً عن إسلامها بعد ما ذكر له نعيم بن عبدالله ما ذكر، وكان عندها خباب بن الأرت، ومعه صحيفة فيها (سورة طه) يقرئها إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة، فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها، فلما دخل، قال: ما هذه الهيئنة (الصوت الخفيف الذي لا يفهم) التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتا محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب، لتكفه عن زوجها، فضربها فشحها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، ورجع، وقال لأخته وقد رقى قلبه، أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون أنفاً، انظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بألته ليردنها إذ قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، ولا يمستها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها سورة طه. فقرأها، فلما قرأ صدرها منها، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمها! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال

له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعت  
أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب،  
فأله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد ﷺ حتى  
أتبه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه،  
فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب  
عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ،  
فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو  
فرج، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حزة  
ابن عبدالمطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد غيراً بذلناه له، وإن كان جاء  
يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل،  
ونفض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذه بمجمع رداءه، ثم  
جذبه به جذة شديدة، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن  
تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله  
وبرسوله، وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل  
البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

ويروى عن إسلام عمر أنه كان يقول: كنت للإسلام مباحداً، وكنت  
صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال  
من قريش بالحزورة، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي، قال:  
فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال: فجثتهم فلم أجد  
فيه منهم أحداً. قال: فقلت: لو أني جثت فلاناً الخمار، وكان بمكة يبيع  
الخمر، لعلني أجد عنده خمرأ فأشرب منها. قال: فخرجت فلم أجد. قال:  
فقلت: فلو أني جثت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين. قال: فجثت المسجد  
أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى  
استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين:

الركن الأسود، والركن الباني، قال: فقلت حين رأيته، والله لو أني استمعت  
إلى محمد الليلة حتى أسمع ما يقول! فقلت: لكن دنوت منه استمع منه لأروعه،  
فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً، ورسول  
الله ﷺ يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلك مستقبله، ما بيني وبينه إلا  
ثياب الكعبة، قال: فلما سمعت القرآن رقي له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام،  
فلم أزل قائماً في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله ﷺ صلواته، ثم انصرف،  
وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين، وكانت طريقه حتى يخرج  
المسعى، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب، وبين دار ابن أظهر بن عبد  
عوف الزهري، ثم دار الأخنس بن شريق، حتى يدخل بيته، وكان مسكنه  
ﷺ في الدار الرقطاء، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان. قال عمر رضي  
الله عنه: فتبعته، حتى إذا دخل دار عباس، ودار ابن أظهر، أمركته، فلما  
سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني فظن رسول الله ﷺ إني إنما تبعته لأؤديه،  
ثم قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قلت: جئت لأؤمن بالله  
وبرسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: قد  
هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول  
الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ بيته.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله لما أسلم قال: أي قريش أنقل  
للحديث؟ فقيل له: جيل بن معمر الجمحي. فقدا عليه، حتى جاءه، فقال له:  
أعلمت يا جيل أي قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فما راجعه حتى قام يجر  
رداه، واتبعه عمر، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا  
معشر قريش، وهم لي أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد  
صأ، ويقول عمر من خلفه كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا  
الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى  
قامت الشمس على رؤوسهم، وأعياء الشعب، فتعد وقاموا على رأسه، فقال لهم:

افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها  
لكم، أو تركتموها لنا، وبيننا هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه  
حلة حيرة، وقميص موثى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: سباً  
عمر، فقال قومه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن  
كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا! خلوا عن الرجل. قال عبدالله بن عمر:  
فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة:  
يا أبت من الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ جزاء  
الله خيراً. قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل، لا جزاء الله خيراً.

ويروى أن عمر كان يقول: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرت أي أهل مكة  
أشد لرسول الله ﷺ عداوة، حتى آتبه فأخبره أي قد أسلمت، قال: قلت:  
أبو جهل. قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال فخرج إلي  
أبو جهل، قال: مرحباً وأهلاً بآبئ أختي، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك  
إني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في  
وجهي وقال: وتب ما جئت به.

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي  
عند الكعبة، حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند  
الكعبة، وصلينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب  
رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول أيضاً: إن إسلام عمر كان  
فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي  
عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً، حتى صلى عند الكعبة وصلينا  
معه.

ويروى أن عمر بن الخطاب لما أسلم قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله،  
السا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال ﷺ: بلى، والذي نفسي بيده إنكم

على الحق، إن مع وإن حبيم . قال : فقيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق  
لتخرجن ، وكان الرسول على ما يبدو قد رأى انه قد آن الأوان للإعلان ، وأن  
الدعوة التي كانت كالوليد الضعيف الذي لا بد له من الرعاية والحفظ ، قد  
عدت قوية نمشي وتستطيع أن تدفع عن نفسها ، فأذن بالإعلان وخرج ﷺ في  
صفتين ، عمر في أحدهما ، وحرزة في الآخر ، ولم كدير ككدير الطحين ، حتى  
دخل المسجد ، فنظرت قريش إلى عمر وإلى حرزة ، فأصابتهن كآبة لم تصبهن  
قط ، وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق .

إلا أن عمر لم يكن يمرؤ أحد من قريش على ابذائه ، بينما يصيب الأذى  
المسلمين الآخرين ، ولعل هذا كان من أكثر ما يزعج عمر ، فكان يقول : لا  
أحب إلا أن يصيبني ما أصاب المسلمين . لذا كان يتعرض لرؤوس الكفر ،  
ويعلن أمامهم إسلامه ، بل يذهب إلى بيوتهم ، ويطلق أبوابهم ليخبرهم نبأ  
إسلامه ، عليهم يقومون بشيء فذده ، فيناله ما ينال إخوانه المسلمين ، ويستطيع  
في الوقت نفسه أن ينتقم من تلك الرؤوس . ولم يرد عمر أبداً أن يكون في نعمة  
ليست للمسلمين ، فيكون هو في عافية وراحة وهم في ابذاء وتعب . وعندما  
أعلن إسلامه ، وبدأت قريش تقاقله وتب على عتبة بن ربيعة ، فبرك عليه  
وجعل يضربه ، وأدخل إصبعه في عينه ، فجعل عتبة يصيح ، الأمر الذي جعل  
الناس يتنحون عن عمر ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه إلا أخذ شريف  
من دفا منه ، حتى أحجم الناس عنه .

واشتد أذى قريش على المسلمين ، وكان قد انتشر الإسلام في يثرب ،  
فطلب رسول الله ﷺ من المسلمين أن يهاجروا إلى إخوانهم في المدينة ،  
وايبدأت وفود المسلمين تترك مكة متجهة إلى المدينة وكلها متخفية في هجرتها  
وانتقالها ، إلا هجرة عمر ، فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :  
ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا محتفياً إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما  
هم بالهجرة ، تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتفى في يده أسهماً ، واختصر

عمرته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف في البيت سبعاً  
بمتكناً، ثم أتى المقام فصلى، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم:  
شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذا المعاطس، من أراد أن يشكل أمه، أو  
يوثم ولده، أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي رضي الله  
عنه: فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ثم مضى لوجهه.

وكان لما عزم على الهجرة قد أخبر صديقه عياش بن أبي ربيعة المخزومي  
وهشام بن العاص، واتفقوا على الصحبة على أن يجتمعوا في منازل غفار على  
عشرة أميال من مكة، فمن تخلف عن الموعد تركوه ورحلوا، فجاء عمر  
وعياش، وجلس هشام في مكة وقتن عن دينه، فوصلوا حتى وصلوا قباء، فنزلا  
على رفاعة بن عبدالمطلب فلحقهما أبو جهل عمرو بن هشام وأخوه الحارث بن  
هشام، وهما أخوال عمر، وأبناء عم عياش وأخواه لأمه، أما عمر فلم يخاطباه لما  
يعلمان من شدته في الحق وصلابته، أما عياش فقد قال له: إن أمك قد نذرت ألا  
يظلمها سقف، ولا يمس رأسها دهن حتى تراك، فاستشار عمر، فأجابته: والله ما  
أرادا إلا ردك عن دينك، فأحذرهما ولا تذهب، فوالله لو آذى أمك القمل  
لادهنت وامتشطت، ولو أشد عليها حر مكة لاستظلت. إلا أن عياشاً قد مال  
إلى الذهاب معها، فبدأ بوجد المبررات لنفسه، فقال: إن لي بمكة مالاً لعل  
أخذه فيكون قرة للمسلمين، وأكون قد بررت قسم أمي.

فقال عمر: إنك لتعلم إنني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا  
تذهب معها. فأبى عياش إلا أن يخرج معها، فلما أبى، قال له: أما إذا قد  
فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها، فإن  
رايتك من القوم ريب فأتج عليها، فلما كان بضجنان<sup>(١)</sup> قال أبو جهل: والله يا  
أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعتيني على ناقتك؟ قال عياش: بل فأناخ

(١) ضجنان: جبل إلى الشمال من مكة على ١٠ كيلاً منها.

وأناخا ليتحول عليها ، فلما استورا بالأرض أوتقاه رباطاً ، حتى دخلا به مكة ،  
فقالا : كذا يا أهل مكة فافعلوا بسفهاكم . ثم حبسوه .

وليت عمر عند رفاة بن عبد المنذر حتى لحق به أهله وقومه : أخوه زيد بن  
الخطاب ، وابن عمه سعيد بن زيد ، وخنيس بن حذافة السهمي صهره زوج  
ابنته حلصة ، وواقد بن عبدالله حليف لهم . ثم قدموا المدينة .

ولكن عمر بقي يذكر صديقه ، ويتمنى لها الخلاص من ظلمة الكفر ، ومن  
ربقة الأسر ، حتى أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن الوليد بن المغيرة أخا خالد  
ابن الوليد ليخلصها ، وقد استعمل الوليد الحيلة والقوة حتى أنقذ عياشاً  
وهشاماً وعاد بها إلى المدينة .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الصحابة الذين يستشيرهم رسول  
الله ﷺ فيما يعرض له من مشكلات ، ولربما نزل الوحي بما يؤيد رأي عمر ،  
وبعد عمر الصحابي الثاني بين المسلمين بعد أبي بكر رضي الله عنها . وقد  
حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان فيها من الرجال المعدودين  
بالقوة وشدة البأس ، ومن الذين يقفون بجانب رسول الله ﷺ يدافعون عنه  
ويحمونه من الأعداء كأبي بكر ، ولم يكن من الذين يحولون في الميدان . وكان  
يتقيد بأوامر رسول الله ﷺ حرفياً ، ولم يحاول أن يجتهد ويفسر الأمر من  
عنده .

وكان يؤثر رغبة رسول الله ﷺ على هوى نفسه ، فقد فرح بإسلام  
العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ يوم أسلم أكثر من فرحه بإسلام أبيه  
الخطاب لو أسلم ، وذلك لأن إسلام العباس كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام  
الخطاب .

سار رسول الله ﷺ مع المسلمين إلى بدر للتعرض لعير أبي سفيان ، إلا أن  
القافلة قد نجت ، ولكن كان لا بد من اللقاء مع جيش مكة الذي خرج لإنقاذ



القافلة ونأدب المسلمين على حد زعم رؤوس الكفر آنذاك، فأراد رسول الله ﷺ أن يشير المسلمين وبخاصة الأنصار الذين كانوا يشكلون أكثرية المسلمين، فوقف أبو بكر فتكلم فأحسن، وتكلم عمر فأجاد، وتكلم المقداد بن عمرو فأحسن، وكان رسول الله يقول في كل مرة اشهدوا علي أيها القوم حتى وقف سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال: كأنك تريدنا يا رسول الله فقال: أجل فتكلم رضي الله عنه فأحسن وأعلن الاستعداد لخوض المعركة.

وكانت إرادة الله في اللقاء، وكانت غزوة بدر الكبرى، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين، ولم يرد العمر التي لا يؤدي أخذها إلى شيء كما أخرجك ربك من بيك بالحق، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وإذا يعدم الله إحدى الطائفتين أنها لكم، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليقض الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون<sup>(١)</sup>.

وكانت نتيجة المعركة أن انتصر المسلمون انتصاراً كبيراً على الرغم من قلة عددهم التي لا تصل إلى ثلث عدد الكفار. هذا بالإضافة إلى قلة الاستعدادات المادية والمعنوية، إذ كانوا قد خرجوا للقاء القافلة وليس للحرب، كما أن سلاحهم قليل، وركابهم أقل، ودروعهم وطعامهم كله غير كاف. وترك المشركون نتيجة المعركة سبعين قتيلاً من ضارب قريش ورؤوس الكفر فيهم، وراح مثلهم أسرى بيد المسلمين من وجهاء القوم.

وكانت هذه أول معركة تدور رحاها بين الإسلام والكفر، وتميزت من أول المطاف أن العقيدة هي الرابطة الوحيدة التي تربط الناس بعضهم إلى بعض، وهي الوشيجة القوية بين المسلمين، وليس هناك من مهادة مع الكفر

(١) الأنفال: ٥ - ٨.

مها كان نوعه . وقد قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه المعركة خال  
العاص بن هشام ضارباً بالقرابة عرض الحائط أمام رابطة العقيدة ، بل كان  
يفخر في ذلك تأكيداً لهذه الفكرة ، ومزّ يوماً عمر بسعيد بن العاص ، فوجد  
من إغراضاً فقال له : إني أراك كأن لي نفسك شيئاً ، أراك تظن إني قتل  
أباك في بدر ، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنني قتلته خالي العاص  
ابن هشام بن المغيرة ، وأما أبوك فقد مرت به وهو يبحث بحث الثور فحدث  
عنه ، وقصد له ابن عمه علي فقتله .

وساق المسلمون أمامهم سبعين أسيراً منهم العباس بن عبدالمطلب هم رسول  
الله ، ومنهم عقيل بن أبي طالب ابن عم رسول الله ، وقد شاور رسول الله  
أصحابه فيما يفعل بالأسرى ، وكان ممن استشار أبو بكر وعمر وعلي وعبدالله  
ابن رواحة ، فقال أبو بكر : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، فإني  
أرى أن تأخذ منهم فدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم  
فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال عمر :  
لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن نمكني من فلان فأضرب  
عنقه ، ونمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، ونمكن علياً من عقيل فيضرب  
عنقه ، حتى يعلم أن ليس في قلوبنا هودة للكفار ، هؤلاء صناديدهم وقادتهم  
وأئمتهم ، وأيد عمر كل من علي وعبدالله بن رواحة . وسكت رسول الله ﷺ  
ولم يجبه . ودخل بيته . ثم خرج رسول الله ﷺ فقال : إن الله عز وجل ليلين  
قلوب رجال فيه ، حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه ،  
حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ﴿ فمن تبعني  
فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ (١) ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ،  
قال : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢) .

(١) إبراهيم: ٣٦ .

(٢) المائدة: ١١٨ .

ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾<sup>(١)</sup>. ومثلك مثل موسى قال: ﴿رَبِّ إِنَّا نَحْنُ غَافِلُونَ عَنِ أَسْمَانِنَا إِذْ سَمِعْنَا بِأَنَّكَ الْغَنِيُّ الْكَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>. ثم قال رسول الله ﷺ: أُنْمِ عَالَةً، فَلَا يَطْلُقَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِغَدَاءٍ أَوْ ضَرْبِ عُنُقٍ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فلما إن كان من الغد غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تنابكيت ليكاتبكما. قال النبي ﷺ: الذي عرض علي أصحابك من الغداء، لقد عرض علي عذابكم أُنْمِ من هذه الشجرة (شجرة تربية)، وأنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا كَانَ لِنَبِيِّ إِذْ يُكُونُ لَهُ أَمْرٌ حَتَّى يَشْخُصَ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُرِيدُوا عَرْضَ الدُّنْيَا، وَاتَّخَذَ الْأَرْضَ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم<sup>(٣)</sup>. ثم أنزل الله بعد ذلك آية ﴿فَإِنَّمَا مَتَّأَ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكان من بين الأسرى خطيب قرشي سهيل بن عمرو، فقال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، دعني أنتزع ثيبي سهيل بن عمرو فبدلح لساني، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أهدأ، فقال رسول الله ﷺ: لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، وإن عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه (وهذا ما حدث فعلاً بعد وفاة رسول الله ﷺ إذ همَّ عدد من أهل مكة بالرجوع عن الإسلام، حتى خافهم والي مكة عتاب بن أسيد فتواري، فقام سهيل بن عمرو، فحمد

(١) نوح: ٢٦ - ٢٧.

(٢) يونس: ٨٨.

(٣) الانفال: ٦٧ - ٦٨.

(٤) محمد: ٤.

الله وأنتى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : ( إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رأينا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس عن رأيهم ) .

وكان من بين أسرى قريش يوم بدر وهب بن عمرو بن وهب الجمحي ، وكان أبوه عمرو بن وهب من شياطين قريش ، ومن الذين يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه في مكة ، وجلس عمرو بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر ، وكان صفوان بن أمية متجوعاً بأبيه أمية بن خلف وأهله الذين قتلوا يوم بدر مع المشركين ، وتحدثنا عن قتلى بدر والأسرى ، فقال صفوان : والله ما لنا في العيش بعدهم خير ، فقال له عمرو : صدقت ، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضبعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم علة ، ابني أسير في أيديهم . فاستغل صفوان ذلك وقال له : عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيم ما بقوا ، لا يسعي شيء ويعجز عنهم . قال له عمرو : فإكم شأني وشأنك . قال افعل .

وكان عمر بن الخطاب في المدينة في مجلس قرب المسجد يتحدثون عن بدر وما أكرم الله عباده المؤمنين ، وبينما هم كذلك إذ نظر عمر قرأى عميراً متوشحاً سيفه ، وقد أناخ راحته أمام المسجد ، فقال : هذا الكلب ، عدو الله ، عمرو بن وهب ، ما جاء إلا لشر وهو الذي حرّس بيننا وحرّرتنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله ، عمرو بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله عليّ . فأقبل عمر إلى عمرو ، وقبده بجمالة سيفه ، وطلب من بعض الأنصار أن يكونوا معه ، خوفاً على رسول الله من هذا الشيطان فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ، فلما رآه رسول الله مقيداً قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عميراً فدنا عمرو وقال أنعموا صباحاً : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خيراً من تحيتك يا عمير بالسلام - تحية أهل الجنة فقال : أما والله يا محمد وإن كنت بها لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في

أيديكم فأحسنوا فيه . قال : فما بال سيف في عنقك ؟ قال : قبها الله من  
سيف ! وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : صدقتني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت  
إلا لذلك ! قال : بل تعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرت  
أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى  
أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك علي أن تقتلني له ، والله حائل  
بينك وبين ذلك . قال عمر : أشهد أنك رسول الله . قد كنا يا رسول الله  
تكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا  
أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله  
الذي هو هدي للإسلام وساقى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق .

واستدار عام من بدر ، وكانت غزوة أحد ، وأصاب المسلمين ما أصابهم  
بعد نصر ، وثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع من ثبت ، وذاد عن رسول  
الله مع من ذاد ، ولما انتهت الغزوة ، وأراد قائل المشركين أبو سفيان  
الانصراف وقف على مرتفع ثم صرخ بأعل صوته أفيكم محمد ؟ فقال صلى الله عليه وسلم  
( لا تجيبوه ثم سأل ثانية وثالثة فلم يجيبوه ثم قال : أفيكم ابن أبي قحافة فلم يجيبوه ،  
قالها ثلاثاً ، ثم قال أفيكم ابن الخطاب قالها ثلاثاً فلم يجيبوه أما هؤلاء فقد  
كفيتموهم ، فلم يتالك عمر نفسه أن قال كذبت يا عدو الله . إنا أحياء ولك  
منا يوم سوء . فقال أبو سفيان : يوم يوم بدر ، والحرب سجال ، اعل هبل ،  
فقال عمر : اسمع يا رسول الله ما يقول عدو الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لعمر : قل ، الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : هلم يا عمر ، فقال النبي لعمر :  
إنه فانظر ما شأنه . فجاءه . فقال أبو سفيان : أشدك الله يا عمر ، أقتلنا  
محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا وإنه ليسع كلامك الآن . فقال : أنت أصدق من  
ابن قمنة (الذي زعم أنه قتل محمداً ، على حين كان قد قتل مصعب بن عمير  
رضي الله عنه) .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين إلى بني المصطلق الذين تجمعوا يريدون

غزو المدينة ، فانطلق إليهم رسول الله قبل أن يتهاوا استعدادهم ، فالتقوا على ماء (المريسج) ، وانتصر رسول الله على بني المصطلق ، وأخذ جلعهم أمرى واستاق شياهم وأنعامهم وفرارهم . وبينما كان المسلمون على ذلك الماء إذ ازدحم عليه أجير عمر وهو جهجاه من بني غفار ، وسنان الجهني حليف الخزرج ، واقتلا فتادى سنان يا معشر الأنصار ، وتنادى جهجاه يا معشر المهاجرين ! ووصل الخبر إلى رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول وكان في جماعة من الخزرج بينهم غلام صغير يدعى زيد بن أرقم ، فقال عبدالله بن أبي : أوقد فعلوها ؟ قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أمرنا وجلابيب قريش هذا ، إلا كما قبل : سنن كليلك بأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأجر الأذل ، ثم التفت إلى قومه الذين كانوا معه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . وعندما سمع ذلك الفتى الحدث المؤمن هذا الكلام من عبدالله بن أبي انطلق إلى رسول الله ﷺ ، ونقل إليه مقالة ابن أبي ، وكان عمر بن الخطاب عند رسول الله ، فقال عمر : مر عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟ لا . ولكن أذن بالرحيل . وصار الخزرج قوم ابن أبي هم الذين يعاتبونه ويعنفونه على مقالة تلك . فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب بعدما حدث من تعنيف الناس لعبدالله بن أبي : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتله يوم قلت لي اقتله لارعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتله . فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى .

وأرسل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في سرية تضم ثلاثين مقاتلاً ، ووجهها إلى (تربة) في الجنوب الشرقي من مكة ، وهي بلدة تقع على وادٍ يحمل اسمها ، حيث تجمعت هوازن هناك للنيل من المسلمين ، فسار عمر ،

وكان يسير بالليل ويكمن بالنهار، ومعه دليل يرشده على الطريق، فلما وصل إلى هدفه وجد عدوه قد ابتعدوا بمواشيهم وأموالهم، فرجع إلى المدينة، وأثناء عودته قال له الدليل: هل لك في تجمع آخر من خنعم. فلم يرض عمر وقال: لم يأمرني رسول الله بذلك، وإنما أمرني بقتال هوازن.

وسار رسول الله ﷺ بأصحابه من المدينة إلى مكة يريد زيارة البيت وتعظيمه، إلا أن قريشاً قد وقفت في وجهه في الحديبية ومنعت من ذلك، وظنت أنها جاء مقاتلاً، كما خشيت أن تسمع العرب بذلك فتقل هيبتها وتقوى سمعة المسلمين. وأراد رسول الله ﷺ أن يبعث رسولاً له إلى قريش يعلمها أنه إنما جاء زائراً للبيت ومعظماً له، ووقع اختياره على عمر بن الخطاب، فقال عمر: يا رسول الله إن أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمتعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فأرسل رسول الله عثمان، وجرت مباحثات - كما مر معنا في السيرة - وأخيراً جرى الصلح بين الطرفين، ولم يبق إلا كتابة ما اتفقوا عليه، فحاج عمر بن الخطاب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم يرق له الصلح، أو لم يفهم بعده، فقال: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام تعطى الدنيا في ديننا؟ أترجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال أبو بكر يا ابن الخطاب! إنه رسول الله، ولم يضيعه الله أبداً. وكان عمر قد ذهب إلى رسول الله، وسأله الأسئلة نفسها، فكانت الأجوبة نفسها تقريباً، ثم أنزل الله سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر. فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. يقول عمر بعد ذلك: فما زلت أتصدق وأصلي وأصوم وأعتق مخافة كلامي هذا الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً. وبينما كان رسول الله ﷺ يملي على علي بن أبي طالب نصوص الصلح، وسهل بن عمرو مندوب قريش يراجع في الصيغة، إذ جاء أبو جندل بن

سهيل بن عمرو يرسف بالقيود وقد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه أبوه  
سهيل قام إليه بضربه على وجهه ، ويقول : يا محمد قد تحت القضية بيني وبينك ،  
إذ كان من شروط الصلح أنه إن جاء إلى رسول الله رجلاً من قريش مسلماً  
دون إذن أهله فعليه أن يرجعه . . . ولم تكن بنود الصلح قد انتهت كتابتها إلا  
أنه قد اتفق مشاقفة على بنودها ، ويقصد سهيل أن أبا جندل قد جاء مسلماً  
ودون إذن ، فعلى المسلمين أن يرجعوه إلى قريش . أما أبو جندل فكان يصرخ  
بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ ولقد أثار  
هذا الصراخ المسلمين ووقعوا في أمر عظيم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا  
جندل ! اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً  
ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناكم على ذلك وأعطينا  
عهد الله ولا تغدر بهم . أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد وثب يسير مع  
أبي جندل ويحرضه فسمناً على قتل أبيه ، ويقرب منه السيف ، ويقول : اصبر يا  
أبا جندل فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . . . إلا أن أبا جندل  
لم ينته إلى هذه القضية ، إذ كان يعيش مع نفسه فيما آل إليه أمره أو أنه لم يقس  
على أبيه فتطاوعه نفسه بقتله . وكتب الصلح وشهد عمر بن الخطاب على الصلح  
مع من شهد من المسلمين وأعدائهم .

ونقضت قريش صلح الحديبية ، وغدرت بالمسلمين ، إذ دعت حلفاءها بني  
بكر على حلفاء المسلمين بني خزاعة الأمر الذي جعل بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي  
ينتقل إلى المدينة ، ويلتقي برسول الله ﷺ ، يستنصره على قريش ، ويشرح له  
غدر قريش بقومه . وشعرت قريش بالأمر ، فأرسلت أبا سفيان ممثلاً عنها  
يحدد صلح الحديبية ، ويؤكد تمسك قريش ، ويزيد في مدته إن استطاع . وسار  
أبو سفيان إلى المدينة ، ودخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي  
سفيان ، ورغب أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ إلا أن أم المؤمنين قد  
طوته عنه ، فقال لها أباها أبو سفيان : يا بنتي ! ما أدري أرغبت بي عن هذا



القراش أم ربيعة به علي ؟ قالت : بل هو قراش رسول الله وأنت رجل مشرك  
 نجس ، ولم أحب أن تجلس على قراش رسول الله قال : والله لقد أصابك يا بنية  
 بعدي شر . وخرج أبو سفيان حتى أتى رسول الله ﷺ وكلمه فلم يرد عليه  
 بشيء ، ثم ذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول  
 الله ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه أن  
 يكلم له رسول الله . فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟ والله لو لم أجد  
 إلا اللذ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده  
 فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وعندهما ولدتهما الحسن رضي الله  
 عنه يدي بين يديهما ، فقال : يا علي إنك أمس القوم في رحا ، وإني قد  
 جئت في حاجة ، فلا أرجعن لما جئت خائباً فاشفع لي عند رسول الله ، فقال  
 علي : ويحك يا أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله علي أمر ما نستطيع أن  
 نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة عمي هل لك أن تأمرني بئيك هذا  
 فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ نبي  
 ذلك أن يجبر بين الناس ، وما يجبر أحد على رسول الله . قال : يا أبا الحسن إلى  
 أرى الأمور قد اشتدت علي فأنصحني ، قال : والله ما أعرف لك شيئاً يعني  
 عنك شيئاً ، ولكنك سيد كنانة فقم فاجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، ففعل  
 وعهد المسلمون بأمرة رسول الله إلى السير إلى مكة لفتحها ، وساروا حتى  
 أصبحوا على مقربة منها حيث عسكروا هناك ، ونظر العباس إلى قوة  
 المسلمين ، وكان قد أسلم ، ورجب في نفسه أن يأتي أهل مكة يستأمنون رسول  
 الله ﷺ قبل أن يدخلها عليهم عنوة ، واذ بصوت أبي سفيان فأخذه العباس  
 وأردفه وراءه على بغلة رسول الله ، وكان كلما مر على نار سأله عن أهلها حتى  
 إذا وصل إلى نار عمر بن الخطاب رآه فأراد أن يقتل أبا سفيان إلا أن العباس  
 قد أسرع بالبغلة فوصل إلى رسول الله ﷺ قبل وصول عمر إليه ، فلما وصل  
 عمر إلى رسول الله قال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه

بغير عهد ولا عهد، فدعني فلا أضرب عنقه . فقال العباس : يا رسول الله ، إني قد  
أجرته . وألح عمر في شأن أبي سفيان ، فقال العباس : مهلاً يا عمر ، لو كان  
من رجال بني عددي بن كعب ما قلت هذا ، أولئك قد عرفتم أنه من رجال  
بني عبد مناف . فقال عمر : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان  
أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك  
كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم .

وتقدمت قوافل المسلمين نحو مكة ، وكانت راية الأنصار بيد سعد بن  
عبادة ، فقال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، وسمع عمر بن الخطاب  
ذلك فأسرع إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن  
عبادة ، ما تأمن أن يكون له في قريش صولة ؟ فقال رسول الله ﷺ لعلي بن  
أبي طالب : أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت الذي تدخل بها .

ودخل المسلمون مكة ، والتقى رسول الله ﷺ بقريش ، وعفا عنهم ،  
فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، والتقى بالرجال فبايعهم ، فلما انتهى من مبايعتهم ،  
اجتمعت إليه نساء من قريش فبايعهن على ألا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ،  
ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين بهتاناً يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ،  
ولا يعصين في معروف . وكانت بين النساء هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ،  
وتناقش رسول الله ، وكان عمر حاضراً ، ويضحك من مناقشتها ، ثم قال  
رسول الله لعمر : بايعهن ، واستغفر لمن رسول الله . فبايعهن عمر .

وعندما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على أبي سفيان ، فقال : كيف  
أصعب بالعزى ، فسمعه عمر رضي الله عنه ، فقال له : تحراً عليها .  
وانطلق رسول الله ﷺ بعد فتح مكة إلى حنين لمداومة هوازن وثقيف  
ومن والاهما ، وقد اجتمعوا للهجوم على المسلمين قبل أن يشد ساعدهم على  
خذ زعمهم ، إلا أن هوازن وجوعها قد كمنت للمسلمين وقاجاتهم ، وكانوا  
قد أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم من الله شيئاً ففروا وولوا مديريين ، وثبت

حول رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين منهم أبو بكر، وعمر، وعلي،  
والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة  
ابن الحارث.

وجاء لي فتح الباري: حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا سليمان بن بلال  
عن يحيى بن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس رضي الله عنها يحدث أنه قال:  
مكنت من أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله مية  
له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى  
الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت له: يا أمير  
المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه، فقال: تلك حفصة  
وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما  
أستطيع هية لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فأسألتني، فإن  
كان لي علم خيرتك به، قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد  
للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لمن ما قسم، قال: فبينما أنا في  
أمري أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولم  
ها هنا، فما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد  
أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان،  
فقام عمر فأخذ رداءه وانطلق حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية إنك  
لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا  
لتراجعنه، فقلت: تعلمين أي أحذرك عقوبة الله، وغضب رسول الله ﷺ، يا  
بنية لا بغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها - يريد  
عائشة - قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها،  
فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت لي كل شيء حتى تبني أن  
تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض  
ما كنت أجد فخرجت من عندها، وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت

أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك  
 غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسر الينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا  
 الأصابي يدق الباب، فقال: افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل  
 أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة،  
 فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرفي  
 عليها بعجلة، وغلّام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت له: قل:  
 هذا عمر بن الخطاب، فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا  
 الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعل حصر ما  
 بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، وإن عند رجله  
 قرظاً مصوراً، وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصر في جنبه فبكيت،  
 فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله، إن كسرى وقبصر فيما هما فيه،  
 وأنت رسول الله، فقال: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟  
 وتولي رسول الله ﷺ، وقد مر معنا في بحث أبي بكر رضي الله عنه  
 موقف الصديق رضي الله عنه المنتشار له، واليد اليمنى له، والمشارك له في  
 تسيير شؤون الدولة، ثم استخلفه من بعده.  
 وتزوج عمر في الإسلام ابنة عمه عاتكة بنت زيد بن عمرو، وأنجبت له  
 عياضاً. كما تزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية، وكانت تحت  
 عكرمة بن أبي جهل وأولدها عمر قاطعة. كما تزوج جميلة بنت ثابت بن أبي  
 الأقلح، وهي أخت عاصم، وأنجبت له عاصماً وهو جد عمر بن عبدالعزيز  
 لأمه، وقد ولد في السنة السادسة، ومات بالربذة عام ٧٠ هـ. ثم تزوج أم  
 كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وكان له زيد ورقية. وكانت عنده فكيهة  
 وأنجب منها زينب وعبدالرحمن الأوسط، ولية وولدت عبدالرحمن الأصغر.  
 ولم يعرف عن عمر أنه بكى في الجاهلية إلا أنه في الإسلام أصبح رقيق

القلب شديد العاطفة كثير البكاء، إذ كان يبكي كلما قرأ أو سمع آيات التخويف والوعيد في القرآن الكريم، كما كان يبكي كلما رأى شظف الحياة التي يجيها رسول الله ﷺ، وإذا ذكر بالله أو قرئ أمامه وكان على درجة من الغضب لا يلبث أن يبكي ويرق قلبه.

وكان صاحب خمر في الجاهلية إلا أنه في الإسلام كان يتمنى دائماً أن تحرم الخمره وبتنزل الوحي في تحريمها، وكان يصرح بهذا الرأي ويكثر في رغبته تلك، وعندما أنزلت آية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون...﴾<sup>(١)</sup> لم يرض عمر كلياً، وبقي يتمنى تحريماً كلياً، ويسأل الله تعالى أن يبين أمر الخمر بياناً شافياً، فلما أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون﴾<sup>(٢)</sup>، وهنا طابت نفس عمر.

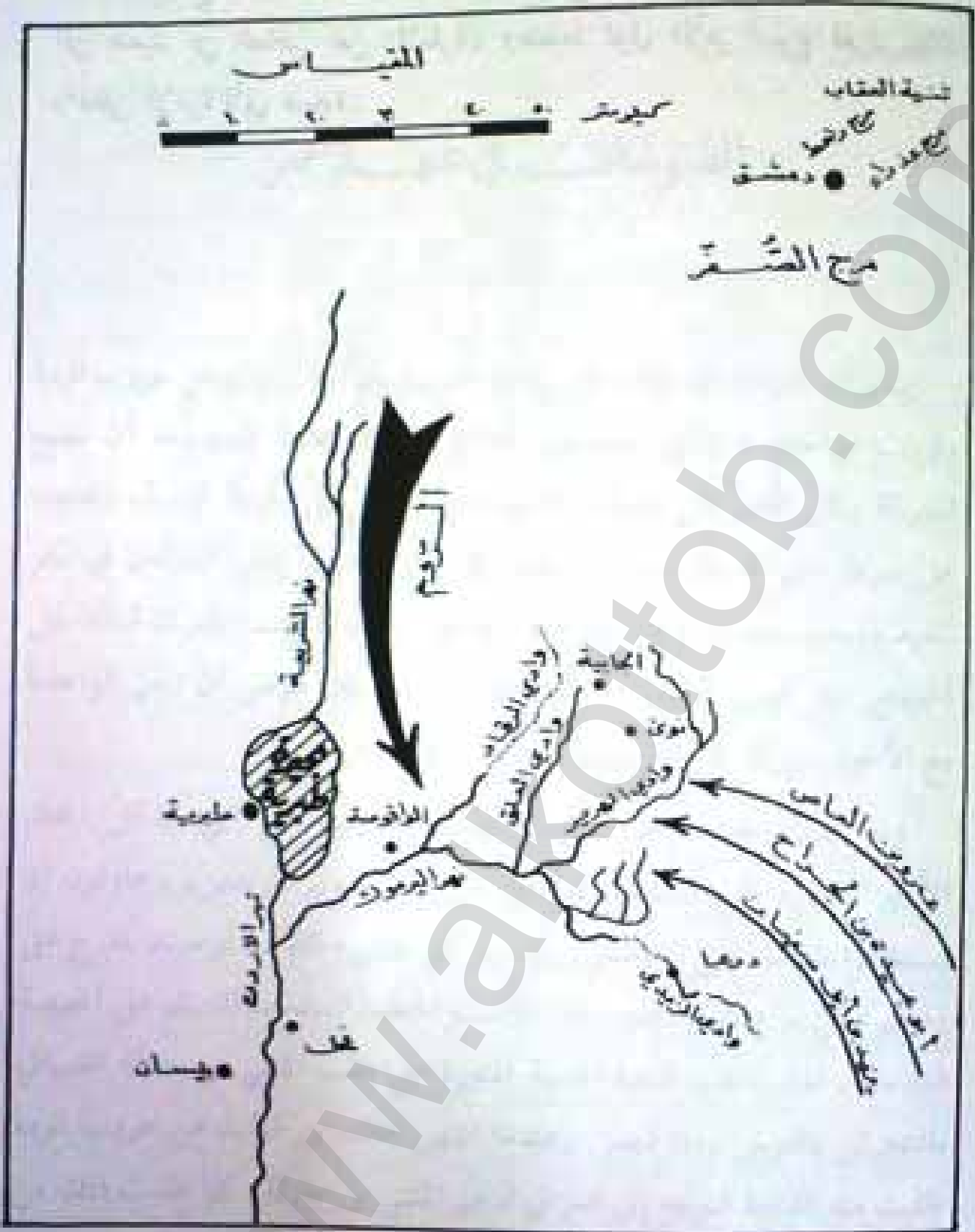
وكذلك كان موقفه من الحجاب، فكان يتمنى أن يفرض الحجاب وبخاصة على نساء النبي، وكلم رسول الله ﷺ في ذلك، وطابت نفس عمر كذلك عندما نزلت آيات الحجاب.

وتوفي عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وجاء ابنه يسأل النبي ﷺ أن يصلي عليه، فأجابه النبي إلى ما أراد، وذهب رسول الله صلى على ابن أبي، إلا أن عمر راجعه وجادله، ثم جاء الوحي مطابقتاً لرأي عمر، حيث أنزل الله سبحانه وتعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾<sup>(٣)</sup>

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٩٠ - ٩١.

(٣) التوبة: ٨٤.



وكما كان مع رسول الله ﷺ في مراجعة له في أمور كثيرة، فقد كان كذلك يراجع أبا بكر، ونراه كيف كان يلح في عزل خالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص عن الإمارة، وعندما تولى الأمر أسرع فعزل خالدًا وأعطى الإمارة لأبي عبيدة.

## الفصل الثالث

### الفتوحات في عهدِ عمر

يبدو أن القيادة الإسلامية في المدينة المنورة بعد أن انتهت من حروب الردة وقررت مواجهة الدولتين العظميين آنذاك، كانت الخطة الموضوعة أن تفتح المعركة بكل ثقلها على جبهة، وتقوم بدور الدفاع على الجبهة الثانية، وتعتمد على سرعة الحركة بالانتقال من جبهة إلى أخرى حيث تبقى الدولتان في دُعر شديد وضعف معنوي كبير يحول دون التقاوم بينهما، إذ تستمر المعركة قائمة على الجبهتين معاً حيث تخاف كل دولة على وجودها فلا تحرص أن تنفق الواحدة مع الأخرى وإزالة ما كان بينها من آثار الحرب.

ومع انتهاء حروب الردة كانت الدولة الفارسية هي التي تشكل الخطر الأكبر بالنسبة إلى المسلمين إذ كان الفرس يدعمون المرتدين، ويحاولون إن استطاعوا القضاء على المسلمين، ويمدون كل منشيء كذاب أو مرتد خارج على الحكم بكل ما يمكنهم دعمه، لذا كانت الخطة البدء بالقتال على الجبهة الفارسية، لذا وافقت قيادة المدينة المنورة على طلب المنشيء بن حارثة الشيباني بالتحرش بالفرس ومنازلتهم. وعندما انتهى خالد بن الوليد من حروب الردة طلبت منه القيادة التوجه إلى العراق لدعم المنشيء بن حارثة، كما طلبت ذلك من مياض بن غنم، وأعطته قوة يتحرك بها نحو شمالي العراق.

استطاع خالد بن الوليد أن ينتصر على الفرس، وأن يجول بأرض العراق،



وأن تجوس خيله منطقة السواد وجزءاً من أرض الجزيرة، هذا بالإضافة إلى مناطق غربي الفرات، وهذا ما جعل الفرس يشعرون بقوة الجيش الاسلامي وامكاناته القتالية والتعبوية - على عكس ما كانوا يظنون - الأمر الذي جعلهم يستعدون الاستعداد الكبير للمعركة الحاسمة المقبلة، وحشد الجنود لذلك. وفي هذا الوقت كانت القوة الاسلامية على الجبهة الرومية تقوم بالدفاع فقط حيث كان خالد بن سعيد بن العاص يربط بقواته قرب مناطق سيطرة الروم والقبائل العربية المنتصرة المتحالفة مع الروم. ثم جهز الخليفة الصديق الجيوش وأرسلها إلى الشام - كما رأينا - إلا أن الروم كانوا يستعدون لذلك، ويتوقعون حرباً عامة شاملة، لذا فقد جمعوا أعداداً كبيرة وبعثوها باتجاه الجيوش الاسلامية الأربعة، كما نقل هرقل مقر قيادته إلى حصص لتكون على مقربة من ساحة المعركة، ولما رأى المسلمون ذلك طلبوا المدد من المدينة والدعم، وكان على القيادة الاسلامية أن تنقل المعركة الرئيسية من العراق إلى الشام إذ كان الفرس في حالة من الضعف بعد الهزيمة التي منوا بها، وهم بحاجة إلى مدة للاستعداد والتفاهم على الحكم بعد الخلاف الواقع بينهم، لذا طلب الخليفة من خالد بن الوليد أن ينتقل بمن معه من الجند الذين كانوا معه في نجد والذين جاءوه دعماً من المدينة واليمن إلى الشام لدعم المسلمين هناك.

انتقل خالد بن الوليد إلى الشام وجرت معركة اليرموك بين الروم والمسلمين، وكانت معركة حاسمة، ولم تبدأ حتى كانت الخلافة قد آلت إلى عمر بن الخطاب، وبعد انتهاء المعركة كان استعداد الفرس قد تم، واتفاقهم قد حصل بعد اختلاف، وقرروا تصعيد القتال ضد المسلمين، الأمر الذي جعل القيادة الاسلامية في المدينة تطلب من القيادة العسكرية في الشام إعادة قسم من جند العراق بإمرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى العراق، هذا بالإضافة إلى إعلان التغير في جزيرة العرب للسير إلى العراق ودعم قوة المسلمين هناك وبدأت الامدادات تصل، قوة إثر أخرى إلى العراق، أما في الشام فقد تم طرد

الروم وإنهاء الوجود البيزنطي فيها بعد عددٍ من المعارك، وهذا ما نلاحظه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبدأت المعارك في العراق ثم انتقلت إلى فارس حتى قضي على الدولة الفارسية نهائياً، ولم ينته عهد الفاروق بعد. وبانتهاء المقاومة على الجبهة الشرقية عاد القتال إلى الجبهة الغربية، إذ انتقل القتال إلى مصر وشمال إفريقيا وجزر البحر المتوسط، واستمر ذلك في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

**معركة اليرموك:** تولى عمر بن الخطاب الخلافة في بداية القتال العنيف على الجبهة الغربية، إذ كان المسلمون قد تجمعوا في اليرموك أمام تحشدات الروم الهائلة.

كان تجمع المسلمين في المنطقة الغربية من درعا اليوم، وقد أخطأ كثير من المؤرخين، فجعلوا نهر اليرموك المنطقة الفاصلة بين المسلمين والروم، ومن يقول في تلك البقعة يدرك مباشرة أنه لا يمكن لهذا الوادي السحيق أن يكون ميداناً لمعركة أو تكون جنباؤه ساحة لها، هذا بالإضافة إلى أن الخليفة الصديق كان قد طلب من القيادة العسكرية في بلاد الشام أن يكون تجمع جندها في مكان سهل معه الاتصال مع المدينة لإمكانية وصول الإمدادات وسهولة الاتصال، ولو قطع المسلمون الوادي قبل احتدام المعركة وانتقلوا منه إلى الجهة الثانية وبصعوبة كبيرة لما أمكن وصول الإمدادات إليهم، ولما أمكن الاتصال مع المدينة بعد نشوب الحرب، فكيف بالانتقال والحركة السريعة أثناء القتال كما يحلو لبعض المؤرخين أن يخططوا ذلك، لهذا كله فقد جعل المسلمون مؤخرة جندهم إلى الشمال الغربي من درعا، لتكون درعا طريقاً لوصول الدعم إليها والاتصال مع المدينة، حيث يمكن في هذا المكان قطع الوادي بسهولة. هذا مع العلم أن خالد بن الوليد قد انتقل إلى اليرموك من بصرى فيكون طريقه عن درعا أو إلى الشمال قليلاً منها. وتكون معركة اليرموك قد وقعت على جانبي أحد روافد اليرموك وهي إما (الرقاد) أو (العلق)، ويكون عمرو بن العاص

زيد بن أبي سفيان  
م قاضي بني الحارث الكلابي

قيس بن صبرة بن النبل

سعيد بن زيد

عكر بن أبي جهم

الفتح بن عمرو

ابو عبيدة بن الجراح

عسر بن العاص

م صاهري بن جهم

فارس بن الربيع الطيلي

الناس

الذي كان على ميمنة المسلمين إلى الشمال، ويزيد بن أبي سفيان الذي كان على  
الميسرة في الجنوب، على مقربة من نهر اليرموك وأبو عبيدة بينهما .

وخرج المسلمون على راياتهم وعلى الميمنة معاذ بن جبل وعلى الميسرة نفاثة  
ابن أسامة الكثافي، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى الخبالة  
خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه، ولما  
أقبلت الروم في خيلاتها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها  
كانهم غمامة سوداء يصيحون بأصوات مرتفعة، ودهبانهم يتلون الانجيل،  
ويحشونهم على القتال، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش، فساق بغربه إلى  
أبي عبيدة فقال له : إني مشير بأمر فقال : قل ما أمرك الله أسع لك وأطيع .  
فقال له خالد : إن هؤلاء القوم لا يدؤهم من حملة عظيمة لا يحيد لهم عنها، وإني  
أخشى على الميمنة والميسرة، وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء  
الميمنة والميسرة حتى إذا صدؤهم كانوا لهم رداء أفتأتهم من ورائهم . فقال له :  
نعم ما رأيت . فكان خالد في أحد الخيلين من وراء الميمنة، وجعل قيس بن  
هبيبة في الخيل الأخرى، وأمر أبو عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش  
كله حتى إذا رآه المنهزم استحي منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة  
مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنهم، وساق خالد إلى  
النساء أن يكن من وراء الجيش ومعهم عدد من السيوف وغيرها، فقال لمن  
من رأيتوه مولياً فاقتله . ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه .

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد  
الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر  
منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحفة للعار، ولا ترحوا مصافكم، ولا  
تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدؤوهم بالقضال، واشرعوا الرماح، واستقروا  
بالدوق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى أمركم إن شاء الله  
تعالى .

وخرج معاذ بن جبل<sup>(١)</sup> على الناس فجعل يذكرهم ويقول: يا أهل القرآن،  
ومتحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تنال، وجمته لا تدخل  
بالأمان، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، أم  
تسمعوا لقول الله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات  
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم... الآية». فاستجروا -  
رحمكم الله - من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم، وأنتم في قبضته وليس لكم  
ملتحد من دونه ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجتروا على  
الركب، واشرعوا الرماح، فإذا حلوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا  
أطراف الأسيمة فثبوا إليهم وتية الأسد، فالذي يرضى الصدق ويثبت عليه،  
ومقت الكذب، وعجزى بالاحسان إحساناً - لقد سمعت أن المسلمين  
سيفتحونها كفرة<sup>(٢)</sup> وكفرة<sup>(٢)</sup> وقصراً قصراً، فلا يهولنكم جوعهم ولا عدوهم،  
فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين أنتم العرب، وقد أحجمتم في دار العجم  
منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله  
أصبحتم بازاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم  
وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: كان صحبه يوم  
هجرة المصطفى عشرين عاماً، أسلم وهو فتى، وأخى رسول الله بينه وبين جعفر بن  
أبي طالب، شهد العقبة الثانية، ثم حضر المشاهد كلها مع رسول الله، كان عالماً  
بالحلال والحرام، أرسله رسول الله إلى اليمن مرشداً، خرج مجاهداً إلى الشام، كان  
مع أبي عبيدة، واستخلفه عندما أصيب، وأقر ذلك صحبه، ولكنه توفي في ذلك  
العام ١٨ هـ، ولم يتجب.

(٢) الكفرة المزرعة.

غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنا سنة لازمة وأن  
الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرايا،  
ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول،  
فامتنعوا بسيولكم وتعاونوا ولكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء  
فوصاهن، ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون، فهذا رسول  
الله والجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه رحمه الله.

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين  
وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم. ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه  
منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم<sup>(١)</sup>.

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعها ضرار بن  
الأزور، والحارث بن هشام، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو، ونادوا: إننا  
نريد أميركم لنجتمع له، فأذن لهم في الدخول عن نذاري، وإذا هو جالس في  
خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمرهم بفرض بسط من  
حرير، فقالوا: لا نجلس على هذا، فجلس معهم حيث أحبوا... وهكذا  
كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقبلون الاستهانة بشيء من حرمان الله  
مها قل، ومع أنه ليس فيه اللباس إلا أنهم رغبوا أن يأخذوا أنفسهم بالشدّة،  
ورفض هذه الأمور وأمثالها، الأمر الذي جعلهم يعظمون في عين أعدائهم  
فيأبروهم، ويرتفعون في أنفسهم. وهذا ما وضعهم حيث وضعوا هم أنفسهم،  
وتميزوا بشخصيتهم فكان لهم ما تمنوا.

وعرض الصحابة على الأعداء: الإسلام، أو الجزية، أو السيف، وكان من  
تعنت الروم أن كان لا بد من القتال.

وطلب ماهان خالداً ليرز إليه فيهما بين الصفتين فيجتمعاً في مصلحة لهم،

(١) البداية والنهاية - ابن كثير.

فقال ماهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فهللوا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فحشنا لذلك. فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب، وهكذا كلمة واحدة بعزة النفس نمت معنويات الخصم.

تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبي القلب - أن ينشأ القتال، وهكذا بدأت المعركة. وكان ذلك في أوائل شهر رجب م السنة الثالثة عشرة، وحملت ميسرة الروم على ميمنة المسلمين فهالوا إلى جهة القلب، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل السكينة علينا، وألزمنا حكمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء. وانكشفت زبيد، ثم تنادوا فتراجعوا، وحلوا على الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف، وردت النساء من فرّ، فرجع الناس إلى مواقعهم.

وقال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأقر منكم اليوم؟ ثم نادى من يبائع على الموت؟ فباعه ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام عم عكرمة وعدد من المسلمين ووصل عددهم إلى أربعمئة رجل من أعيان الناس، وقاتلوا أمام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جرحى، وقتل منهم عدد كبير منهم ضرار بن الأزور. ويذكر أنهم استسقوا ماء وهم جرحى فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً، ولم يشربها أحد منهم.

ثم حل خالد بن الوليد بالخييل على ميسرة الروم التي حملت على ميمنة

المسلمين . فأزروهم إلى القلب . وقتل المسلمون في حملتهم هذه ستة آلاف من الروم . ثم حل بمائة فارس على ما يقرب من مائة ألف من الروم فهايزموا أمامهم بإذن الله ، وتبعهم . . . ولما عاد المسلمون من حملتهم جاء البريد - الذي ذكرنا - بحمل وفاة الصديق وبيعة عمر وتولية أبي عبيدة إمرة القتال .

وخرج من بين الروم أحد أمراءهم الكبار وهو (جرجه) واستدعى خالد ابن الوليد إلى بين الصفوف حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجه : يا خالد أخبرني فأصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ، ولا يخادعني فإن الكرم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكمه فلا تسلمه على أحد إلا حرمتمهم ؟ قال : لا ! قال : فم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنقرنا منه ونأبنا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه ونابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصيتنا فهدانا به وبابعناه ، فقال لي : أنت سيف من سيوف الله سلمه الله على المشركين . ودعا لي النصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا أشد المسلمين على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل : قال : فمن لم يجيبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فإن لم يعطيا ؟ قال : تؤذنه بالحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنه وبابعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ، ونخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن



دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ، فقال جرجه : بالله لقد صدقتي ولم تخادعني ؟ قال : ناله لقد صدقتك وأن الله ولي ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمني الاسلام ، فقال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قرية من ماء ثم صلى به ركعتين . . . فحملت الروم عند ذلك على المسلمين حملة أزالوا بها المسلمين عن مواقعهم إلى المدافعين أمثال عكرمة بن أبي جهل وعمه الحارث بن هشام .

وحل خالد وجرجه بالمسلمين على الروم حتى هزموهم بإذن الله . . . وقتل جرجه رجة الله ولم يصل سوى هاتين الركعتين مع خالد ، وصل المسلمون يومذاك صلاة الظهر والعصر ايماء ، وآخرها صلاة العشاءين . وقر الروم ليلاً إلى الواقصة ، وسقط الذين ربطوا أنفسهم بالسلاسل .

وكان ممن شهد اليرموك الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لا تثبتون ، فقالوا : بلى ! فحمل وحلوا ، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين في كتفه . وقتل عكرمة بن أبي جهل وعمه الحارث بن هشام ، وابنه عمرو بن عكرمة ، وسلعة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وهشام بن العاص ، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي . وانهمز يومذاك عمرو بن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء فزجرتهم فعادوا . وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه فتراجعوا فوعظهم الأمير فرجعوا . وثبت يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالاً شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رحل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوقاً بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ،

فائق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الإسلام منك. فقال: افعل إن شاء الله، فقاتل يومئذ قتلاً شديداً وكان من ناحية القلب رضي الله عنه.

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر بقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد.

وروي أن الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية، فخرج يومئذ رجل من الروم، فقال: من يارز؟ فخرج إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقال للرومي: خذها وأنا الغلام الأيادي، فقال الرومي، أكثر الله في قومي مثلك! أما والله لو أنك من قومي لأزرت الروم، فأما الآن فلا أعينهم<sup>(١)</sup>.

وروي أن هرقل قال وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أيسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بلى نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني<sup>(٢)</sup>.

وروي أن أحد أمراء الروم وهو (القَبْلَار) بعث رجلاً عربياً من قضاة عيناً له بين المسلمين، وقال له: ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم اثنتي بخبرهم. قال: فدخل في الناس رجل عربي لا يتكلم، فأقام فيهم يوماً

(١) تاريخ الطبري، الجزء الثالث.

(٢) البداية والنهاية، الجزء السابع.

وليلة، ثم أثناء فقال له: ما ورامك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهاري فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم، لإقامة الحق فيهم. فقال له القبطار: لئن صدقتني ليطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرفي عليهم، ولا ينصرفهم علي<sup>(١)</sup>.

وفقد عدد من المسلمين عيونهم يوم اليرموك منهم: أبو سفيان وكان قد فقده عينه الأولى يوم حنين والثانية في اليرموك، وهاشم بن عبد مناف خريصاً، والمنيرة بن شعبة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معدى كرب، وقيس بن المكشوح وغيرهم.

وبعد معركة اليرموك التي فر منها الروم، وتابعهم المسلمون فصالحهم أهل دمشق وأهل حصص، إذ خلت أكثر هذه المناطق من الجنود الروم، كما أن هرقل قد انتقل من مقره في حصص إلى انطاكية التي اتخذها قاعدة له يسير فيها الجند، وتصدر عنه الأوامر.

وانتقل أبو عبيدة بالجيش من اليرموك إلى مرج الصفر ببقية الجيش الذي لم يلاحق الروم، وفي المرج وصل إليه الخبر بأن الروم قد تجمعوا بفحل بغور الأردن، فتوقف لا بدري بأي الأمرين يبدأ، أدمشق ويتركز المسلمون فيها أم يعود إلى فحل؟ فكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الموقف، ويستشير به بالأمر، وجاء الأمر من أمير المؤمنين أن يبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، فانه لها، وأشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حصص واترك عمراً وشرحيل على الأردن وفلسطين.

(١) تاريخ الطبري: الجزء الثالث.

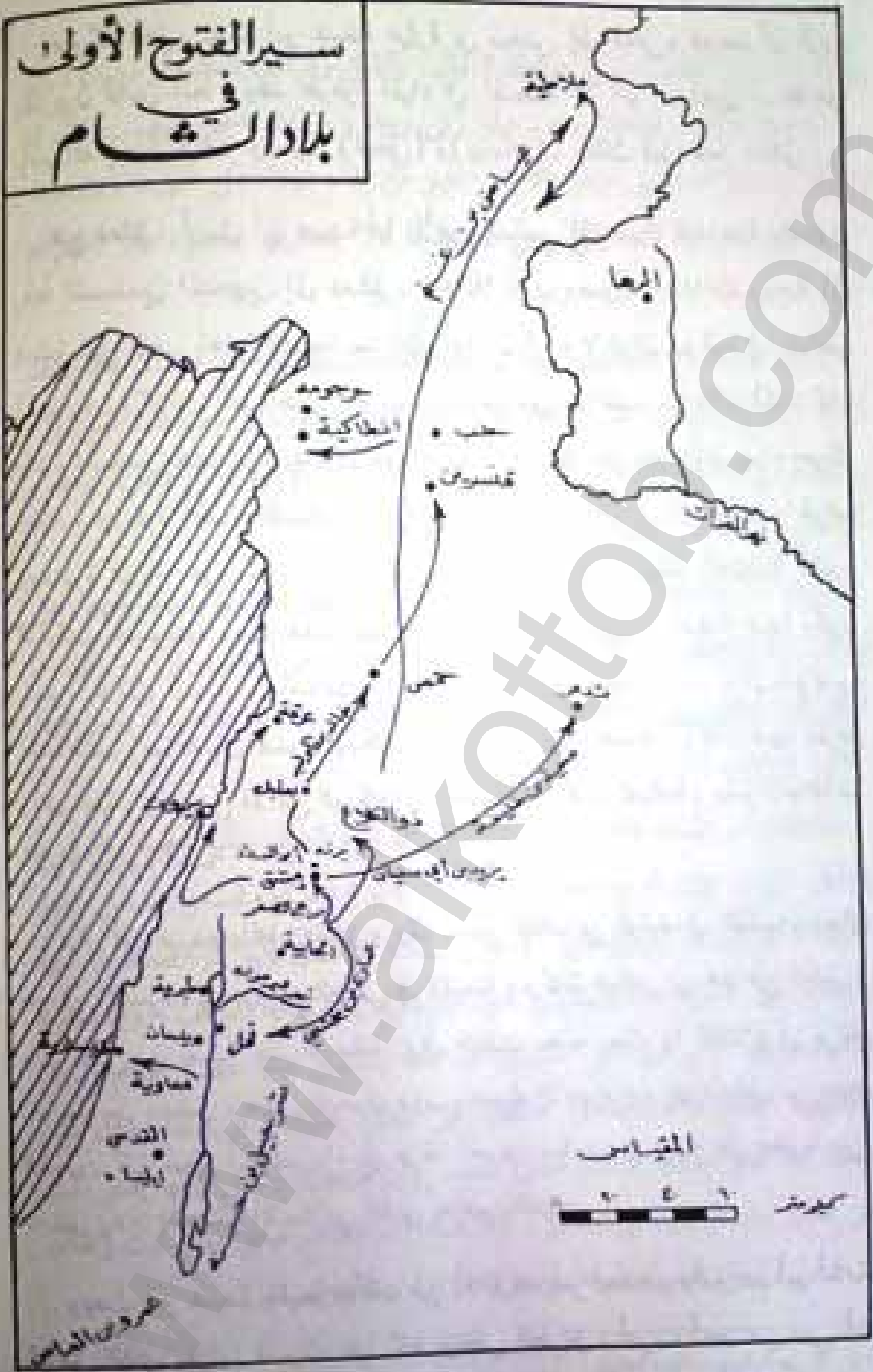
معركة فحل، بعث أبو عبيدة عمارة بن سُحش إلى فحل، فوجد أن الروم يقاربون ثمانين ألفاً، وقد طوفوا المياه في المنطقة إلا أن المسلمين استطاعوا بإذن الله إحراز النصر ودخول (فحل) و(يسان)، وذلك قبل فتح دمشق.

فتح دمشق، أرسل أبو عبيدة أبا الأعرس السلمي إلى طبريا ليفتحها وليكون ردها للمسلمين المتجهين إلى دمشق، وحائلاً دون وصول إمدادات رومية إلى دمشق التي تنقض أهلها الصلح بعد أن رأوا أن الروم لا تزال لهم قوة في المناطق الجنوبية، وكذلك أهل حصص، ويبدو أن المناطق الداخلية من بلاد الشام كان تقدم المسلمين فيها سهلاً وذلك لقلة السكان إذا استثنينا المدن، وسهولة حركة الجند، ووجود الحياة القبلية التي يمكن أن يكون لها أثر في الصلح أو الخوف ومغادرة الديار على حين كانت المناطق الساحلية في المنطقة الجنوبية كثيرة السكان لخصوبتها ومنها مدينة القدس ذات الطابع الديني، والدفاع عنها يكون كبيراً لذلك السبب. والمناطق الشمالية من الجهات الساحلية حلية وعمرة المسالك، إضافة إلى قسوة السكان لطبيعة بلادهم الجبلية، وكان فيها المردة والجراجمة، وهم من قدامى السكان، وبعضهم من بقايا العمالقة، وهم ارتباطات كبيرة بالروم أيضاً.

سار أبو عبيدة باتجاه دمشق، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب، وسار هو في الميسرة، وعمرو بن العاص في الميسرة، وكان عياض بن غنم على الخيل، وشرحبيل بن حسنة على الرجالة. وفي الوقت نفسه بعث ذا الكلاع في فرقة ليرابط بين دمشق وحصص لنحول دون وصول الإمدادات إلى دمشق من جهة الشمال، كما جعل أبا الدرداء في فرقة أخرى لتكون في بورزة على مقربة من دمشق ردها للجيش الإسلامي الذي يحاصر المدينة.

وبعث أبو عبيدة طلحة تآلف من ثلاثة عناصر أحدهم وأمرهم أبو أمامة الباهلي الذي يقول: فسرت فلها كنا ببعض الطريق، أمرت أحد من معي أن

# سير الفتوح الأولى بلاد الشام



يكن، وبعد مسافة أمرت الآخر فكمن هناك وسرت أنا وحدي حتى باب  
البلد، وهو مغلق لي الليل وليس هناك أحد، فنزلت ونهزت رعي بالأرض  
ونزعت لجام فرسي، وعلقت عليه مخلاتي وقت، فلما أصبح الصباح قمت  
فتوضأت وصليت الفجر، فإذا باب المدينة يقفح فلما فتح حلت على البواب  
قطعت بالرمح فقتله، ثم رجعت والطلب ورائي، فلما انتهينا إلى الرجل الذي  
في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجعوا عني، ثم سرنا حتى أخذنا  
الآخر وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب  
عمر فلما يعتمد من أمر دمشق، فجاءه الكتاب بأمره بالنسر إليها، فساروا  
إليها حتى أحاطوا بها، واستخلف أبو عبيدة على البرموك بشر بن كعب في  
خيل هناك (١).

ولا شك فإن الإيمان وحده هو الذي كان سبب نصر المسلمين في معاركهم  
التي خاضوها ضد أعدائهم على الرغم من قلتهم وقلة إمكاناتهم، وبالإيمان نفسه  
استطاع هذا الصحابي الجليل أبو أمامة أن ينطلق منفرداً إلى باب مدينة  
دمشق، وأن يبيت ليلة ونفسه مطمئنة وفكره مرتاحاً فلما سيكون وأن يصبح  
فيتوضأ ويصلي الفجر، ويقتل البواب وينطلق... وهذا ما أروع الروم،  
وأخاف السكان، وأضعف المعنويات إذ شعروا أن الغارات قد بدأت تصل  
إليهم، وأن الفرد من المسلمين وحده يمكن أن يكون غارة، بغير ويقتل  
وينصرف ولا يبالي.

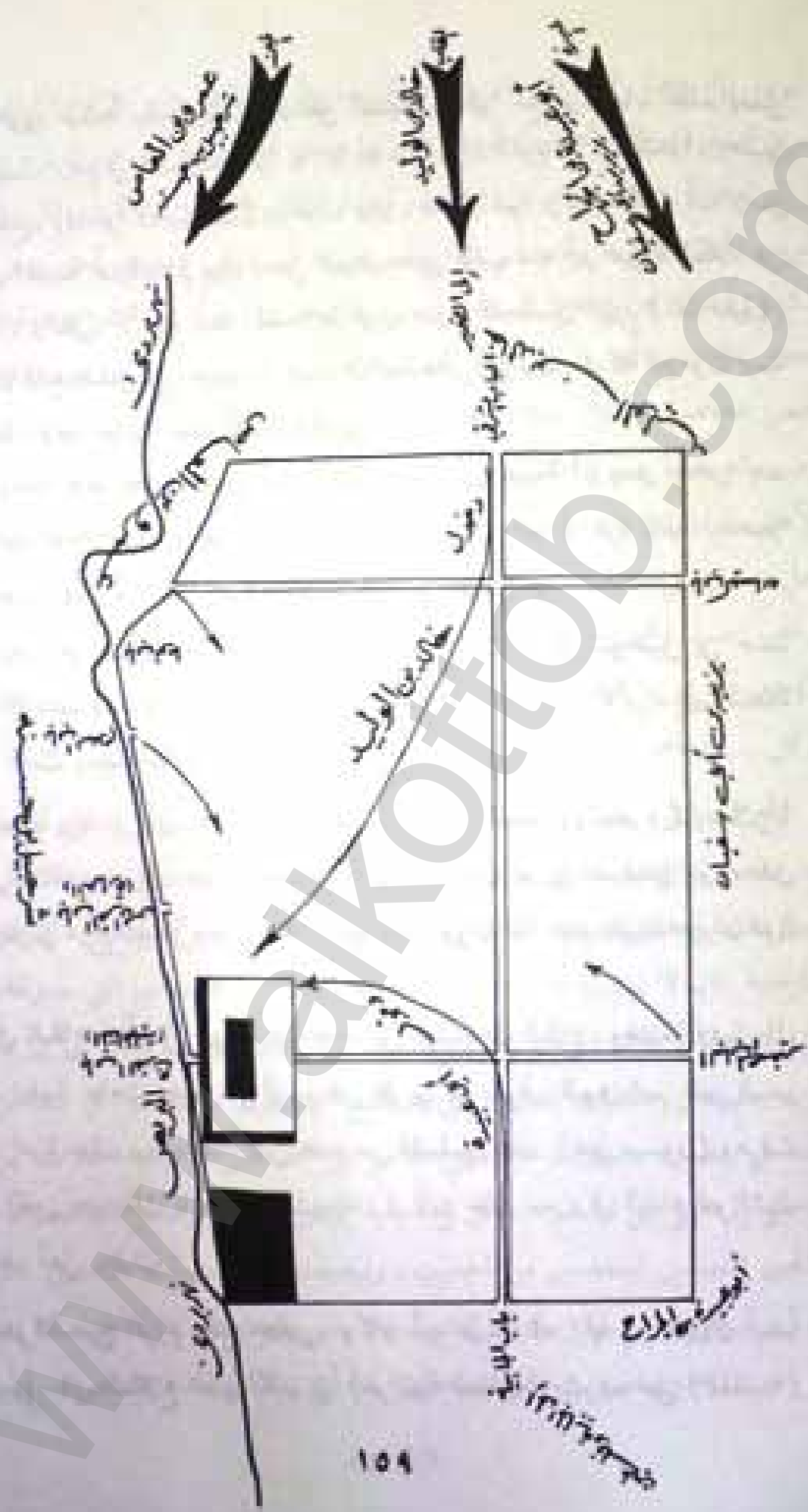
انطلق الجيش الاسلامي نحو دمشق، فدخل القوطة واحتلها كي لا يأمل  
أهل دمشق بمساعدات وتموينات منها، ووصل إلى دمشق من ناحية الشرق،  
فتوزع يحاصرها حسب التشكيل الذي يسم عليه، فتوقف خالد، وهو على  
قلب الجيش، على الباب الشرقي وحتى باب كيسان، وسارت المسرة على

(١) البداية والنهاية - الجزء السابع - ابن كثير

جنوب دمشق، فنزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير وإلى باب كيسان،  
ونزل أبو عبيدة على باب الجابية من جهة الغرب وحتى الباب الصغير. وسارت  
الميمنة على شمالي دمشق فنزل عمرو بن العاص على باب توما، ونزل شرحبيل  
ابن حسنة على باب الفراديس وباب السلام.

استمر حصار دمشق عدة أشهر، وشعر أهل دمشق أن الامدادات لا يمكن  
أن تصل إليهم، وجاء وقت البرد، وكان قاسياً، فصعب القتال، وفي إحدى  
الليالي ولد لبطريق المدينة مولود، فأقام وليته للجنود والناس، فباتوا ليلتهم  
تلك سكارى، وشعر خالد بن الوليد بذلك نتيجة ضعف قتال الذين فوق  
الأسوار وقلة حركة الناس عامة، ونتيجة المعلومات التي وصلت إليه من  
العيون، وهو على عين بقطعة لا ينام إلا قليلاً ولا ينام، وكانت عنده سلام  
مهيأة. فلما أحس بذلك استدعى بعض صناديد القوم أمثال القعقاع بن عمرو،  
ومذحور بن عدي، وأحضر جنده عند الباب، وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا  
فوق السور فارتقوا إلينا. ثم إنه قطع الخندق وهو وأصحابه سياحة وقد  
وضعوا قرباً في أعناقهم تساعدهم على السياحة. إذ كانت الخنادق تحيط بدمشق  
وهي ملبئة بالماء عدا الجهة الشمالية حيث كان نهر بردى هناك يعد بمثابة  
الخندق، وكان السور على صفائه يتصريح حسب المجرى على حين كانت  
الأسوار في الجهات الأخرى تسير بشكل مستقيم، وأثبت خالد وصحبه السلام  
على شرفات السور، وصعدوا عليها، فلما صاروا أعلى السور رفعوا أصواتهم  
بالتكبير لارهاب العدو ونزلوا على حراس الباب فقتلوهم، وفتحوا الباب  
عنوة، وقد طعنوا مغاليقه، واندفع الجنود من الباب إلى الداخل.

وانطلق خالد بن الوليد مع جنده داخل المدينة يعمل فبمن وقف في وجهه  
قتلاً، ويتجه نحو مركزها، وأسرع وجهازها نحو بقية الأبواب وخاصة نحو  
الغرب حيث باب الجابية خوفاً من أن ينالهم القتل، فيعلنون الاستسلام وفتح  
مدبنتهم، وطلب الصلح، ودخل بقية قادة المسلمين وجيوشهم من الأبواب





الأخرى صلحاً يتجهون نحو داخل المدينة والتقوا مع مركزها، خالد يعمل  
السيف، وهم في السلم، فقالوا له: يا أبا سليمان إن القوم قد استسلموا، وطلبوا  
الصلح، وفتحوا الباب لنا، ودخلنا سلماً، فقال لهم: وإنما دخلت أنا ومن  
معي المدينة عنوة، ولم يزل يعمل السيف حتى طلب منه أبو عبيدة الكف عن  
ذلك. والتقى الأمراء عند المقلاط قرب سوق النحاسين اليوم (الماخلية).  
وكان فتح دمشق في رجب من السنة الرابعة عشر أي بعد معركة اليرموك سنة  
كاملة. وقد استمر حصارها عدة أشهر.

وبعد فتح دمشق طلب أمير المؤمنين من أبي عبيدة أن يسير بعض جند  
العراق الذين جاءوا منها مع خالد بن الوليد إلى العراق مرة ثانية ليدعموا  
الفاحين فيها، فسيرهم بإمرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.

وولى أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان، وسير شرحبيل بن حسنة  
إلى الأردن، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، أي سار كل من الأمراء إلى المنطقة  
التي كانت وجهته الأولى إليها.

بعث يزيد بن أبي سفيان أمير دمشق دحية بن خليفة إلى تدمر، كما بعث أبا  
الزهراء القشيري إلى حوران فصالح أهلها، إذ كان طريق المسلمين إلى دمشق  
عن طريق مرج الصفر ومن جهة الغرب من حوران لذا فقد بقيت حوران دون  
مصالحة.

في البقاع: وأرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع، وعندما وصل إلى  
تلك الجهة جاءت حملة من الروم عن طريق ما يعرف اليوم باسم ظهر البيدر  
تحت إمرة سنان، واستطاع قتل عدد من المسلمين عند (عين ميسون) وعرفت  
تلك العين بعد ذلك باسم عين الشهداء. ثم تابع خالد سيره في البقاع نحو الشمال  
فصالحه أهل بعلبك.

معركة مرج الروم وفتح حصص: وكان أبو عبيدة قد اتجه إلى الشمال أيضاً  
فنزل على ذي الطلاع الذي كان في آخر ثنية العقاب ويشرف على (القطيفة)

ليوم، وإذا وصل إليه خبر إرسال هرقل بطريقاً من قبله بدمى (توذرا) إلى  
مرج الروم (منطقة الصبورة اليوم) لينازل دمشق فسار إليه أبو عبيدة وخرج  
(إلى توذرا) وجاء خالد من الخلف، وبدأ القتال فلم ينج من الروم إلا من  
شرد، وقتل خالد (توذرا)، وكان أبو عبيدة قد التقى بطريق آخر بدمى  
(شس) نزل بجانب فتنازلا وقتل أبو عبيدة شس أيضاً، وفر أتباعه باتجاه  
حصص فلاحتهم أبو عبيدة، ولما انتهى خالد من (توذرا) مع أبو عبيدة نحو  
حصص فحاصرها معاً، وطال الحصار، وجاء فصل الشتاء، وكان شديد البرد،  
وصبر الصحابة صبراً عظيماً، ولما انسلخ الفصل البارد اشتد الحصار، وأجر  
الأهالي المسؤولين بالاستسلام، وطلبوا الصلح حسب الصلح الذي صالح عليه  
أهل دمشق على نصف المنازل، وضرب الحراج على الأرض، وأخذ الجزية على  
الرقاب حسب الغنى والفقير. وبعث أبو عبيدة بالأخماس واليشارة إلى أمير  
المؤمنين عمر بن الخطاب مع عبدالله بن مسعود... كما طلب منه الرأي بشأن  
هرقل... فجاءه الجواب بالبقاء في حصص بالنسبة إلى أبي عبيدة.

فتح قنشرين، وأرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنشرين فقاتل أهلها  
بعد حصار واعتذار بعد هزيمة أولي، وأثر ذلك دخل المدينة عنوة، وذلك في  
السنة الخامسة عشرة من هجرة رسول الله ﷺ. هذا التقدم السريع في المناطق  
الداخلية كان لا يوازيه تقدم آخر في المناطق الساحلية للأسباب التي سبق أن  
ذكرناها، الأمر الذي اقتضى أن يقوم عمرو بن العاص الذي ولي أمر فلسطين  
بحرب عنيفة في مناطقه الجنوبية حتى يستطيع المسلمون أن يتقدموا في الساحل  
والداخل بصورة متوازية، واقتضى الأمر من القيادة أن توجه حملات من  
الداخل إلى الساحل لتقطع المناطق الساحلية إلى وحدات، ولتقلل الضغط أمام  
الفاشين المسلمين المتقدمين من الجنوب، وليضعف معنويات المعتدين من  
الروم، وليقلل أملهم في إمكانية التثبيت بالأرض والبقاء في تلك الجهات، لذا  
أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان بالتحرك نحو قيسارية

وتولي أمورها وكتب إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها وانتصر  
الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا  
وثقتنا ورجائنا فنعم المولى ونعم النصير. فسار إليها فحاصرها، وقاتل أهلها  
عدة مرات وفي النهاية انتصر عليهم وقتل منهم ما يقرب من ثمانين ألفاً، وبهذا  
الفتح انقطع رجاء الروم في النصر... ثم كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن  
يسير إلى ايلياء (بيت المقدس).

فتح أجنادين: سار عمرو بن العاص إلى أجنادين وهي موقع قريب من  
الغالوجة ومكان عبور فلسطين من الجنوب، إذ رابط فيها الأرطيون، كما  
كانت قوة للروم في الرملة، وأخرى في بيت المقدس، وكانت إذا جاءت  
قوات داعمة إلى عمرو أرسل بها تارة إلى الرملة وأخرى إلى بيت المقدس  
ليشغلوا الروم في تلك الجهات خوفاً من دعمهم للأرطيون في أجنادين. وطال  
تأخر الفتح في أجنادين، وسارت الرسل بين الطرفين، ولم يشف أحدها غليل  
عمرو، فسار بنفسه باسم رسول، ودخل على الأرطيون، وجرى الحديث  
بينها، استنجد الأرطيون على أن هذا الرسول إنما هو عمرو بالذات أو أنه  
شخص ذو قبيلة وأثر بين المسلمين، وقال في نفسه: ما كنت لأصيب القوم  
بأمر هو أعظم من قتله. فدعا حرسياً فساره وأمره بالفتك به فقال: اذهب فقم  
في مكان كذا وكذا، فإذا مر بك فاقطعه، فنظن عمرو بن العاص فقال  
للأرطيون: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد  
من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لتكون مع هذا الوالي لنشهد أمره. وقد  
أحببت أن أتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت. فقال الأرطيون: نعم!  
فأذهب فائتني بهم، ودعا رجلاً فساره فقال: اذهب إلى فلان فردّه. وقام عمرو  
ابن العاص فرجع إلى جيشه، ثم تحقق الأرطيون أنه عمرو بن العاص نفسه فقال:  
خدمني الرجل، هذا والله أدهى العرب. وبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: لله  
در عمرو. وحدث قتال عظيم في أجنادين كقتال اليرموك... ثم دخل

المسلمون أجنادين، وتقدموا نحو بيت المقدس.

**فتح بيت المقدس:** لقي المسلمون عناداً قوياً من الروم الأمر الذي جعل الجيوش الإسلامية تجتمع مرة أخرى، وولى أبو عبيدة علي دمشق سعيد بن زيد، وسارت الجيوش لتحصن بيت المقدس وتضيق على من فيها حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. أرسل أبو عبيدة إلى عمر بغيره الخبر، واستشار عمر الصحابة فأشار علي بن أبي طالب عليه بالسير ورأى عثمان بن عفان غير ذلك، فأخذ عمر برأي علي وولاه على المدينة وسار إلى الشام وعلى مقدمته العباس بن عبدالمطلب، واستقبله في الحجابة أمراء المسلمين أبو عبيدة وخالد ويزيد، ومن الحجابة سار عمر إلى بيت المقدس، ثم صالح النصارى، واشترط عليهم الحراج الروم خلال ثلاثة أيام، ثم دخل المسجد من حيث دخل رسول الله يوم الأسراء وصلّى فيه مع المسلمين، ثم سار إلى الصخرة وجعل المسجد في قبلة بيت المقدس. وبعد فتح بيت المقدس رجع كل أمير إلى مكانه.

**فتح حصن ثانية:** وما أن وصل أبو عبيدة إلى مركزه في حصن حتى حاصره الروم، وقد استنفروا معهم أهل الجزيرة، وكان أبو عبيدة قد استشار المسلمين في التحصن بالمدينة أو قتال الروم خارجها، فأشاروا عليه بالتحصن إلا خالد ابن الوليد الذي كان قد استقدمه من قنشرين لمساعدته ودعمه، فقد رأى قتال الأعداء خارج البناء، إلا أن أبا عبيدة رأى ما رأه بقية المسلمين، وكتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين بعلمه الخبر. وكانت بقية بلدان بلاد الشام كل منها مشغول بما فيه، ولو جاءت له نجدة من أية مدينة فلربما اختل النظام في بلاد الشام كافة. وبخاصة أن هناك جيوب رومية كثيرة، ويختلط السكان، وكتب عمر ابن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص في العراق بطلب منه أن يسير مدداً بإمرة القعقاع بن عمرو إلى حصن، وأن يعث بعنا بإمرة عياض بن غنم إلى بلاد الجزيرة الذين مالوا الروم. خرج من الكوفة جيشان أولاهما اتجه نحو حصن

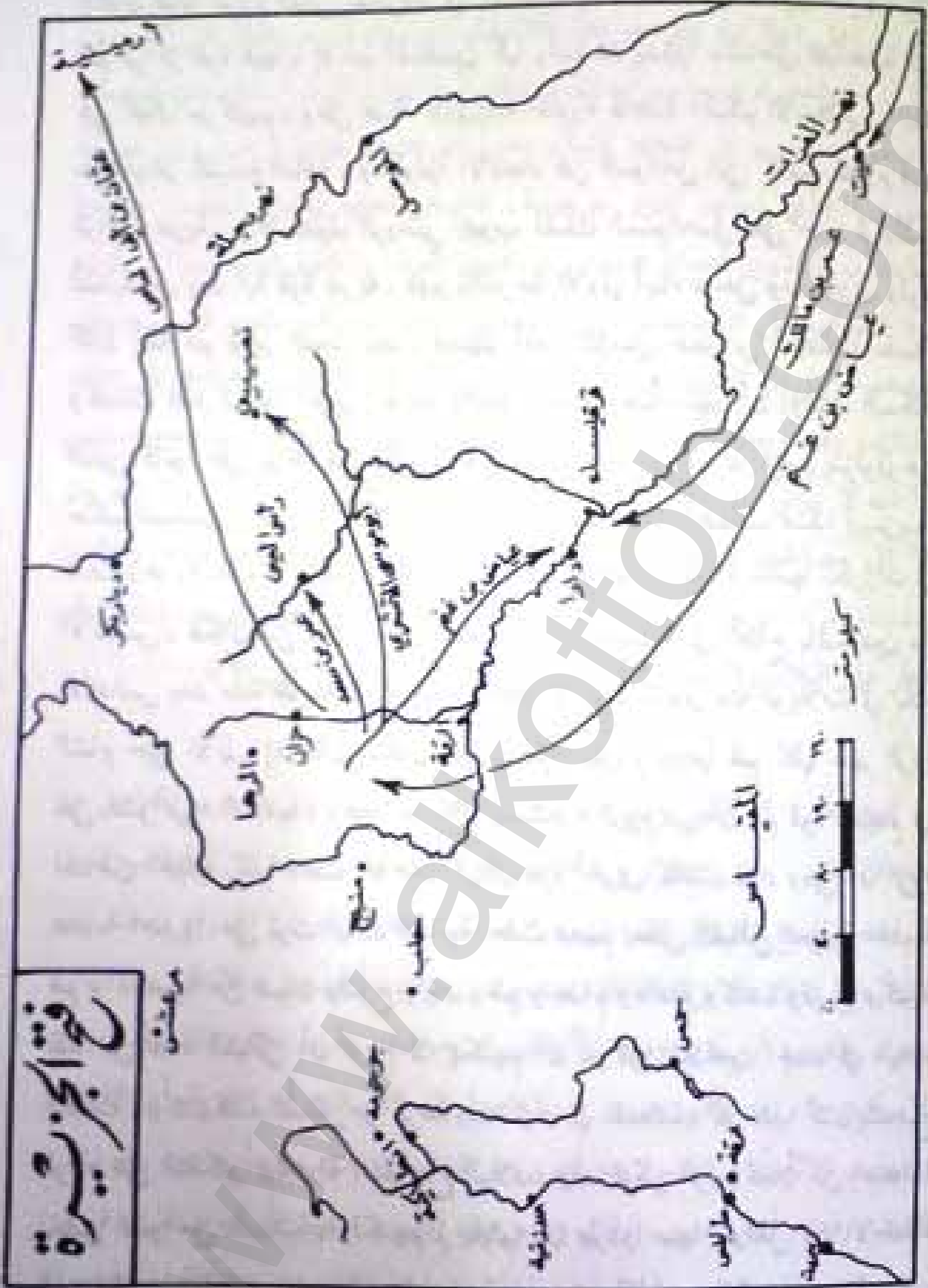
وقوامه أربعة آلاف مقاتل بقيادة القعقاع بن عمرو، والأخر اتجه نحو الجزيرة بقيادة عياض بن غنم، وفي الوقت نفسه خرج عمر بن الخطاب نفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة، علم أهل الجزيرة أن الجيش الإسلامي قد طرد بلادهم فتركوا حصص ورجعوا إلى أرضهم. وأخبر الروم أن أمير المؤمنين قد سار إلى الشام ليدعم حصص فانهارت معنوياتهم وضعف أمرهم، وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز لهم ليقاتلهم فوافق، فنصر الله عباده المؤمنين على أعدائهم ولم يصل بعد القعقاع إذ وصل إلى حصص بعد انتصار المؤمنين بثلاثة أيام، كما أن عمر بن الخطاب كان قد وصل إلى الحجابة وجاءه خبر المعركة وهو فيها، وعقد المدد بين المقاتلين ونال نصيبه من الغنائم. كما صالح أهل حلب ومبج وانطاكية.

فتح الجزيرة: أما عياض بن غنم فقد وصل إلى الجزيرة وصالح أهل (حوران) و(الرها) و(الرقبة)، وبعث أبا موسى الأشعري إلى (نصيبين)، وعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى (رأس العين) وسار هو إلى (دارا)<sup>(١)</sup> ففتحت هذه المدن، كما أرسل عثمان بن أبي العاص إلى أرمينيا فحدث قتال ثم صالح عثمان أهل البلاد على جزية مقدارها دينار على كل أهل بيت.

فتح سواحل الشام: وفتحت (قرقيساء) على يد عمر بن مالك، وصالح أهل (هيت)، وكان يزيد بن أبي سفيان قد أرسل أخاه معاوية على مقدمته لفتح بناء على أوامر أبي عبيدة المدن الساحلية صور وصيدا وبيروت وجبيل وعرقة<sup>(٢)</sup> وطرابلس. وهذا أصبحت بلاد الشام كلها بيد المسلمين. إلا أن خطأ قد وقع أثناء الفتح، وهو أن المسلمين لم يكونوا يسيطروا البلاد التي

(١) دارا مكان دير الزور اليوم، وهي قرب قرقيساء التي هي مكان البصرة عند التقاء نهر الخابور بنهر الفرات.

(٢) عرقة: مدينة كانت تقع إلى الغرب من طرابلس، وهي غير موجودة الآن.



يفتحونها بشيطاً كلياً حيث يخلونها من كل من يمكن ان يتمرد في المستقبل أو  
يكون عوناً للروم الذين يفكرون في استعادة بلاد الشام ويعتقدون أنه لا تزال  
لهم مراكز قوة فيها، إذ أن المسلمين كما رأينا قد بدؤوا بالمناطق الداخلية التي  
هي مجال حركتهم، وعلى صلة بالمدينة المنورة قاعدة الحكم الاسلامي، بناءً  
على أوامر القيادة العامة، وحاولوا الابتعاد عن السواحل التي كانت للروم فيها  
قواعد بحرية، والاسطول الرومي يجوب تلك السواحل على حين لم يكن  
للمسلمين بعد أية قوة بحرية، فهم بالدرجة الأولى أبناء داخل وصحارى وربما  
كان أكثرهم لم ير البحر بعد، ومنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه.  
وكذلك فقد تركوا الجزر الجبلية والتفوا حولها ظناً منهم أن أولئك السكان  
الذين كانوا على درجة من القلة لا تمكنهم من عمل شيء، لذا فإنهم ينزلون على  
حكم المسلمين راضين أو كارهين إضافة إلى فقر تلك الجهات هذا ويزيد  
ذلك وعورة تلك الأماكن وصعوبة مسالكها، وهذه الخطيئة نفسها تكررت في  
الاندلس، فكان من تلك الجزر الجبلية البلاء العظيم الذي أطاح بالمسلمين من  
الاندلس بعد مدة طويلة من الزمن، والذي لا تزال نذوق منه الويلات في بلاد  
الشام حتى الآن، إذ كان سكان الجبال عوناً للروم ودعماً لهم كلما ظهر الروم  
على الشواطئ الشامية، وهذا ما كان يستشعره الروم من أن لهم قوة تعصم في  
المناطق الجبلية كلما دعت الحاجة، كما أن قوة أخرى كانت لهم، وهي أن الروم  
عندما اجبروا على ترك البلاد الشامية جلت معهم بعض القبائل العربية الخليفة  
لهم والمتنصرة من غسان وتنوخ وايباد ولخم وجذام وهاملة وكندة وقيس وكنانة  
ظناً من هذه القبائل أن الروم لا يمكنهم أن يتركوا الفاتحين الجدد في البلاد  
الشامية، وكان لهذه القبائل مراكزها وأنصارها في المنطقة، كل هذا كان يشجع  
الروم على التفكير ومحاولة استرجاع البلاد، وقد تمكن الروم فعلاً من استعادة  
بعض السواحل اللبنانية، ولكنهم لم يلبثوا أن طردوا منها. ولعل من الأخطاء  
التي وقعت آنذاك الاستعانة بالهجرة، وهم سكان منطقة الجرجومة وهي

مدينة تقع في جبل الأمانوس (اللكام) شمال انطاكية، وقد كانت لهم دولة مركزها مرعش، ويعتقد أنهم من بقايا الحثيين. وعندما صالح أبو عبيدة بن الجراح أهل انطاكية همّ الهجرة بالانتقال إلى بلاد الروم خوفاً على أنفسهم، إلا أن المسلمين لم يأهوا بهم آنذاك، ولكن انطاكية لم تلبث أن نقضت العهد، واضطر المسلمون إلى فتحها ثانية، وعين أبو عبيدة عليها (حبيب بن مسلمة الفهري) الذي استعد لغزو جرجومة، فاضطر أهلها لطلب الصلح، وكانوا ياعدون المسلمين أحياناً عندما يرون فيهم القوة، ولكنهم إن وجدوا في الروم قوة كانوا على أن ينقضوا على المسلمين، وهذا ما كان يشجع الروم، وبقي عندهم الأمل في العودة إلى بلاد الشام، وربما كان المسلمون بحاجة إلى الجند آنذاك، وقد وجدوا في الهجرة عنصراً محارباً ودعمياً عسكرياً فاستفادوا منهم، إلا أنه لا يؤمن لهم ولا لعهودهم ما داموا لا يدينون دين الحق، ولا ينظرون إلا إلى مصالحهم، وهذا ما كان يجعلهم يقفون بجانب الروم أحياناً وبجانب المسلمين مرة أخرى، ثم توزعوا في المناطق الجبلية الغربية عونا للروم، وبقي لهم خطر على البلاد ولأحفادهم الذين اعتقدوا عقائد غريبة حتى الآن.

فتح مصر، لما انتهى فتح المسلمين لبلاد الشام، وانتهى عمرو بن العاص من فتح فلسطين، طلب عمرو بن العاص من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السير إلى مصر للفتح، فوافق عمر وسيره إليها، ثم أمده بالزبير بن العوام ومعه بسر ابن أرطاة وخارجة بن حذافة، وعمير بن وهب الجمحي، فالتقيا عند باب مصر، ولقيهم أبو مرع ومعه الأسقف أبو مريام وقد بعثه المتوقس من الاسكندرية، فدعاهم عمرو بن العاص إلى الاسلام أو الجزية أو القتال، وأمهلهم ثلاثة أيام فطلبوا منه أن يزيد المدة فزادها لهم يوماً واحداً، ثم نشب القتال، فهزم أهل مصر، وقتل منهم عدد كبير، منهم الأرطون الذي فر من بلاد الشام إلى مصر، والذي أجبر أهل مصر على المقاومة، وحاصر المسلمون



عين شمس، وارتقى الزبير بن العوام السور، فلما أحس السكان بذلك انطلقوا  
بالتجاه عمرو على الباب الآخر، إلا أن الزبير كان قد اخترق البلد عنوة ووصل  
إلى الباب الذي عليه عمرو، فصالحوا عمراً وأمنى الزبير الصلح، وقبل أهل  
مصر كلهم الصلح، إذ كان قد وجه عبدالله بن حذافة إلى عين شمس لطلب  
على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح القسطنطين.

ثم أرسل عمرو جيشاً إلى الاسكندرية حيث يقم المقوقس، وحاصر الجيش  
المدينة، واضطر المقوقس إلى أن يصالح المسلمين على أداء الجزية واستخلف  
عمرو بن العاص عليها عبدالله بن حذافة. وانشئت مدينة القسطنطين مكان خيمة  
عمرو حيث بني المسجد الذي ينسب إليه الآن، وأقيمت البيوت حوله.

وأرسل عمرو قوة إلى الصعيد بإمرة عبدالله سعد بن أبي سرح بناء على  
أوامر الخليفة لفتحها، وكان الوالي عليها كما أرسل خارجة بن حذافة إلى  
القيوم وما حولها لفتحها وصالح أهلها، وأرسل عمير بن وهب الجمحي إلى  
دمياط وتيس وما حولها فصالح أهل تلك الجهات.

ثم سار عمرو بن العاص إلى الغرب ففتح بركة وصالح أهلها، وأرسل عقبة  
ابن نافع لفتح (زويلة) واتجه نحو بلاد النوبة، ثم انطلق عمرو إلى طرابلس  
لفتحها بعد حصار دام شهراً، كما فتح (صيرانه) و(شروس) ومنعه عمرو بن  
الخطاب أن يتقدم أكثر من ذلك إلى جهة الغرب.

٢ - الجبهة الشرقية: كان الفرس على خلاف فيما بينهم، كما كان  
الحكام على خلاف فيما بينهم، فلما غادر خالد بن الوليد العراق إلى الشام شعر  
الفرس بقلعة من بقي من جند المسلمين هناك، فأرادوا النيل منهم وطردتهم من  
أرض العراق، فأرسل شهريار ملك الفرس جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل إلى  
المنى بن حارثة الشيباني قائد جند المسلمين، إلا أن الفرس قد هزموا هزيمة  
منكرة أيضاً.

طلب المشي بن حارثة المدد من المدينة، إلا أن أخيار الصديق قد تأخرت  
عليه لانشغاله بقتال الشام الأمر الذي جعل المشي يسير بنفسه إلى المدينة وقد  
خلف وراءه على المسلمين بشير بن الخصاصية، فلما وصل إلى قاعدة الحكم وجد  
أبا بكر في آخر عهده وقد استخلف عمر من بعده. فلما رأى أبو بكر المشي  
قال لعمر: إذا أنا مت فلا تمسني حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع  
المشي، وإذا فتح الله على امرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم  
أعلم بحربه. فلما مات الصديق ندب عمر المسلمين إلى الجهاد في أرض العراق،  
وأمر على المجاهدين أبا عبيد بن مسعود الثقفي حيث كان أول من لى النداء  
ولم يكن من الصحابة، مع العلم أن عمر لم يكن ليولي إلا من كان صحابياً،  
وعندما سئل في هذا الأمر أجاب: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما  
سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم، ثم دعاه  
فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وعن معه من المسلمين خيراً. وأمره أن  
يستشير أصحاب رسول الله ﷺ، وسار المجاهدون إلى العراق.

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الوقت نفسه إلى أبي عبيدة في  
الشام أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد بن الوليد إلى العراق،  
فسيرهم أبو عبيدة بعد فتح دمشق بإمرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص.

وأرسل عمر أيضاً مدداً آخر بقيادة جرير بن عبدالله البجلي قوامه أربعة  
آلاف، فسار باتجاه الكوفة، والتقى بقائد فارس فهزمه شر هزيمة وسقط أكثر  
جند الفرس في النهر.

معركة النارق: بعث رستم جيشاً لقتال أبي عبيد فالتقى الطرفان في النارق  
بين الحيرة والقادسية، وكان على خيل المسلمين المشي بن حارثة، فهزم الفرس،  
وولوا الأدبار، وساروا إلى (كسكر) فلحقهم أبو عبيد، ثم هزمهم ثانية بعد  
أن جاءتهم قوة داعمة لنصرتهم، وفرّ الفرس إلى المدائن.



معركة الجسر، بعد أن هزم الفرس في التارق وما بعدها اجتمعوا إلى رستم، فأرسل جيشاً كثيفاً ومعهم راية (كسرى) وراية (أفريدون) التي تسمى (الدرقس) وسار هذا الجيش نحو المسلمين فالتقوا، وبينهم جسر، فقال الفرس: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبث إليكم، فقال المسلمون لأبي عبيد: أمرهم أن يعبروا إلينا، فقال أبو عبيد: ما هم أجراً منا على الموت بل نعبث إليكم، ثم اقتحم الجسر إليهم، وجرت معركة عنيفة بين الطرفين. وكانت قبيلة الفرس تؤذي المسلمين حيث تخافها خيولهم الأمر الذي جعل أبا عبيد يأمر المسلمين بقتل القبيلة فقتلوها وكان بين القبيلة قبيل عظيم هجم عليه أبو عبيد، فضرب خرطومها فاستندم القبيل وصرخ وقتل أبا عبيد وبرك فوقه، وقتل القادة الذين تولوا أمر المسلمين بعد أبي عبيد، حتى جاء دور المشي من حارثة في الامارة، وكان قد ضعف أمر المسلمين، وأرادوا التراجع، وعبر بعضهم الجسر، ولتزامهم عليه تحطم الأمر الذي جعل ظهور المسلمين للفرس وبدأ القتل فيهم حتى عظم، فقتل منهم من قتل، وغرق من غرق. فجاء المشي ووقف عند مدخل الجسر يحيي المسلمين ليقطعوا الطريق ببطء فأصلحوا الجسر وعبروا خلاله، حتى انتهوا والمشى وشجعان المسلمين يموتهم. وقد وقعت هذه المعركة بعد معركة اليرموك بأربعين يوماً أي في شهر شعبان في السنة الثالثة عشرة للهجرة واختلف الفرس ثانية على الحكم إذ خلعوا رستم، ثم عادوا فولوه، وأضافوا إليه الفيرزان، وسار الفرس إلى المدائن فلحقهم المشى، وهزم من اعترض سبيله منهم وأسر عدداً كبيراً ضرب أعناقهم، وطلب النجدة والمدد من أمراء المسلمين، فوافوه، كما كان قد وصل إليه جرير بن عبدالله البجلي ومن معه.

معركة البويب: لما علمت الفرس باجتماع عدد من جيوش المسلمين بعثت جيشاً كثيفاً، والتقى الطرفان في مكان يقال له (البويب) قرب الكوفة، وطلبت الفرس أن يعبر المسلمون إليها، أو تعبر إليهم، فأجاب المشى بأن يعبر

الفرس، فعبث الفرس وجرت معركة عظيمة هزمت فيها المجوس، وقتل منهم عدد كبير قتلاً وغرقاً في النهر، وكانت هذه المعركة عظيمة إذ اقتصر فيها المسلمون من معركة الجسر ونالوا غنائم عظيمة، وقتل فيها قائد الفرس مهران، وكان ذلك في شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة للهجرة.

وبعد معركة البوب التي اقتضت مضاجع الفرس اجتمع امراءهم على ملك بروجرد بن شهریار بن كسرى، وانفقوا على ذلك فيما بينهم، وأرسلوا بالخير إلى اتباعهم في الامصار كافة، الأمر الذي جعل المجوس وأنصارهم الذين حالوا المسلمين وأظهروا الطاعة ينقضون العهد. وأخبر المسلمون بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

حدث عمر بن الخطاب المسلمين على الجهاد وخرج بنفسه على رأس الجيش من المدينة بعد أن ولي مكانه علي بن أبي طالب واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة حتى وصل إلى ماء يقال له (الصرار) فعقد مجلساً استشارياً في الذهاب، وقد أرسل إلى علي أن يأتي من المدينة، فكلهم وافقه على رآيه إلا عبدالرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كسرت أن تضعف أمر المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع إلى المدينة، فقال عمر إلى هذا الرأي، ووقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص قائداً للجيش، فأرصاه، وكتب إلى المشي بن حارثة وجرير بن عبدالله البجلي في إطاعة سعد، كما أصبح جميع أمراء العراق تبعاً له، ولكن المشي قد توفي قبل وصول سعد إذ انتفض عليه جرحة الذي أصابه يوم الجسر.

اجتمع المسلمون في القادسية حسبما واعدتهم سعد بن وقاص بناء على أوامر الخليفة عمر بن الخطاب، كما طالب الخليفة أن يكون على القضاء عبدالرحمن ابن ربيعة الباهلي، والقاص سلمان الفارسي، وكان في الجيش أكثر من ثلاثمائة من الصحابة بينهم أكثر من سبعين من أهل بدر.

ولما بلغ سعد ماء العذيب اعترضه جيش للفرس، فهزموه، ونجم منه غنائم كثيرة. ويبدو من هذه المعارك ان المسلمين كانوا يتوغلون في أحماق العدو دون تطهير كامل للمناطق الخلفية مما يجعل الفرس يستطيعون تحريك جيوشهم الى قرب أماكن المعارك الأولى.

معركة القادسية: ثم سار سعد حتى نزل القادسية، فمكث فيها شهراً لم ير فيه أثراً للفرس، وكان بيت سراياه في كل الجهات، فكانت تأتيه بالغنائم الأمر الذي جعل الفرس وحلفاءهم يتضايقون جداً، وأخبروا ملكهم (يزدجرد) بأنه إن لم يتجدهم فإنهم سيضطرون الى تسليم ما بأيديهم الى المسلمين أو يصالحونهم، وهذا ما جعل (يزدجرد) يدعو رستم ويؤمره على الحرب بجيش كثيف، وقد حاول رستم أن يعفيه الملك من ذلك وأبدى الاعتذار بأن ارسال جيش كثيف واحد الى المسلمين فيه شيء من الخطأ، وإنما من الصواب أن يرسل جيشاً إثر آخر لضعاف المسلمين، إلا أن الملك قد أصر على إرساله بهذا الجيش اللجب الذي يبلغ قوامه مائة وعشرين ألفاً، ويكون مثلها مدداً لها.

سار رستم وعسكره بساباط، وكان سعد يكتب في كل يوم الى الخليفة حسب أوامره إليه، ولما اقترب رستم من المسلمين بعث إليه سعد جماعة من سادات المسلمين يدعونه إلى الله عز وجل وكان بينهم: النعمان بن مقرن، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وفروات بن حبان، وعطاردين حاجب، وحنظلة بن الربيع، وعمرو بن معد يكرب. فقال لهم رستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا، أخذ بلادكم وسي نساكنكم وأبنائكم وأخذ أموالكم، ونحن على يقين من ذلك. وقد تأخر رستم في الخروج من المدائن للقاء سعد في القادسية مدة أربعة أشهر عسى أن يضر سعد ومن معه من المسلمين، كما أن رستم كان يعتقد أن النصر سيكون حليف المسلمين لما يرى ويسمع عن معاركهم وأخلاقهم. وقد ضعفت معنويات رستم ومن معه بعد أن سمعوا كلام الوفد، وما فيه من ثقة بالله وبقين بالنصر.

ولما اقترب الجيشان طلب رستم من سعد أن يبعث له رجلاً عاقلاً عالماً يجيبه  
عن بعض أسئلته ، فأرسل له سعد المغيرة بن شعبة . فقال له رستم : إنكم جيراننا  
وكننا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم ، فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم  
من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إن ليس طلبنا الدنيا ، وإنما هنا  
وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة  
على من لم يدين بديني فأنا منتقم بهم منهم ، واجعل لهم القلية ما داموا مقرين به ،  
وهو بين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا قتل ، ولا يعتصم به إلا عز . فقال له  
رستم : فما هو ؟ فقال : أما عبوده الذي لا يصلح شيء منه إلا به شهادة أن لا  
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، فقال : ما  
أحسن هذا ! وأي شيء أيضاً ، قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة  
الله . قال : وحسن أيضاً وأي شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم إخوة  
لأب وأم ، قال : وحسن أيضاً ، ثم قال رستم : أرأيتم إن دخلنا في دينكم  
أترجعون عن بلادنا ؟ قال : إي والله ثم لا تقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة .  
قال : وحسن أيضاً . وإن هذا الحديث قد زاد إلى أضعاف معنويات رستم  
والفرس ، وزاد بقيتهم في انتصار المسلمين ، وزادت قناعتهم بهذا الدين الجديد  
حتى إن رستم قد ذكروا وجهاء قومه في الدخول في الإسلام فأنفقوا وأبوا  
فأخزاهم الله .

وحاول رستم والفرس أن يبلجؤوا إلى طريق الاغراء فزينوا مجلس رستم  
بالنارق المذهبة والحرير ، وأظهروا اللؤلؤ والياقوت والأحجار الكريمة  
الثمينة ، وزينوا الزينات العظيمة ، وجلس رستم على سرير واسع من الذهب ،  
وعليه تاج مرصع ، ثم طلب رستم ثابته من سعد إرسال رجل آخر ، فأرسل إليه  
ربيعي بن عامر ، فسار إليه بثياب صفيقة وأسلحة متواضعة وفرس صغيرة ، ولم  
يؤزل راحيتها حتى داست على الديباج والحرير ، ثم نزل عنها وربطها في قطع من

الحرير مرقها بما رأى أمامه ، وأقبل على رسم وعليه سلاحه الكامل ، فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتوني فإني تركتوني هكذا وإلا رجعت ، فنقلوا ذلك لرسم فقال : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمح فوق النارق فحرق أكثرها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي . فقال رسم : قد سمعت مقاتلكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وننظروا ؟ قال : نعم ، كم أحب إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكتب أهل رأينا برؤساء قومنا . فقال : ما سن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجر أعضاهم على أعضاهم . فاجتمع رسم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابهم ؟ فقال : ولبكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكول ، ويصنون الأحساب .

وبعث الفرس في اليوم الثاني يطلبون رجلاً آخر يريدون أن يعرفوا نماذج من المسلمين ، فهل كلهم على هذا اليقين وهذا الرأي ؟ عليهم يحدون ثغرة يستطيعون أن ينفذوا منها ، فبعث إليهم سعد بن أبي وقاص رجلاً آخر هو حذيفة بن عاصم ، فتكلم على النحو الذي تكلم فيه ربي بن عامر .

وتكرر الطلب في اليوم الثالث فأرسل إليهم سعد ثالثاً هو المغيرة بن شعبه . فقال رسم للمغيرة : إنما مثلكم في دخول أرضنا مثل الذهب رأى العسل .



فقال: من يوصلني إليه وله درهمان؟ فلما سقط عليه غرق فيه، فجعل يطلب الخلاص فلم يجده، وجعل يقول: من يخلصني وله أربعة دراهم؟ ومثلكم كمثل نعلب ضعيف دخل حجراً في كرم، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمة فتركه، فلما سمع أفسد شيئاً كثيراً فجاء بجيشه، واستعان عليه بفلحانه فذهب ليخرجه فلم يستطع لسمه فضربه حتى قتله، فهكذا تخرجون من بلادنا، ثم ازداد غضباً وحقاً وأقسم بالشمس لأقتلكم غداً.

فقال المغيرة: ستعلم. فقال رسم للمغيرة: قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا.

فقال المغيرة: أهدأ أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم، ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن بد وأنتم صاغرون وستصبرون لنا عبيداً على رغبتكم؟ كان سعد بن أبي وقاص مريضاً لا يستطيع الركوب، لذا فقد جلس في القصر متكئاً على صدره فوق وسادة ينظر إلى الجيش يدير أمره ويصدر تعليماته، وقد أعطى القيادة إلى خالد بن عرفطة، وكان على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي وعلى الميسرة قيس بن مكشوح.

بدأت المعركة بعد الظهر وبعد أن صلى سعد الظهر بالناس وخطب فيهم وحثهم على القتال، واستمر القتال حتى الليل، ثم استؤنف في اليوم الثاني ولمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع اشتد أثر القبيلة الفارسية على الجيش إذ كانت الخيول تنفر منها الأمر الذي جعل الصحابة يوجهون اهتمامهم إليها حتى قتلوها مع من عليها، وقد أبلى جرير بن عبد الله البجلي، والقعقاع بن عمرو، وطليحة الأسيدي، وعمرو بن معد يكرب، وخالد بن عرفطة، وضرار به الخطاب بلاء كبيراً، إذ كانوا يقلمون عيون القبيلة فنشرد بمن عليها ثم تقتل ويقتل أصحابها، فلما كان الزوال من ذلك اليوم الذي عرف بالقاسية وهو الاثنين الرابع عشر من شهر محرم من السنة الرابعة عشرة هبت ريح شديدة على الفرس

فأزالت خيامهم وما كان منهم إلا الحرب . وقد قتل القعقاع بن عمرو التميمي وهلال بن علقمة التميمي رستم قائد الفرس ، وفسرت جماعة منهم ولحقهم المسلمون حتى دخلوا وراهم مدينة المدائن مركز الحكم ومقر يزيدجرد بن شهريار . وقد قتل من الفرس في اليوم الرابع عشرة آلاف ومثلهم في الأيام السابقة ، فكان مجموع القتلى عشرين ألفاً ، وهو ما يقرب من ثلثي الجيش الفارسي ، واستشهد من المسلمين في الأيام كلها ألفاً وخمسة مائة شهيد ، ولغم المسلمون غنائم كبيرة جداً ، وأرسلت البشارة إلى أمير المؤمنين الذي كان في غاية الاهتمام بالمعركة حتى كان يخرج وحده أحياناً إلى خارج المدينة يسأل الركبان ويشقضي الأخبار حتى جاءه النبأ . وكانت المناطق التي فيها خالد بن الوليد من قبل قد نقضت العهد ، فلما كانت معركة القادسية رجع أهلها إلى عهدهم وادعوا أن الفرس قد أجبروهم على ذلك النقض .

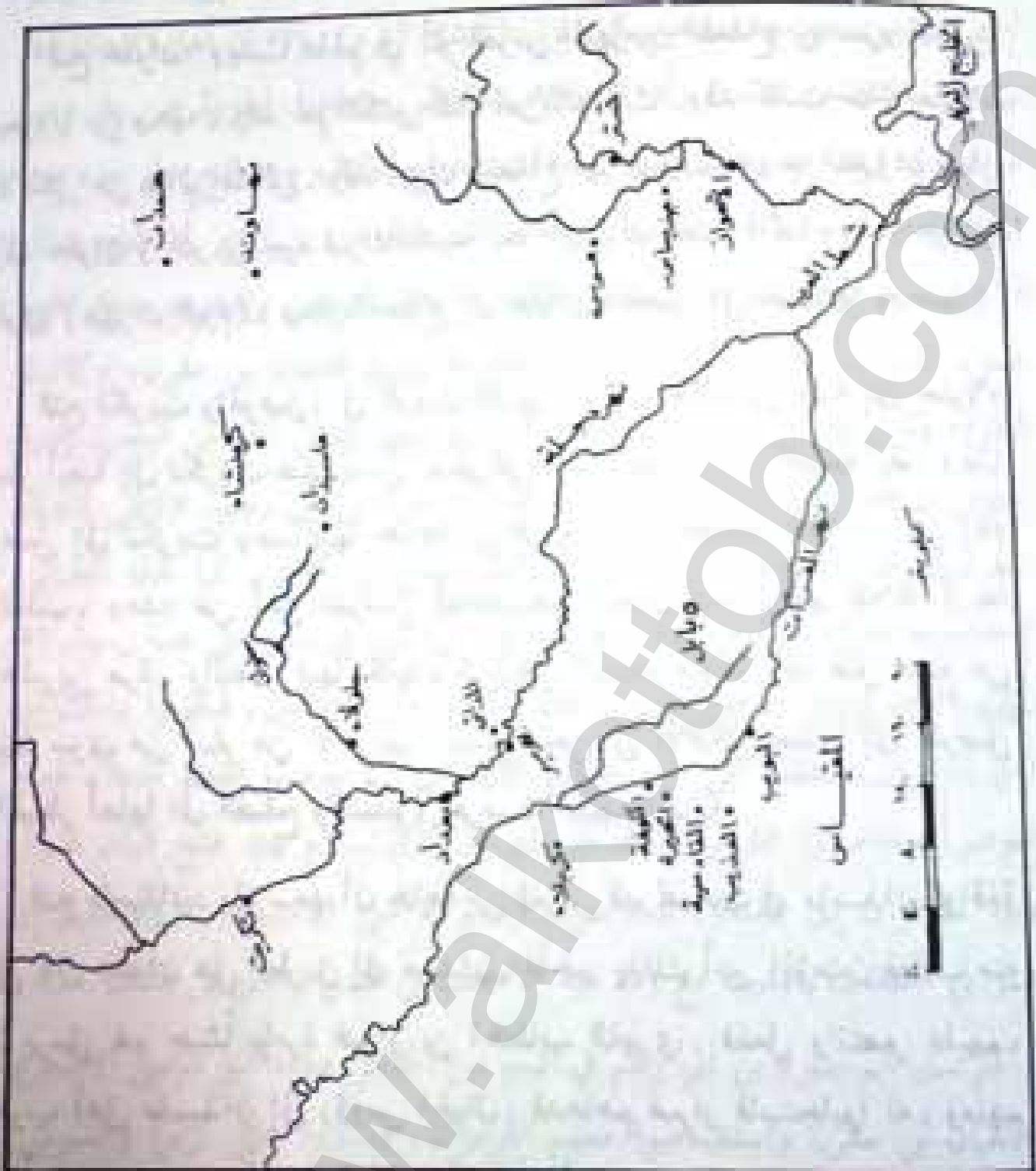
ثم تقدم المسلمون بأمرة زهرة بن حوية أميراً إثر أمير نحو المدائن فالتقوا بجيش فارسي فهزموه ، واتجه المهزومون نحو بابل ، وانطلقت جماعة أخرى نحو نهاوند ، فأقام سعد في بابل عدة أيام ثم سار نحو المدائن ، فالتقى بجيش آخر من الفرس فهزمه ، وفي سباط النقي بكتائب أخرى ليزدجرد أصابها كلها ما أصاب سابقتها ، وقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أسد يزيدجرد الذي وضع في الطريق لاختافة المسلمين ، وكان ذلك في نهاية السنة الرابعة عشرة من هجرة رسول الله ﷺ .

وتحصن الفرس ( بهرمير ) وهي قرية من المدائن لا يفصل بينها سوى نهر دجلة بعد أن هزموا أمامها ، إلا أن حصارهم لم يبن من عزيمة المسلمين ، وكان أن فرّ الفرس إلى المدائن ، وسار المسلمون وراهم ، فلما اقتربوا منها لاح لهم القصر الأبيض قصر كسرى . وكان المسلمون قد قطعوا نهر دجلة وكان في حالة فيضان كبير الأمر الذي جعل الفرس يخافون لقاء المسلمين ويهابونهم .

فتح المدائن، ودخل المسلمون المدائن فلم يجدوا بها أحداً بل فرأها كلها كلهم مع الملك سوى بضعة من المقاتلة بقوا في القصر الأبيض، فدهاهم سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاثة أيام، نزلوا بعدها منه، وسكنه سعد، وجعل الأيوان مصلى وتلا حين دخوله ﴿لَمْ تَرَ كُفْرًا مِنْ جَنَاتٍ وَجِوْنَ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا يَكْتُمُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، كما صلى الجمعة في الأيوان وذلك في شهر صفر من السنة السادسة عشرة للهجرة. وأقامت أسر المسلمين في المدائن حتى فتح الله عليهم جلولاء وتكرت والموصل، وبعدها تحولت الأسر إلى الكوفة، وأرسل سعد السرايا تتعقب الفارين فحصلت هذه السرايا على غنائم كثيرة لم يستطع الفارون حملها فتركوها وأكثرها من ثياب كسرى ولياسه. وقد تحس سعد الغنائم، وبعث بها إلى المدينة مع بشر بن الحصاصية، وفيها بساط كسرى وتاجه وسواريه، فلما رآها عمر رضي الله عنه قال: إن قوما أدوا هذا لأمناء، فقال له علي رضي الله عنه: إنك عفتت فعتت رعيتك ولو رعت لرعت.

فتح جلولاء: فر يزدجرد من المدائن، وسار باتجاه حلوان، والتف حوله أثناء سيره عدد كثير من الفرس، فأمر عليهم مهران، وأقاموا بجلولاء، وقد تحصنوا بها، وحفروا الخنادق حولها، فبعث سعد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بذلك، فأمره أن يقيم هو بالمدائن وأن يرسل إليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وأن يكون على المقدمة القعقاع بن عمرو التميمي، وعلى المينة سعد بن مالك، وعلى الميسرة عمر بن مالك، وعلى المؤخرة عمرو بن مرة الجهني، ففعل، فسار هاشم وحاصرهم، واشتد القتال، وكانت تصل النجدات إلى الطرفين، وأخيراً فتح الله على المسلمين جلولاء،

(١) الدخان، ٢٥ - ٢٩.



وقد قتلوا من الفرس الكثير حتى نجلت بجنتهم الأرض، وبرز من الأبطال في هذه المعركة القعقاع بن عمرو، وعمرو بن معد يكرب، وحجر بن عدي، وقيس بن مكشوح، وطلحة الأسدي.

**فتح حلوان:** وبعث هاشم في أثر الفرس المنهزمين القعقاع بن عمرو فكانوا يعزرون من وجهه، وقد غم الكثير أثناء تحركاته تلك. وقد كانت غنائم جلولاء لا تغل عن غنائم المدائن. وقد أدرك القعقاع مهران وقتله، ونجا الفيرزان فسار إلى حلوان وأخبر بزدجرد فترك المدينة بعد أن ترك عليها قائداً، وسار هو إلى الري (طهران اليوم)، وسار القعقاع إلى حلوان فانتصر على حاميتها ودخلها.

**فتح تكريت والموصل:** في الوقت الذي سار فيه هاشم بن عتبة إلى جلولاء سار أيضاً إلى تكريت عبدالله بن المعتم على رأس جيش بأمر الخليفة أيضاً، فلما وصل إلى تكريت وجد فيها جماعة من الروم، ومن نصارى العرب، من إباد وتغلب، وعدد من أهل الموصل فحاصروهم أربعين يوماً نازحهم خلالها أربعاً وعشرين مرة، وانتصر فيها كلها، ثم دخل المدينة عنوة، وقد قتل جميع من فيها سوى من أسلم من الأعراب. وسار ربيعي بن الافكل بعدها إلى الموصل واضطر أهلها إلى الصلح والتسليم، وفرضت عليهم الجزية.

**فتح ماسبذان:** بلغ سعد أن جماعة من الفرس قد تجمعت في ماسبذان الواقعة على يمين حلوان على الطريق إلى همدان، فأخبر بذلك أمير المؤمنين فطلب منه أن يرسل لهم جيشاً بأمرة ضرار بن الخطاب الفهري، ففعل وانتصر عليهم، وهرب أهل ماسبذان إلى رؤوس الجبال، فدعاهم ضرار فاستجابوا له، ومنهم من أسلم، ومنهم من لم يسلم فوضع عليه الجزية.

**فتح الأهواز:** تغلب الهرمزان على منطقة الأهواز، وهو من أحد بيوتات فارس المشهورة وكان من الذين فروا من القادسية، وأصبح يغير على المناطق التي دانت لحكم المسلمين، فسار إليه جيشان من المسلمين، انطلق أحدهما من

الكوفة من قبل والبيها عتبة بن غزوان، وسار الثاني من البصرة من قبل حاكمها  
أبي موسى الأشعري، وانتصر المسلمون عليه وهذا ما أجبره على طلب الصلح،  
فأعطوه ذلك. ثم نقض الهرمزان الصلح بعد أن استعان بجماعة من الكرد، فبرز  
إليه المسلمون فهزموه فتحصن في نستر (شستر اليوم)، إلا أن أهل المنطقة قد  
صالحوا المسلمين عندما رأوا إصلاح بلادهم، ودفنوا الجزية عن يديهم  
صاغرون، وهذا ما جعل الهرمزان يطلب الصلح ثانية، ويصالح على عدد من  
المدن منها (نستر) و(جنديبابور)، وكان حرقوص بن زهير قد فتح سوق  
الأهواز. ثم نقض الهرمزان الصلح ثانية بناء على تحريض يزيدجرد، وبلغ الخبر  
عمر، فأمر أن يسير إليه جيش من الكوفة بإمرة النعمان بن مقرن، وكانت  
الكوفة مقر سعد بن أبي وقاص، كما أمر أن يسير جيش آخر من البصرة بإمرة  
سهيل بن عدي، وأن يكون على الجميع أبو سبرة بن أبي رهم، فالتقى النعمان  
بالهرمزان فهزمه، ففر إلى نستر فسار إليه سهيل بن عدي، كما لحقه النعمان،  
فحاصروه هناك، وكان أمير الحرب أبو سبرة بن أبي رهم ابن عمه رسول الله  
ﷺ، وقد وجد أن مع الهرمزان عدداً كبيراً من المقاتلين، فكتبوا بذلك إلى  
أمير المؤمنين، فطلب من أبي موسى الأشعري أن يذهب إليهم مدداً، فسار  
لجوهم، وحاصروا الفرس، واضطروهم إلى الاستسلام بعد فتح البلد عنوة،  
ولجأ الهرمزان إلى القلعة، فحاصروه وأجبروه على الاستسلام، وأرسلوه إلى  
عمر بن الخطاب بالمدينة مع وفد فيه الأحنف بن قيس وأنس بن مالك.

ثم سار أبو سبرة بن أبي رهم في قسم من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري  
والنعمان بن مقرن واستصحبوا معهم الهرمزان، وساروا حتى نزلوا (السوس)  
فحاصروها، وكتب إلى أمير المؤمنين بذلك، فأجابهم بأن يرجع أبو موسى  
الأشعري إلى البصرة، وأن يسير زب بن عبدالله بن كليب إلى جنديبابور،  
فسار، وبعث أبو سبرة بالخمس وبالهرمزان إلى المدينة، ولما وصل الوفد  
بالهرمزان إلى المدينة اتجه إلى بيت أمير المؤمنين، فقيل لهم: إنه بالمسجد للقاء

وقد الكوفة، فانطلقوا إلى المسجد، فلم يروا فيه أحداً، ولما هموا بالعودة قال لهم غلمان يلبسون أمام المسجد: إنه نائم في زاوية المسجد، فانطلقوا فوجدوه نائماً، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فأشاروا إليه، وقد دهش لعدم وجود الحرس والحجاب كما اعتاد أن يرى في ملوك فارس وأكاسرتها.

وفتحت السوس عنوة بعد حصار حتى طلب أهلها الصلح، وكذلك فقد فتح زار بن عبدالله جند يسابور.

وتقدم المسلمون في بلاد فارس أيام عمر بن الخطاب من جهة ثانية، فقد كان العلاء بن الحضرمي والي البحرين يسابق سعد بن أبي وقاص في الفتح، فلما كتب الله النصر لسعد في القادسية، وكان له ذلك الصدى الواسع، أحب العلاء أن يكون له النصر على فارس من جهته، فتدب الناس إلى الجهاد ضد فارس، فاجتمع الجيش وعبر العلاء بن الحضرمي البحر إلى فارس من جهته وذلك دون إذن أمير المؤمنين، اتجه العلاء نحو اصطخر، إلا أن الفرس قد حالوا بين المسلمين وسفنهم، فوجد المسلمون أنفسهم بين العدو والبحر، فعملوا جهدهم وقاتلوا بقوة فنصرهم على عدوهم، ثم خرجوا يريدون البصرة، فلم يجدوا سفنهم، كما رأوا أن الفرس قد قطعوا عنهم الطرق، فاضطروا إلى البقاء محاصرين، ووصل الخبر إلى عمر بن الخطاب، فتأثر جداً، وأمر بعزل العلاء، وطلب منه الالتحاق بسعد بن أبي وقاص، وطلب من عتبة بن غزوان أن يتجدد العلاء، فأرسل قوة بإمرة أبي سبرة بن أبي رهم ومعه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعاصم بن عمرو، والأحنف بن قيس، وحذيفة بن محسن، وعرفجة ابن هرثمة، وكان عدد هذه القوة اثنا عشر ألفاً، وسارت هذه القوة حتى وصلت إلى مكان حصار المسلمين، وكاد القتال أن ينشب بين المحاصرين والفرس، فجاءت القوة في الوقت المناسب، وانتصر المسلمون انتصاراً رائعاً، ثم عاد الجميع إلى عتبة بن غزوان في البصرة.

وتجمع الفرس في مدينة نهاوند، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا

يريد أن ينساح المسلمون في بلاد فارس الواسعة خوفاً عليهم من ضياعهم فيها ،  
وخوفاً عليهم من الفرس ، واستمر ذلك مدة حتى وصل إليه الأحنف بن قيس  
في الوفد الذي يسوق الهرمزان معه ، فسأل عمر الأحنف بن قيس عن  
الأحوال ، وكان عمر يخشى أن يكون المسلمون يحيفون على أهل الذمة الأمر  
الذي يجعلهم ينتفضون العهد ، فقال عمر : لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة  
بأذى وبأمور لها ما ينتفضون بكم ، فأجاب : ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة ،  
قال : فكيف هذا ؟ فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، أخبرك أنك نبيتنا عن  
الانسحاق في البلاد ، وأمرتنا بالانقياد على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس حي  
بين أظهرهم ، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان  
يتفان حتى يخرج أحدهما صاحبه : وقد رأيت أنا لم تأخذ شيئاً بعد شيء إلا  
يتبعناهم ، وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا  
فنتسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه عن مملكته وعزأته : فهناك  
ينقطع رجاء أهل فارس . فقال عمر : صدقتي والله وشرحت لي الأمر عن  
حنه .

وجاءت الأخبار إلى عمر بن الخطاب أن الفرس قد تجمعوا في نهاوند ،  
وهذا ما جعله يأمر بالانسحاق في أرض فارس ، وقد رغب أن يسير هو بنفسه  
على رأس جيش لقتال الفرس ، إلا أنه عندما استشار الصحابة رأوا غير ذلك ،  
فعدل عن رأيه ، وكان الذي أقنعه بذلك علي بن أبي طالب ، فكتب إلى حذيفة  
ابن اليمان أن يسير بجند الكوفة ، وإلى أبي موسى الأشعري أن يسير بجند  
البصرة ، وإلى النعمان بن مقرن أن يسير بجنده ، فإذا التقوا فكل على جنده  
أميراً ، وعلى الجميع النعمان بن مقرن فإن قتل فقيس بن مكشوح و... حتى  
سعى عدة أمراء .

وسار المسلمون نحو نهاوند ولا يزيد عددهم على الثلاثين ألفاً إلا قليلاً ،  
وكان قد تجمع فيها من الفرس ما يزيد على المائة والحسين ألفاً ، وكانت



المعارك سجالات بين الطرفين مدة يومي الأربعاء والخميس، ثم انتصر المسلمون على أعدائهم الأمر الذي جعل الفرس يدخلون المدينة ويتحصنون فيها، فحاصروهم المسلمون، ولما طال الحصار استشار النعمان رجاله فأشاروا عليه بالتراجع أمامهم حتى إذا ابتعدوا من حصونهم انقضوا عليهم، فوافق النعمان على ذلك، وأمر القعقاع أن يبدأ القتال مع الفرس وأن يتراجع أولهم ففعل فلحقه الفرس. وعندما ابتعدوا من حصونهم بدأ النعمان بالقتال ونشبت معركة حامية قتل فيها من الفرس أكثر من مائة ألف رجل وتحلل وجه الثرى بالجثث، وسقط النعمان عن فرسه واستشهد، ولم يعلم بذلك سوى أخيه نعيم، فأخفى ذلك وأخذ الراية وسلمها لحذيفة بن اليمان فقاد المعركة إلى النهاية، وبانتهائها أعلم نعيم الجند عن مصرع قائدهم النعمان. أما قائد الفرس الفيرزان فقد فر، ولحقه القعقاع وقتله عند ثنية همدان، ودخل المسلمون نهاوند عنوة، ثم فتحوا أصبهان (جي). وفتح أبو موسى الأشعري (قم) وقاشان، وفتح سهيل بن عدي مدينة (كرمان). ولما وصلت أخبار نهاوند إلى عمر بن الخطاب بكى بكاء مريباً على شهدائها، وكلما ذكر له شهيد زاد بكاءه، ولما وصلوا إلى ذكر أسماء لا يعرفها بكى وقال: وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر.

ولعل المرء يستطيع هنا أن يتف وقفة على اختيار عمر للأمراء وقادة الجند، وصحيح أنه كان لا يختار إلا الصحابة، إلا أنه في الوقت نفسه كان يعين الجندي أميراً ثم لا يلبث أن يضع أميراً عليه ويعيده جندياً يقاتل تحت راية من كان بالأمس يقاتل تحت رايته، وذلك حتى لا ترتفع بإنسان نفس وكى يشعر دائماً بالتواضع ويعرف مكانه الحقيقي، وأن قتاله إنما هو لله، وكذلك يشعر كل جندي في الجيش.

ولما فتحت نهاوند أمر عمر بن الخطاب المسلمين بالانسحاب في أرض فارس، وأعطيت الأوامر لسبعة أمراء بالتوغل في أعماق فارس بغض النظر

من عدد الجيش المنطلق وبغض النظر عن عتاده وتجهيزاته وبغض النظر عن القوة التي يمكن أن يلاقها وعددها إذ أن المسلمين لم يكونوا ليقاتلوا بعدد أو بقوة تجهيزات وإنما بقوة الايمان الذي يحملونه بين جوارحهم .

١ - سار نعيم بن مقرن إلى همدان لفتحها، واستخلف عليها يزيد بن قيس، وسار هو باتجاه الري (موقع طهران اليوم) لفتحها، ثم بعث بأخيه سويد بن مقرن بناء على أوامر الخليفة إلى قورس فأخذها سلباً، وصالح أهلها، وجاء إليه أهل (جرجان) و(طبرستان) وصالحوه . وكان نعيم قد بعث وهو بهمدان (بكير بن عبدالله) إلى أذربيجان، ثم أمده بسماك بن خرشة لفتح بعض بلاد أذربيجان على حين كان عتبة بن فرقد يفتح البلدان من الجهة الثانية .

٢ - سار سراقه بن عمرو نحو باب الأبواب على سواحل بحر الخزر الغربية، وكان على مقدمة عبدالرحمن بن ربيعة فضالغ عبدالرحمن ملكها بعد أن أرسله إلى سراقه بن عمرو، ثم بعث سراقه إلى الجبال في تلك المناطق بكبير ابن عبدالله، وحيب بن مسلحة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة، ومات هناك سراقه بن عمرو واستخلف مكانه عبدالرحمن بن ربيعة، وأقر الخليفة ذلك .

٣ - سار الأحقف بن قيس على رأس جيش حتى دخل خراسان من الطيس<sup>(١)</sup> ففتح هراة عنوة، واستخلف عليها (صحار بن فلان العيدي)، وسار نحو (مرو الشاهجان)<sup>(٢)</sup> عن طريق نهر هراة، فامتلكها واستخلف عليها

(١) الطيس، قصة ناحية في ولاية قوهستان، وهي تسمى طيس إذ هما بلدتان كل واحدة يقال لها طيس. إحداهما طيس العناب، والثانية طيس النمر، والغرس لا يتكلمون بها إلا مفردة، والغرب يشتمونها. ويقال لها الطيسان إذ أنها في موضع واحد. وتعد باب خراسان حيث تتخلف الجبال بينها وبين خراسان. وتكون مراً يفتح نحو هراة .

(٢) مرو الشاهجان، هي مدينة مرو قصة خراسان، ونسبت إلى الشاهجان لأنها القصة إذ أن

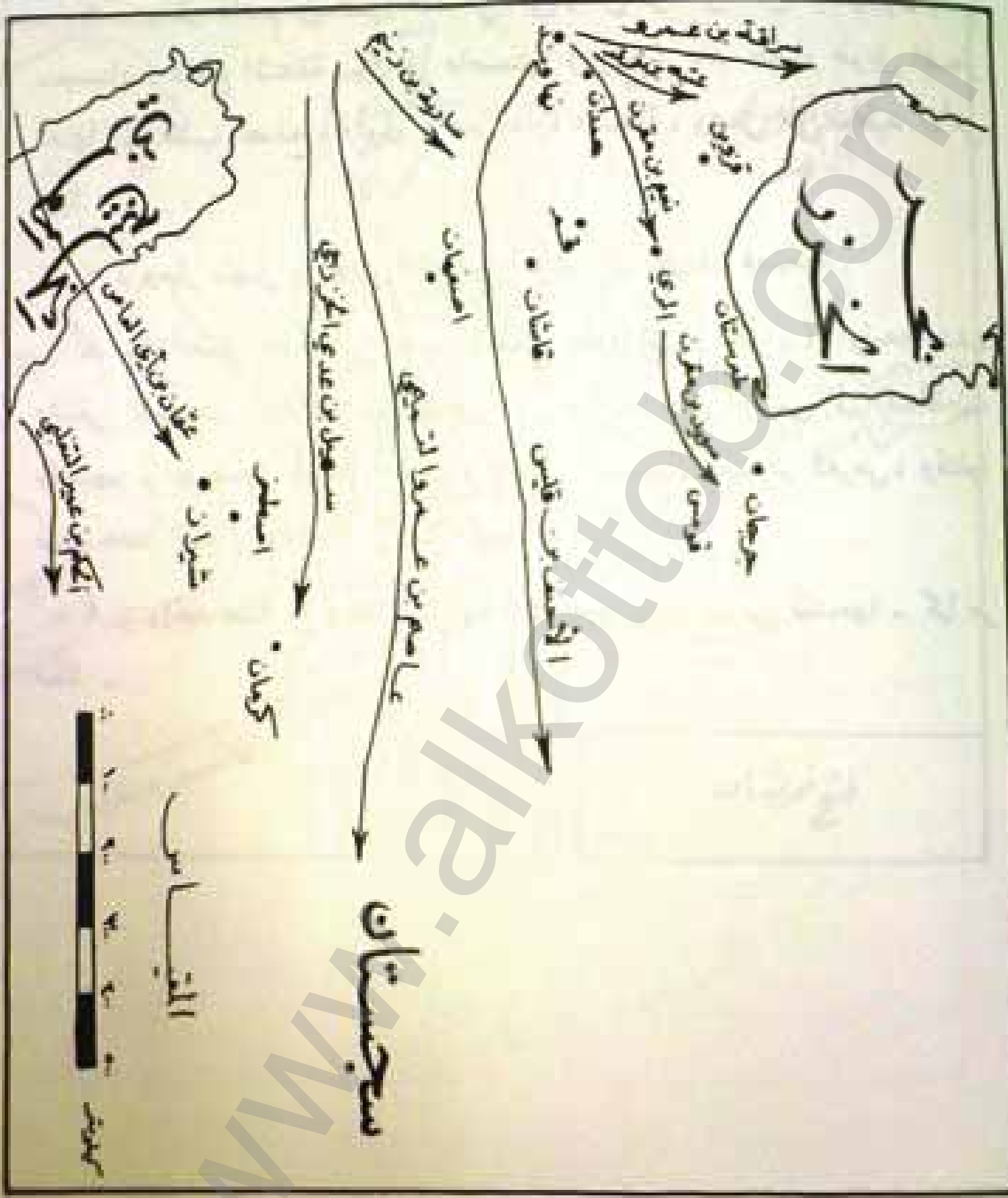
(حارثة بن النعمان)، ومنها سار إلى (مرو الروذ) مع وادي (مورغاب) ليلا حتى يزدجرد حيث فر إليها، ووصلت الامدادات من الكوفة إلى الأحنف ابن قيس، وسار المدد نحو (بلخ) حيث انتقل يزدجرد إليها، واستطاع أهل الكوفة دخول بلخ، وفر يزدجرد إلى بلاد ما وراء النهر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة في بلخ وقد نصرهم الله على عدوهم، وأصبح الأحنف سيد خراسان إذ تتابع أهلها الذين كانوا قد شذوا في مكان أو تحصنوا في مكان إلى الصلح. وكان الأحنف وهو في طريقه إلى مرو قد بعث (مطرف بن عبدالله) إلى نيسابور، كما أرسل الحارث بن حسان إلى سرخس.

عاد الأحنف إلى مرو الروذ بعد أن استخلف على (طخارستان) (رهمي بن عامر التميمي)، وكتب الأحنف إلى الخليفة عمر بن الخطاب بفتح خراسان، فكتب عمر بن الخطاب إلى الأحنف، أما بعد: فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفت بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به بدم لكم النصر، وإياكم أن تعبروا فتنفضوا.

4 - واتجه عثمان بن أبي العاص على رأس جيش إلى اصطخر، وقد اجتاز مياه الخليج العربي من البحرين ففتح جزيرة (بركاوان) ونزل أرض فارس، ففتح جور واصطخر وشيراز وكان قد انضم إليه أبو موسى الأشعري بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب. وكان الحكم بن أبي العاص عون أخيه في فتوحاته.

5 - واتجه سارية بن زينم الكتاني نحو تحشد للفرس فحاصروهم فاستنجدوا بالأكراد فأمدوهم، فتكاثرت العدو على المسلمين وأصبحوا في خطر عظيم، عندئذ التجأ سارية إلى سفح جبل واتخذ ذوته درعاً له يحمي مؤخرته، وواجه الفرس من جهة واحدة، واستطاع الانتصار عليهم. وفي هذا التحرك من قبل سارية نحو الجبل يذكر أن عمر بن الخطاب كان يخطف على المنبر يوم الجمعة،

معنى (حسان) الخليفة السلطان، وتفرقة لها عن مرو الروذ.



فعرض له في خطبته أن قال (يا سارية الجبل... الجبل... من استرعى الذئب فقد ظلمه، ويذكر أن سارية قد سمع كما سمع المسلمون الذين يسمعون خطبة عمر ذلك الكلام في ذلك اليوم وتلك السرعة، وأن الصوت الذي سمعه يشبه صوت عمر فعدل بالمسلمين إلى الجبل، ففتح الله عليهم.

٦ - ومار عامر بن عمرو التميمي على رأس قوة من أهل البصرة إلى إقليم سجستان، ففتح المنطقة، ودخل عامسها (زرنج) بعد حصار طويل اضطر أهلها إلى طلب الصلح، وتولى عامر إدارة المنطقة، وعمل على توطيد الأمن فيها.

٧ - ومار سهيل بن عدي الخزرجي بجيش إلى كورمان ففتحها.

٨ - وانطلق الحكيم بن عمير التغلبي بقوة إلى (مكران)، وتبعه مدد، والتقى المسلمون بأعدائهم على شاطئ نهر هناك، وعبر الفرس إلى المسلمين، ولكنهم لم يصمدوا طويلاً أمامهم، فدخل المسلمون معسكر الفرس، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وفتحوا المنطقة كاملة.

٩ - واتجه عتبة بن فرقد إلى جهة شمال غربي بلاد الفرس ففتحها - كما مر

معنا - .



البلدان في آسيا  
من الشمال إلى الجنوب



مقتل الخليفة عُمر بن الخطاب

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعيد النظر واسع الفكر، يحثي على المجتمع الإسلامي من التلوث، ويحاف عليه من عدم التجانس بوجود عناصر غريبة فيه، تضع معها الرقابة، وتنتشر آراء متباينة بالاختلاط، وتكثر فيه الإساءة والنيل من مقوماته، يحثي أن يقوم الذين يأتون من خارج المجتمع من المجوس وسبي القتال بأعمال يريدون بها تهديم الكيان الإسلامي، لهذا فإنه منع من احتلم من هؤلاء دخول مدينة الرسول ﷺ، إلا أن عدداً من الفرس الذين دلت دولتهم قد أظهروا الإسلام، ودخلوا المدينة، ولا تزال عندهم من رواسب الماضي صفات مختلفة يعقبتهم الجوسية القديمة، وارتباطات بحكومتهم السابقة، أو أنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الجوسية، وكانت لهم مخططات رهيبية تنطلق كلها من الحقد على الخليفة الذي زالت دولة الفرس على يديه، والكراهة للدين الجديد الذي أبدوا أنهم دانوا به، ولم تنهأ الفرس لبعضهم بعد للتفقه في الدين والاطلاع على حقيقته، ومعرفة الخير، وكان الحاقدون من الفرس الذين لم يعد لهم مقر لدولة يلجؤون إليها، أكثر من الروم الذين بقيت لهم دولة قائمة على الأراضي التي لم يصل إليها الفتح بعد، تمكن أن يعيش عليها من ينطلق إليها، وقد فعل هذا عدد كبير من الروم الذين كانوا يسكنون في البلاد التي فتحت، وعدد غير قليل من العرب المنتصرة الذين فارقوا أراضيهم التي كانوا عليها، وفروا من المسلمين، والتجؤوا إلى أرض الروم ودولتهم، واستمر هذا قائماً حتى بعد منتصف القرن التاسع الهجري



حيث فتحت القسطنطينية، وزالت دولة الروم من الوجود. وفوق كل هذا كانت يهود الذين أظهر بعضهم الاسلام عندما غلب على أمرهم، ووجدوا ألا سبيل للمقاومة، وأنه من الأفضل لهم التهديم من داخل الصف الإسلامي، وقد أفسر هؤلاء الخقد على الاسلام وبالأساس هم يعتقدون على كل من يدين بغير عقيدتهم، وكان حقدهم على الاسلام عظيماً إذ قضح دسائسهم التي كانوا يقومون بها، وبين مخططاتهم التي يبلجؤون إليها، وأوضح مكروهم الذي يذكرونه، لذا بذلوا جهدهم للقضاء على الإسلام وقادته. والتقى المكر اليهودي مع المخطط المجوسي للعمل على ضرب الإسلام بإثارة الفتن داخل المجتمع الإسلامي، وقتل القادة المسلمين الذي يتمكنون من قتلهم، ويبدو أن النصرانية قد أدلت بدلها في هذا الميدان واشتركت في هذا الأمر.

طلب المغيرة بن شعبه أمير الكوفة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يسمح لغلामه (فيروز) الذي يدعى (أبا لؤلؤة) بدخول المدينة للعمل فيها خدمة للمسلمين حيث هو رجل ماهر يجيد عدداً من الصناعات التي تنفيد المجتمع وتخدم الدولة، فهو حداد ونقاش ونجار، فأذن له عمر. وكان أبو لؤلؤة خبيراً ماكرأ، يضممر ختداً، وينسوي شراً، يحن إلى المجوسية ولا يستطيع إظهارها، وتأخذه العصبية ولا يمكنه إبداءها، فكان إذا نظر إلى السي الصغار يأتي فيمسح رؤوسهم ويكي، ويقول: أكل عمر كبدي. وكان أبو لؤلؤة يتحين الفرص، ويراقب عمر وانتقاله وأفعاله، ويبدو أنه قد وجد أن قتل الخليفة وقت الصلاة أكثر الأوقات مناسبة له، إذ يستطيع أن يأخذه على غفلة منه، ويغدر به دون مواجهة، وكان عمر رضي الله عنه إذا مر بين صفوف المصلين قال: استنوا، حتى إذا لم يرف فيها خلا تقدم فكبر ودخل في الصلاة.

فلما كانت صلاة فجر الثالث والعشرين من ذي الحجة في السنة الثالثة والعشرين من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وفعل عمر

بمعاذته، فما هو إلا أن كبر حتى سُمع يقول: قتلني الكلب. وقد طعن أبو  
لؤلؤة ست طعنات، وهرب العليج بين الصفوف، ويده سكين ذات طرفين لا  
يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ما  
يزيد على النصف، فلما رأى عبدالرحمن بن عوف ذلك ألقى عليه برساً له،  
وأحس أبو لؤلؤة أنه مأخوذ لا محالة، لذا فقد أقدم على الانتحار بالسكين  
ذاتها. وجاء عبدالرحمن ليرى ما حل بالخليفة فوجده صريعاً، وعليه ملحفة  
صفراء قد وضعها على جرحه الذي في خاصرته، ويقول: (وكان أمر الله  
قدرأ مقدوراً). وأخذ عمر بيد عبدالرحمن فقدمه للصلاة، وفقد عمر بعد  
ذلك وعيه، أما عبد الرحمن فقد صلى بالناس صلاة خفيفة. وقد رأى هذا من  
كان على مقربة من الإمام، أما الذين كانوا في نواحي المسجد فإنهم لم يعرفوا  
ما الأمر، وإنما انتقدوا صوت عمر، فجعلوا يقولون: سبحان الله...  
سبحان الله... حتى صلى عبدالرحمن فانقطع صوت التسيح.

فلما أفاق عمر قال: أصل الناس؟ وهكذا لم ينقطع تفكيره بالصلاة على  
الرغم مما حل به.

قال عبدالله بن عباس: نعم.

قال عمر: لا إسلام لمن ترك الصلاة. ثم دعا بوضوء فتوضأ وصل، وإن  
جرحه لينزف.

ثم احتفل إلى بيته، فقال لابن عباس - وكان معه - : اخرج، فل من  
قتلني، فخرج فقيل له طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، ثم طعن  
رهطاً معه، ثم قتل نفسه. فرجع وأخبر عمر بذلك، فقال عمر: الحمد لله  
الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها له قط.

وخشي عمر رضي الله عنه أن يكون له ذنب إلى الناس لا يعلمه، وقد طعن  
من أجله، فدعا ابن عباس وقال له: أحب أن تعلم لي أمر الناس، فخرج إليه ثم

رجع فقال يا أمير المؤمنين، ما أتيت على ملأ من المسلمين إلا يبكون، فكأنما فقدوا اليوم أبناهم.

وجيء له بطبيب من الأنصار فسقاه لبناً فخرج اللبن من الجرح، فاعتقد الطبيب أنه مت، فقال: يا أمير المؤمنين اعهد، فبكى القوم لما سمعوا ذلك. فقال عمر: لا تبكوا علينا، من كان باكياً فليخرج، ألم تسمعوا ما قال رسول الله ﷺ: يعذب الميت ببكاء أهله عليه.

وكان عمر رضي الله عنه يخشى ما هو قادم عليه، فالمؤمن بين الخوف والرجاء، فيخاف عمر أن يكون قد قصر بحق الرعية ومسؤوليته، ويقول لمن كان حاضراً: «وما أصبحت أخاف على نفسي إلا بإمارتكم هذه». وكان ابن عباس رضي الله عنهما يريد أن يطمئنه ويخفف عنه، فيذكره بمكانه عند رسول الله ﷺ وعند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن رسول الله قد بشره بالجنة، فكان عمر يقول: «والله لو ددت أني نجوت منها كفافاً لا علي ولا لي»، والذي نفسي بيده لو ددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وذر».

وقال به ابن عباس، لقد كان إسلامك عزاً، وإمارتك فتحاً، ولقد ملأت الأرض عدلاً. فقال عمر: أنشهد لي بذلك يا ابن عباس؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس: قل نعم وأنا معك.

وطلب عمر من ابنه عبدالله أن يفي ما عليه من الديون. ثم أرسله إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يدفن بجانب صاحبه، وقال له: قل لها: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه. فمضى عبدالله فلم يستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعداً تبكي، فلم عليها وقال: يقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبه، فقالت: كنت أريده

(المكان) لنفسي ولأثرته به اليوم على نفسي .

وكان عمر رضي الله عنه لا يريد أن يستخلف إلا أن ابنه عبدالله قد أقنع بذلك . فمن عبدالله بن عمر أنه قال : دخلت على حفصة ونوساتها (خفافرها) تقطر ماء فقالت : علمت أن أباك غير مستخلف ؟ قلت : ما كان ليفعل ، قالت : إنه فاعل .

فحلقت أن أكله في ذلك ، فغدوت عليه ولم أكله فكتت كأنما أحل بيبي جبلا حتى رجعت فدخلت عليه ، فسألني عن حال الناس وأنا أخيره ، ثم قلت له إنى سمعت الناس يقولون مقالة ، فأبيت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف . أرايت لو أنك بعثت إلى قيم أرضك ألم تحب أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلى . قلت : أرايت لو بعثت إلى راهي فتمك ، ألم تكن تحب أن يستخلف رجلا حتى يرجع ؟ لهاذا تقول له عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عبادك ؟ فأصابه كآبة ثم نكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه وقال : إن الله تعالى حافظ هذا الدين ، وأي ذلك أفعل فقد سن لي ، إن لم استخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف ، وإن استخلف فقد استخلف أبو بكر .

فعلمت أنه لا يعدل أحدا برسول الله ﷺ وأنه غير مستخلف .

قال عمر : قد رأيت من أصحابي حرصاً شديداً ، وإنى جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء نفر الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، ثم قال : لو أدركني أحد رجلين ، فجعلت هذا الأمر إليه لوئفت به . سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح فإن سألتني ربي عن أبي عبيدة قلت : سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة ، وإن سألتني عن سالم قلت : سمعت نبيك يقول إن سالمأ شديد الحب لله .

قال : المغيرة بن شعبة : أدلك عليه ، عبدالله بن عمر .

قال: قاتلك الله! والله ما أردت الله بهذا، لا أرب لنا في أموركم وما حدثنا فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن امرأة محمد ﷺ، أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن لمجوت كفافاً لا ورر ولا أجر إني لسعيد.

وجعلها شوري في سنة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي قاص رضي الله عنهم. وجعل عبدالله عمر معهم مشيراً وليس منهم، وأجلهم ثلاثاً، وأمر صهيياً أن يصلي بالناس.

وكان طلحة بن عبدالله غير موجود آنذاك بالمدينة حيث كان مشغولاً، خارجاً ببعض أعماله. فدعا عمر القوم، وقال لهم: إني قد ظهرت لكم في أمر الناس فلم أجد عند الناس شقاقاً إلا أن يكون فيكم، فإن كان شقاق فهو منكم، وقال إن قومكم إنما يؤمرون أحدكم أيها الثلاثة (عثمان وعلي وعبدالرحمن) فاتق الله يا علي، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين، ثم نظر إلى عثمان وقال: اتق الله، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بني أمية على رقاب المسلمين. وإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبدالرحمن فلا تحمل ذوي قرابتك على رقاب الناس. ثم قال: قوموا فتشاوروا فأمرؤا أحدكم.

فلما خرجوا قال: لو ولوها الأجلح (علي) لسلك بهم الطريق، فقال ابنه عبدالله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا؟ قال: أكره أن أحلها حياً وميتاً.

وذكر عمر سعد بن أبي وقاص فقال: إن وليم سعداً فسيل ذاك، والا فليشتره الوالي فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

وقال عمر: أمهلوا فإن حدث لي حدث فليصل لكم صهيب - مول بني

جدعان - ثلاث ليل ، ثم أجمعوا أمرهم ، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه .

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بتقيل فقال له : كن في حنين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فإنهم فيما أحب سيجمعون في بيت أحدهم فقم على الباب بأصحابك ، فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤتمروا أحدهم . وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدح رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة ورضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسها ، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً فحكموا عبدالله بن عمر فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيههم عبدالرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس ، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، اللهم أنت خليفتي فيهم .

وقد لزم أبو طلحة أصحاب الشورى بعد دفن عمر حتى يبيع عثمان بن عفان .

وبقي عمر ثلاثة أيام بعد طعنه ثم توفي يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وقد غسله وكفنه ابنه عبدالله ، وصلى عليه صهيب .

ويبدو أن سيدنا عمر رضي الله عنه سار في جعل الأمر بين رجال الشورى على غير الطريق كان يتبعها وهي طريقة الحسم في الأمر ، إذ أن الاختيار ربما يجعل الرجل يفكر في أمر لم يكن يخطر لي باله من قبل ، بل ربما حدثت خلافات لم تكن لتحدث لو استخلف رجل معين فالكل بطبعه ، والجميع لا يرغبون في هذا الأمر ، هكذا الفطرة البشرية ترغب عند الاختيار ، وتطلب حين الترشيح .

وربما ظن بعضهم أن هذه خطيئة وقع فيها سيدنا عمر، ومحاولون تخفيف ذلك الخطأ بأنه كان مصاباً ومن أجل ذلك حدث ما وقع، إلا أن التخطيط للانتخاب، ومحاولته معرفة سبب قتله، والنظرة البعيدة إلى المستقبل مع إصابته لتدل على مدى صحة تفكيره وسلامة عقله وعدم إضاعة أي شيء من النظر لمصلحة المسلمين. ولكن الخوف مما هو قادم عليه، جعله يريد أن يرفع المسؤولية عن نفسه، لقد كان يريد أن يستخلف إلا أنه خاف من تحمل تبعات وهو قادم للقاء الله عز وجل، وقد قال: لو ولوها الأجلح لسلك بهم الطريق، وبيني علياً، ولما قال ابنه عبدالله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تقدم علياً؟ قال: أكره أن أحملها حياً وميتاً.

وكان دائماً يخشى موضوع الإمارة والمسؤولية، وهذا ما جعله يقول: وما أصبحت أخاف على نفسي إلا بإمارتكم هذه. ونراه يقول للمغيرة بن شعبة عندما اقترح عليه استخلاف عبدالله بن عمر: قاتلك الله! والله ما أردت الله بهذا، لا أرب لنا في أموركم وما حمدتها فأرغب فيها لأحدٍ من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد ﷺ، أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً ولا وزر ولا أجر إني لسعيد. ونراه لا يدخل ابن عمه سعيد بن زيد في رجال الشورى على الرغم من أنه لم يبق غيره من المبشرين في الجنة خارج رجال الشورى وما ذلك إلا لقربته منه.

وعمر إذن قد جعل الأمر في رجال الشورى من المسؤولين وتحمل العقبات والسؤال عن ذلك يوم الحساب، وحرصاً على نفسه. ولم يدخل ابن عمه، ولم يقبل ابنه نصيحة لأهله ولنفسه حتى لا يكون ذلك سنة من بعده تتخذ فريضة في استخلاف الأبناء والأقرباء وينتقل الحكم ملكياً وراثياً، كما حدث بعد وقت حيث قامت الدولة الأموية ومن بعدها العباسية، ومع هذا فإن في ذلك خطأ حصد المسلمون نتائجه، وكان سبباً بعيداً لما وقع فيها بعد.

ويبدو أنه كان في نفسه رغبة إلى تولية علي بن أبي طالب، ويظهر ذلك من كلامه «لو ولوها الأجلح لسلك بهم الطريق» ويظهر ذلك من فعله، فإنه ما خرج من المدينة إلا وخلف عليها علي حتى يعود، ويلاحظ من بدئه بعلي عندما خاطبه «فاتق الله يا علي، إن وليت شيئاً من أمور المسلمين فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين» - وإن كان التقديم لا يدل على الترتيب - إلا أن الخوف هو الذي حمله أن يسلك هذا السلوك ويجعل الأمر شورى بين ستة نفر. ومع هذا تعد طريقة سيدنا عمر ستة يمكن أن يؤخذ ويستأنس بها عندما يقطر إليها الخليفة، فيلجأ إليها لاختيار خليفة جديد من بعده عندما يكون الحكم إسلامياً. وبعد عمله هذا اجتهداً ويؤجر عليه - إن شاء الله - .

وأما الذين قتلوا عمر فيبدو أنهم يمثلون جوانب متعددة تشمل الأطراف المعادية للإسلام والحاكمة عليه من مجوس ويهود ونصارى وربما كان لبعض زعماء الأعراب دور في الحادث، ولكن الذين قتلوا يقتله إنما هم الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة، وإن كانت بعض أصابع الاتهام تشير إلى كعب الأخبار وعبيدة بن حصن وغيرهما وهذا بعيد - والله أعلم - وكعب الأخبار صادق في إسلامه، قال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين قتل عمر: قد سررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان وهم نحي، فلما باعناهم ناروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان ونصابه وسطه، فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر، فوجدوه الخنجر الذي وصفه عبد الرحمن ابن أبي بكر، فانطلق عبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف، حتى دعا الهرمزان، فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى ننظر إلى فرس لي، وتأخر عنه حتى إذا مضى بين يديه علاه بالسيف.

قال عبيد الله بن عمر: فلما وجد حرس السيف قال: لا إله إلا الله.

وقال عبيد الله: ودعوت جفينة، وكان نصرانياً من نصارى الحيرة، وكان ظمراً لسعد بن أبي وقاص أئدته المدينة للملح الذي كان بينه وبينه، وكان يعلم



الكتابة والقراءة بالمدينة . قال : فلما حلوه بالسيف صلب بين يديه . ثم انطلق  
عبدالله فقتل ابنةً لأبي لؤلؤة صغيرة . وأراد عبدالله ألا يترك شيئاً يرمض  
بالمدينة إلا قتله . إلا أن الصحابة قد نهروه ، ثم قبض عليه وسجن حتى ينظر في  
أمره الخليفة الجديد .

## المجتمع الإسلامي أيام عمر

لم يكن عهد الصديق طويلاً ، وكان مليئاً بالأحداث الجسام التي كادت تعصف بالدولة ، وقد شغل الارتداد جزءاً منه الأمر الذي جعل المجتمع الإسلامي لم يتبلور بصورة واضحة إلا في أواخر ذلك العهد حيث قضى على أهل الردة وزالت الشوائب التي عثمت في بعض الزوايا مدة من الزمن ، وبدأ المجتمع جلياً في أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والتي طالت مدته نسبياً فزادت على عشر سنوات .

والسمة العامة للمجتمع الإسلامي عندما يحكمه شرعه ألا فوارق ولا طبقات توجد فيه ، وإنما مساواة تامة ، لا مساواة شعارات ، أو مساواة نية حسب مراكز السلطة ومقامات الأفراد ، وإنما هي مطلقة . وإذا بحثنا المجتمع على أساس أقسام ، فإنما هو لإعطاء الصورة الواضحة له ومعرفته المخطوط العريضة ، وليس يعني هذا أن هذه الأقسام هي طبقات متباينة يتميز بعضها عن بعض بالواجبات والمسؤولية ، وإنما جميعها ذات حقوق واحدة ، وواجبات واحدة ، ومسؤولية واحدة ، وهي أمام الشرع واحدة ، لا يختلف في ذلك رأس السلطة الذي هو الخليفة عن أدنى رجل في المجتمع حتى أهل الكتاب من الذمة .

١ - الخليفة: وهو فرد من المجتمع لا يتميز عن أي فرد آخر ، وقد سلمت الأمة قيادتها ، وأعطته السلطة عليها ، ليحافظ عليها ، ويرعى حقوقها ، ويتعهد

أبناها . وكان عمر يشعر بالمسؤولية التامة ، ويحسّ بالععبه الثقيل الملقى على عاتقه ، لذا كان دائم التفكير بالرعية ، يخشى على نفسه من التقصير بواجباته فيكون حاسبه عسراً أمام الله ، وهذا ما يخافه ويبرهه ، لذا فقد أجهد نفسه فكان قليل النوم فضليل الطعام بسيط اللباس ، وأحسن جسده ، وأتعب أهله ومن أتى بعده ، وأثقل على ولاته .

فكان مع نفسه شديد البكاء من خشية الله ، فكان يمر بالآية وهو يقرأ فتخذه العبرة فيبكي حتى يسقط ، ثم يلزم بيته حتى يعاد ، بحسونه مريضاً . وكان في وجهه خيطان أسودان من البكاء ، ويسمع نشيجه لي الصلاة من آخر الصفوف . وكان أكثر الناس صياماً وصلاة .

وقال علي بن أبي طالب : رأيت عمر على قتب يعدو فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ فقال : بعير نذ من إبل الصدقة أطلبه . فقلت : لقد أتعت من بعدك ! فقال : فوالذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة ، لو أن عناقاً (عنزة) ذهب بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة .

وكان يشعر أن الأموال التي جاءت من الفتح إنما هي ابتلاء له واختبار ، وإلا فلماذا لم تأت لرسول الله ﷺ ولا لأبي بكر ، لذا كان يبكي ويقول : والذي نفسي بيده ما حبه عن نيه ﷺ وعن أبي بكر إرادة الشر لها ، وأعطاه عمر إرادة الخير له .

وكان يريد أن يعرف نفسه قدرها ، فخطب الناس مرة فقال : أيها الناس ! لقد رأيتني وأنا أرمي على خالات لي من بني مخزوم فكنت استعذب لمن الماء فيقبض لي القبضة من التمر أو الزبيب . ثم نزل عن المنبر ولم يزيد على ذلك . فقال له عبدالرحمن بن عوف : ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك يا ابن عوف ، خلوت بنفسي فقلت لي : أنت أمير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله أحد ، فمن ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها قدرها ؟

وكان إذا فعل فعلة عاد إلى نفسه فحاسبها على تلك الفعلة فإن رأت له  
 نفي الأمر، وإلا بدأ يعاتب نفسه ويقرعها ويبكي على ما فعل. فقد قال  
 الأحنف بن قيس: كنت مع عمر بن الخطاب فلقية رجل فقال: يا أمير  
 المؤمنين، انطلق معي فاعدني على فلان فإنه قد ظلمني. فرفع عمر الدرة  
 فخفق بها رأس الرجل وقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا  
 شغل في أمر من أمور المسلمين اتيموه: أعدني أعدني! فانصرف الرجل وهو  
 ينلتمر، فقال عمر: علي بالرجل: فألقى إليه المخفقة وقال: امثل (أخبرني  
 كما ضربتك). فقال الرجل: لا والله ولكن أدهها لله. قال عمر: ليس  
 هكذا، إما أن تدهها لله إرادة ما عنده، أو تدهها لي فأعلم ذلك. قال: أدهها  
 لله. فانصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه، فصلى ركعتين وجلس  
 فقال: يا ابن الخطاب! كنت وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله،  
 وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك  
 فضربته، ما تقول لربك غداً إذا أتيت؟ فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتباً  
 حتى ظننا أنه خير أهل الأرض.

وكان خشن الطعام لا يأكل إلا أدماً واحداً، ويترك الطيبات والاستمتاع  
 بها في الحياة الدنيا، ويخاف الآية الكريمة: ﴿أذهبت طيباتكم في حياتكم  
 الدنيا﴾ ويريد ألا يأكل إلا ما يستطيع أكله فقراء المسلمين.

عن جابر بن عبد الله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي فقال:  
 ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتريت لحماً فاشتريته. فقال عمر: أو كلما اشتريت  
 اشترت يا جابر؟ ما تخاف الآية: ﴿أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.

ودخل على ابنته حفصة أم المؤمنين فقدمت إليه مرقاً بارداً وصبت عليه  
 زيتاً فقال: أدمان في إناء واحد؟ لا آكله حتى ألقى الله عز وجل.

وقدم الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله، فقال: هذا لنا فقراء

المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشعرون من خبز الشعير ؟ فقال خالد بن الوليد :  
لهم الجنة . فاغرورقت عينا عمر وقال : لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا  
بالجنة ، لقد باينونا بونا بعيداً .

وكانت ثيابه مرقعة ، ونعله مخصوفة ، لا يلبس الخبز . لذا كانت حياته على  
نفس قاسية ، وعندما خطب إلى عائشة ، أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنهم  
وهي صغيرة ، قالت أم كلثوم : لا حاجة لي فيه ، فقالت لها عائشة : ترغيبين  
عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إنه خشن العيش شديد على النساء . وخطب أم  
أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت : يغلظ بابي ، ويمنع خيري ، ويدخل  
هابياً ، ويخرج هابياً .

وكان مع أهله شديداً : فكان إذا نهي الناس عن شيء جمع أهله فقال لهم :  
إني قد نهييت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير  
إلى اللحم ، فإن وقعتم ووقعوا ، وإن هبتم هابوا ، وإني والله لا أوتى برجل منكم  
وقع فيها نهييت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني ، فمن شاء منكم  
فليقدم ، ومن شاء فليأخر .

ويمنع أهله أن يتدخلوا في أمر من أمور المسلمين ، كما يمنهم في الربح في  
التجارة إذ يظن أن في ذلك بمالأة لهم لمكانهم منه . ويصلي بالليل حتى إذا  
انتصف أيقظ أهله ويتلو الآية الكريمة : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها  
لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى ﴾ .

وكان يعاتب الولاة إذا تساهلوا على أهله ويوبخهم أشد التوبيخ ، ويقم الحد  
على من خالف من أهله حتى ولده ، فقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله  
عنه أنه قال يوماً - وقد ذكر عمر فترحم عليه - : ما رأيت أحداً بعد نهي الله  
﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ وأبي بكر رضي الله عنه أخوف له من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق ،  
على ولد أو والد . ثم قال : والله إني لفي منزلي في مصر ، إذ أتاني آت : فقال :

هذا عبدالرحمن بن عمر وأبو سرورة يستأذنان عليك، فقلت: بدخلان .  
 فدخلوا وهما منكسران، فقالا: أقم علينا حد الله، فإننا قد أصبنا البارحة شراباً  
 فسكرنا، فزيرتها وطردتها . فقال عبدالرحمن: إن لم تفعله أخبرت أبي إذا  
 قدمت عليه . قال عمرو: فعلت أبي إن لم أقم عليها الحد غضب علي عمر  
 وهزلني، فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد، ودخل عبدالرحمن بن  
 عمر إلى ناحية في الدار فحلق رأسه، وكانوا يملقون مع الحدود: ووالله ما  
 كتبت لعمر بحرف مما كان حتى جاءني كتابه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن  
 الرحيم . من عبدالله عمر إلى العاصي بن العاصي، عجبت لك يا ابن العاصي  
 وجرأتك علي وخلافك عهدي، فما أراني إلا عاز لك . تضرب عبدالرحمن في  
 بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني ؟ إنما عبدالرحمن رجل  
 من ربهتك تصنع به ما تصنع من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير  
 المؤمنين . وقد عرفت أن لا هواة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله  
 علي . فإذا جاءك كتابي هذا فابحث به في عبادة علي قتب حتى يعرف سوء ما  
 صنع . فبعث به كما قال أبوه، وكتبت إلى عمر كتاباً اعتذر فيه أبي ضربه في  
 صحن داري، وبالله الذي لا يخلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري  
 على الذمي والمسلم . وبعثت بالكتاب مع عبدالله بن عمر . فقدم بعبدالرحمن على  
 أبيه، فدخل وعليه عبادة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه، فقال عمر: يا  
 عبدالرحمن فعلت وفعلت ؟ وكلمه عبدالرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين  
 قد أقم عليه الحد . فلم يلتفت إليه . فجعل عبدالرحمن يصيح: إني مريض وأنت  
 قاتلي ! فضربه ثانية، وجبه ففرض ثم مات رحمه الله .

وكان مع الولاية يختار القوي الأمين منهم فليس المهم أن يكون الوالي  
 صالحاً فقط فإن صلاحه لنفسه وضعفه يعود على الأمة، وإنما يجب أن يكون  
 قوياً فقوته للأمة كلها وعدم صلاحه لنفسه، ولا يعطي الولاية إلا لصحابة  
 رسول الله ﷺ، ويختار القوي منهم ويقول: إني لأتخرج أن استعمل الرجل

وأنا أجد أقوى منه . وقد استعمل المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومعاوية  
ابن أبي سفيان وفي الصحابة من هو أفضل منهم أمثال عثمان وعلي وطلحة  
والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد ، وما ذلك إلا لقوة أولئك في  
العقل وخيرتهم ، ولأن عمر يريد أن يُشرف عليهم ، ويريد أن يهابوه ، كما أنه  
لا يريد أن يدنس كبار الصحابة بالعمل ، وقلما كان يريد أن يستعمل بني  
هاشم وآل البيت ، ويقول لابن عباس : إني رأيت رسول الله ﷺ استعمل  
الناس وترككم .

وكان يشترط على الولاة حين يستعملهم بأن لا يظلموا أحداً في جسمه ولا  
في ماله ، ولا يستغل منصبه في فائدة خاصة أو مصلحة له أو لأهل بيته ، ويكتب  
بذلك كتاباً للوالي ويشهد عليه عدداً من صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين  
والانصار . ويقول للوالي : إني لم استعملك على دماء المسلمين ، ولا على  
أعراضهم ، وإنما استعملك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم ، وتحكم فيهم  
بالعدل .

وكان يراقب الولاة ويتدخل في طعامهم وشرايبهم ولباسهم ومسكنهم ، أي  
كانت بيده السلطة كلها ، وإضافة إلى ذلك يطلب من عماله أن يوافقوه في كل  
وسم حج . كما يسأل الناس عن ولاتهم وتمسكهم بالشرع وحكمهم بالعدل ،  
ويستمع إلى شكوى الناس على أمرائهم . وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه  
بعد من كبار المحققين مع الولاة إذا سمع عن أحدهم شيئاً . فقد أرسله  
للتحقيق مع سعد بن أبي وقاص عامله على العراق ، كما سمع شكوى على  
المغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، وقدامة بن مظعون ، وسعيد بن عامر ،  
وعياض بن غنم وغيرهم ، ولعل أشهر شكوى وأبلغها ما كان على عمرو بن  
العاص والي عمر على مصر .

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال :

يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك! قال: وما لك؟

قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو، فقال: فرسي ورب الكعبة. فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة. فقام إلي يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين، وبلغ ذلك عمراً أباه وخشي أن آتيك فحسني في السجن فاتفقت منه، وهذا حين آتيتك. فوالله ما زاد عمر على أن قال: اجلس. ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد. وقال للمصري: أقم حتى يأتيتك. فدعا عمرو ابنه، فقال: أحدثت حدثاً؟ أجيت جنابة؟

قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب إليك؟

فقدم على عمر.

قال أنس: فوالله إنا عند عمر، إذ نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه.

فقال: أين المصري؟

قال: ها أنذا.

قال: دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين، فضربه حتى أثنخه ولحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع حتى أحيينا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين.

ثم قال عمر: أجلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

قال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت. يا أمير المؤمنين قد ضربت

من ضربني.

قال عمر: أما والله لو ضربت ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي

تدعه. أيا عمروا متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.



فجعل عمرو يعثر ويقول: إني لم أشعر بهذا  
ثم التفت عمر إلى المصري وقال: انصرف راشداً فإن رابك رب فاكذب

لي.  
وكان مع الرعية خير أمير إذ كان يمر على النساء اللواتي ذهب رجالهن إلى  
الجهاد، ويطلب منهن أن يذكرن حاجاتهن في البيع والشراء، ويسير إلى السوق  
ووراءه أولادهن وجواربهن، ويؤمن لكل صاحبة بيت طلبها. وإذا جاء البريد  
من الثغور أوصل الرسائل إلى أصحابها، وطلب من يقرأ هذه الرسائل لمن لا  
تعرف القراءة أو قرأها بنفسه إن أرادت صاحبة العلاقة، وقبل أن ينصرف  
يخبرهن بسير البريد ويحدد لمن الوقت إن كن يردن الكتابة لأزواجهن.

وإذا كان مع قوم في سفر تأخر عنهم بفنش عما نسوه، ويساعد من أبطأت  
به دابته، أو من أصابه حادث.

وكان يعسّ بالليل يتفقد من ينزل حول المدينة، ويحرس القوافل، ويسأل  
أصحاب الحاجات، فيؤمن طلبات ذوي الاستحقاق وما يجد في طريقه، وإذا  
دعا الأمر عاد إلى بيته فأخذ زوجته لتدخل على النساء اللواتي تستدعي حالتهن  
مهمة نائية.

قال: أسلم (غلام عمر): خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرة (واقم)،  
حتى إذا كان بـ (صرار) إذ نار تُوذت (تؤجج) قال: يا أسلم إني أرى ها  
هنا ركباً قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا.

فخرجنا نهول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان، وقدر منصوبة  
على نار، وصبياتها يتضاغون (يتصايحون) فقال عمر: السلام عليكم يا أهل  
الضوء. (كره أن يقول: يا أصحاب النار). فقالت: وعليكم السلام.

فقال: أأدنو؟ فقالت: ادن بخير أودع. فدنا منها فقال: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع. قال: وأي شيء لي هذا القدر؟

قالت: ماء اسكنهم به حتى يناموا. والله ما بيننا وبين عمر. فقال: أي  
رحمك الله، وما يدري عمر بكم.

قالت: يتول أمرنا ثم يفعل عنا.

فأقبل علي، فقال: انطلق بنا.

فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق، وكبة  
شحم، وقال: أحله علي.

قلت: أنا أحله عنك. قال: أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أم لك!

فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فالتقى ذلك عندها،  
وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: فزي علي وأنا أحز لك. وجعل  
ينفخ تحت القدر، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحية حتى طبع لهم. ثم أنزل  
القدر، وقال: ابغني شيئاً.

فأنت بصفحة فأفرغ القدر فيها، وجعل يقول ها أطعمهم وأنا اسطح لهم  
(أرد لهم).

فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك وقام وقتت معه، فجعلت  
تقول: جزاك الله خيراً، كنت بهذا أول من أمر المؤمنين. فيقول: قول  
خيراً، إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنني هناك - إن شاء الله - ثم تنحى ناحية  
عنها، ثم استقبلها فربض مريضاً، فقلت له: لك شأن غير هذا؟

فلا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرحون، ثم ناموا، وهدلوا.

فقام يصعد الله ثم أقبل علي فقال: يا ألس. إن الجوع أسهرهم وأهكاهم  
فأحييت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

وكان عمر يطوف بالأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الحضور. وكان يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من يشاء، وليس على دأبه باب ولا حجاب.

وكان مع الجند نعم القائد فهو القائد العام للقوات الإسلامية، يعين القائد من الصحابة، ويختاره على هذا الأساس، وقد عين أبو عبيد الثقفي لكونه أول من لى لنداء الجهاد، وقد يعزل القائد فيصبح جندياً عادياً في الجيش، ويرقي الجندي فيصبح قائداً كبيراً، وما ذلك إلا لتقدير الشجاعة والاقدام، وحتى لا يطعم القائد في منصبه، ولا يضعف الجندي لمركزه، وقد عزل خالد بن الوليد عن القيادة حتى لا يتسبب له النصر، فانه هو الفعال لما يريد، وما النصر إلا من عند الله، وكاد أن يفتن بخالد بعضهم.

وكان يبعث بأوامره وتعليماته إلى القادة بصورة مستمرة، ويسأل عنهم، ويعرف كل شيء من أمرهم حتى كأنه يعيش معهم، ويذكرهم بالله والخوف منه والإخلاص له، ومحضهم على القتال. ويسأل عن نتائج المعارك فإذا أبطأ عليه الخبر، خرج خارج المدينة يسأل الركبان، ويتقصى الأخبار، وإذا عصب الأمر يقرر الخروج بنفسه إلى ساحة القتال، ثم يستشير بذلك الصحابة كعادته عند كل قضية، وينزل عند رأيهم إذا اقتنع به. وكان يدير المعارك من مكانه الذي هو فيه على الجبهات كلها، ويرسل البريد السريع بالتعليمات، وتعيين القادة والطلائع والمقدمة والميمنة والميسرة والساقة، ويرتب الأفراد، ويوزع الأوامر على المدن وفي الجبهات المقرر التوجه إليها.

وكان يفتك أسرى المسلمين من بيت المال، ويقول: لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إلي من جزيرة العرب.

وكان مع الذميين نعم الحامم العادل كان يفرض على الذميين ألا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم، وركوبهم، وما عدا ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما

عليهم إلا في أمور قليلة معروفة، وكان إذا أسلم الذمي سقطت عنه الجزية،  
وإذا تبت أن عليه دين يستغرق ماله كله، يعفى من العشر ومن الجزية.

وكتب إلى ولاته يأمرهم أن يمنحوا المسلمين من ظلم أحد من أهل الذمة،  
وأوصى بأهل الذمة أن يوفى لهم عهدهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم.

ومر عمر بسائل شيخ ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من  
أي أهل الكتاب أنت؟

قال: يهودي.

قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسنة.

فأخذ عمر بيده إلى منزله فأعطاه شيئاً من المال، ثم أرسل إلى خازن بيت  
المال، فقال له: انظر هذا وضرباه، فوالله ما أنصفناه، أكلنا شيبته، ثم  
خذلناه عند الحرم.

٢ - الصحابة: كان كبار الصحابة يعيشون في المدينة، لا يسمح لهم الخليفة  
بالخروج منها وحتى للجهاد، فقد كفاهم جهادهم مع رسول الله ﷺ، ويريد  
أن يعرض عليهم الأمور التي تجدد، ويستشيرهم في القضايا، ويستفتيهم في  
المشكلات التي تقع له وللمسلمين، فكثيراً ما كان يسأل عثمان وعلياً  
وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة. كما يريد منهم أن يكونوا قدوة  
يحتذى بها في الوسط الذي يعيشون به.

كان الصحابة يتصحون الخليفة، ويعيشون معه قضايا الدولة، ويرون تبعه  
الشديد من أجل الرعاية وحرصه الكبير على مصلحة المسلمين فيقولون له:  
رحمك الله أتعبت من بعدك. وكانوا مع الرعاية صورة مصغرة عن الخليفة  
فالناس جميعاً يضعونهم موضعهم، وهم يلبسون لهم كما يلبس عمر. كما

بوجهوتهم ويفقهونهم في الدين . وكانت أفضلية الصحابة بالسابقة في الإسلام ،  
فصهيب وسلمان أسبق وأفضل من طلقاء مكة أمثال أبي سفيان وسهيل بن  
عمرو والحارث بن هشام ، فيروى أن سهيل بن عمرو والحارث بن هشام كان  
على باب عمر ، فأذن لسلمان وصهيب وأمثالهما فتمتعروا وجه الحارث وقال لسهيل :  
ما فعل بنا الرجل ، فأجابه نحن فعلنا بأنفسنا دعوا ودعيتنا فأجابوا وأبطأنا فهم  
أسبق منا وأقرب ، وفي اليوم التالي جاءا إليه وقالوا : عرفنا ما فعلنا بأنفسنا ،  
فهل لنا من عمل حتى نلحق بالركب ، فأشار إليهم بالغزو فخرجوا مجاهدين  
وقد استشهدا رضي الله عنهما .

أما بالمسؤولية والعدل فكان الجميع على مستوى واحد ، ليس لسابق منزلة  
فوق منازل الآخرين ولا لغيرهم دون ذلك ، والصحابة كلهم إخوة محبتهم  
بعضهم لبعض فوق مستوى محبة الأشقاء .

٣ - الرعاية : كان الناس كتلة واحدة مترابطة بشعر كل من بقي في مقره  
أنه المسؤول عن أسر المجاهدين الذين في الغزو ، وبخاصة أنه يرى الخليفة بنفسه  
يقوم بهذه المسؤولية ويتحمل تبعات ، وتشر الأسر بالترابط والمودة ما دام  
يجمعها جامع العقيدة ويربطها رابط الموقف الواحد وهو أن الرجال في  
الجيئات وعلى الثغور يعملون لإعلاء كلمة الله والابناء والأمهات والمستون  
ينتظرون نتائج المعارك وحوادث الجهاد ، ويُرعون الرعاية التامة من خليفتهم  
وأمرائهم فيقلدون ، والايان يدفعهم إلى ذلك ، والإسلام يحثهم على المودة  
والرحمة ، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا  
اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالسهر والحس ، فما من حادثة تحدث  
في المجتمع إلا ويشارك فيها جميعه ، فأخبار النصر سرور للجميع بل وكلهم  
فيه مشاركون ، وعام المجاعة الذي عرف بعام الرمادة وهو عام ١٨ هـ قد  
جاء الناس جميعاً ، فاشتركوا بالضرراء ، وتناولوا ما عند بعضهم جميعاً ، وعندما  
بدأت تصل الأقوات من الأمصار بدأت توزع على الأفراد في المناطق التي

أصابها البلاء، وعمها الضر بلا استثناء، لكل بيت يناله ما ينال جواره بغض النظر عن الأسبقية في الإسلام والأفضلية وبغض النظر عن العقيدة التي يدين بها أتباعه، فالمسلمون والذميون على حد سواء، ينال الجميع الخير كما أصاب الجميع الضر.

٤ - الذميون: وهم أهل من أهل الكتاب من نصارى ويهود، ويضاف إليهم المجوس إليهم، وهم الذين عاهدوا المسلمين، ولم ينقضوا عهدهم، وحافظوا على موثوقيتهم، فلم يأووا عدواً، ولم يرأسوا خصماً، وقد عاشوا سعداء شملهم عدل الإسلام، فأقاموا آمنين على أملاكهم وأموالهم وأبائهم، لا يعتدي على أحد منهم، وإن حدث شيء أصاب العدل مرقعه فأخذهم حتى يتم ونال المعتدي جزاءه، وكانت المساواة بين الناس جميعاً وبلا استثناء، ولم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا في نواحٍ قليلة، وكانوا يدفعون الجزية، ولا تعدل ما يدفعه المسلم من زكاة، ولا يخرجون للقتال، وهم آمنون، ولم الحق بالتقاضي حسب شرائعهم، كما لهم الحق في التقاضي بشرع الله المطبق في المجتمع الإسلامي.

وأخيراً فإن عمر رضي الله عنه قد أجلاهم عن الجزيرة لما ظهر منهم، ولقول رسول الله ﷺ: «لا يجتمع في الجزيرة دينان»، أما في بقية أمصار الدولة الإسلامية فقد بقوا على سعادتهم وحريرتهم.

وهكذا كان المجتمع سعيداً بكل أفراد، فاضلاً بكل سلوكه، متأسكاً بكل لبنائه، تسوده المساواة، وتنطلق فيه الحرية، وتعيش فيه المودة، وتعيش فيه الرحمة.

البَابُ الثَّالِثُ  
عَمْرَانُ بْنُ عَفَّانَ  
رضي الله عنه

## الفصل الأول

### حياته

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهذا يلتقي برسول الله ﷺ من ناحية أبيه بعد مناف أو بالجهد الرابع، ويلتقي به من ناحية أمه أيضاً، فأم عثمان هي: أروى بنت كريب، وأم أروى هي البيضاء بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ﷺ.

ولد عثمان رضي الله عنه في الطائف سنة ٤٧ قبل الهجرة أي أنه أصغر من رسول الله ﷺ بست سنوات تقريباً. وكان أبوه (عفان) ثرياً صاحب تجارة، وقد مات في إحدى رحلاته إلى بلاد الشام من أجل التجارة ونولي فيها. وخلف مالا لابنه عثمان، فالتجرت به وبيع، وجاد على قومه بما لديه من مال، فأحببه قومه، وقدموه، وكان رجيهاً بينهم، وبدأ في قومه بني أمية، وأحد أعيان قريش كلها. وهذا كله ما حفظه لنا التاريخ من حياته في الجاهلية شأنه في ذلك شأن بقية الصحابة. ولكن تاريخهم في الإسلام معروف بكامله إذ أن الإسلام هو الذي صنعهم رجالاً من جديد فسجل التاريخ حياتهم كاملة في أنصع صفحاته.

وبعث محمد ﷺ وعثمان في الرابعة والثلاثين من عمره، ولم يلبث أن أسلم وكان من السابقين، إذ كان إسلامه قبل أن يدخل المسلمون دار الأرقم بن أبي الأرقم، بل وكان من العشرة الأوائل. وتروي الأخبار عن طريقة إسلامه،





يقال: إنه كان عائداً من الشام في تجارة له مع طلحة بن عبيدالله فسمع وهو  
 بن النائم واليقظان منادياً يصر ببعث محمد ﷺ في مكة، وروى ابن حجر في  
 الإصابة: أن سعدى بنت كريب خالة عثمان بن عفان - وكانت تنكهن في  
 الجاهلية - أخبرت ببعث النبي ﷺ، قال عثمان: فوقع كلامها من قلبي،  
 فحججت أفكر فيه، وكان لي مجلس عند أبي بكر، فأصبته في مجلس ليس فيه  
 أحد، فجلست إليه قرآني مفكراً، فسألني أمري، وكان رجلاً متأبياً، فأخبرته  
 بما سمعت من خالتي، فقال: ويحك يا عثمان! إنك لرجل حازم، ما يخفى  
 عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي بعدها قومنا؟ ألست من حجارة  
 صم، لا تسمع ولا تبصر؟ ... قلت: بلى، إنها كذلك، فقال: والله لقد  
 صدقتك خالتك، هذا رسول الله محمد بن عبدالله قد بعث الله برسالة إلى  
 خلقه، فهل لك أن تأتيه لتسمع منه؟ قلت: لا، فمر رسول الله ﷺ ومعه  
 علي بن أبي طالب، فقام إليه أبو بكر، فساره في أذنه بشيء، فأقبل علي رسول  
 الله ﷺ، فقال: يا عثمان، أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى  
 خلقه، فما تمالكت نفسي حين سمعت قوله أن أسلمت.

ونشرت قريش نائراً كبيراً بإسلام عثمان إذ كان محبوباً من أفرادها، ول  
 مكان بين أبنائها. وحاول معه الحكم بن أبي العاص أن يشبهه عن إسلامه فلم  
 يفلح، وعذبه عذاباً شديداً، ولكن ذلك لم يغير شيئاً من عزمه، ولما راه ثابتاً  
 على عقيدته، ماضياً في طريقه تركه وشأنه. وحاولت أم أروى بنت كريب  
 أيضاً أن تقنعه بالعدول عن رأيه، وتبديل خطه لكنها باءت بالفشل، واستمر  
 هو على النهج الذي رسمه لنفسه.

وامتاز سيدنا عثمان رضي الله عنه بناحيتين مهمتين جداً وهما: الحياة، لما  
 كان يعرف إنسان أشد حياة منه، حتى كان رسول الله ﷺ يستحي منه وحتى  
 قال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة، وروى ابن عساکر أن النبي

ﷺ قال: عثمان حبيبي تستحي منه الملائكة. أما الناحية الثانية فهي الكرم، فكان جواداً إذ لم يكن في قريش من هو أكثر منه جوداً، بل لا يوجد آنذاك من يعادله في السخاء والبدل.

وتزوج رضي الله عنه رقية بنت رسول الله ﷺ، وأنجب منها ولداً اسمه عبدالله ولكنه لم يعش طويلاً، وتوفي وعمره ست سنوات.

ولما اشتد أذى قريش على المسلمين، وهاجر بعضهم إلى الحبشة، استأذن عثمان رسول الله ﷺ في أن يهاجر مع زوجه رقية فأذن له، وهاجر، ثم عاد إلى بلده مكة.

وعندما بدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة بعد بيعة العقبة، هاجر عثمان بن عفان إليها مع زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ. وعندما حدثت معركة بدر الكبرى بين المسلمين وقريش لم يشهدا سيدنا عثمان، إذ كانت زوجه مريضة فبقي بجانبها يمرضها بإذن من رسول الله ﷺ، وهذه رسول الله من البدرين، وأسهم له بينهم. وما رجع المسلمون من تلك الغزوة حتى كانت رقية رضي الله عنها قد توفيت، فحزن عليها عثمان أشد الحزن. وكان في الجاهلية يُكنى بأبي عمرو، فلما أنجبت له رقية ابنه عبدالله أصبح يُكنى به، ولكنه توفي صغيراً - كما ذكرنا - وتزوج بعد رقية أختها أم كلثوم، ولكنها لم تنجب له، وتوفيت أيضاً.

وتزوج فاختة بنت غزوان، وأنجبت له عبدالله الأصغر، وقد هلك. وتزوج أم عمرو بنت جندب فولدت له عمراً، وخالداً، وأبان، وعمراً، ومرم. وتزوج فاطمة بنت الوليد المخزومية فولدت له سعيداً، والوليد، وأم سعيد، وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الغزارية فولدت له عبدالمملك إلا أنه هلك، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة فولدت له عائشة، وأم أبان، وأم

عمرو، ولم تنجب له ذكوراً. وتزوج نائلة بنت الفرافصة فولدت له مريم.  
وبهذا يكون قد تزوج ثمان زوجات، واستشهد وعنده ثلاث هن: أم البنين  
بنت عبيدة، وفاخنة، ونائلة. ووُلد له ٩ أولاد مات ثلاثة منهم صغاراً، وهم  
عبدالله وعبدالله الأصغر وعبدالمملك، وعاش الباقيون وهم: عمرو، وخالد،  
وأبان، وعمر، والوليد وسعيد. كما ولد له ست بنات وهن: مريم، وأم سعيد،  
وعائشة، وأم أبان، وأم عمرو، ومريم الصغرى.

وشهد عثمان رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وفي السنة  
السابعة سار رسول الله مع المسلمين إلى مكة ليزور البيت ويؤدي مناسك  
العمرة، إلا أن قريشاً قد اعترضت سبيله، وظنت أنه قد جاء غازياً على حين  
أنه قد ذهب زائراً للبيت ومعظماً له، وعلى الرغم من أن عدداً من زعماء قريش  
قد أقروا بذلك، ومع هذا فقد أصرت قريش على نعتها ورفضها، ورأى  
رسول الله ﷺ أن يرسل أحد صحابته ليقوم قريشاً ما أتى المسلمون من أجله  
لتخلي بينهم وبين ما أرادوا. ودعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليصطحبه إلى  
مكة، فيبلغ عنه أشرف قريش ما جاء به، فقال عمر: يا رسول الله، إني  
أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمتني، وقد  
عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظني عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها  
مني: عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وبعثه إلى أبي  
سفيان وأشرف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت  
ومطلباً لحرمة.

انطلق عثمان بن عفان إلى مكة، ووصل إلى أشرف قريش، فقالوا له: إن  
شئت أن تطوف بالبيت فطف، فأجابهم رضي الله عنه: ما كنت لأفعل حتى  
يطوف رسول الله ﷺ. وأبلغ عثمان قريشاً ما جاء من أجله، إلا أن قريشاً  
استمرت على إصرارها بمنع المسلمين من زيارة البيت، واحببت عثمان بمكة

عبد بن عبد الله

مريم الصغرى

عبد بن عبد الله

أم عمرو  
أم أبان  
عائشة

أم النبي بنت  
عبد بن عبد الله

عبد الملك

عبد بن عبد الله

أم سعيد  
عبد  
الوليد

عبد بن عبد الله

عبد  
عمر  
أبان  
عالم  
عمر

فاطمة بنت  
عبد بن عبد الله

عبد الله الأصغر

أم كلثوم بنت  
عبد بن عبد الله

□

رقية بنت  
عبد بن عبد الله

عبد الله  
بنت صغير

الزوجات

الأولاد

أسرة بني عبد مناف

حتى طال ليله بها على رسول الله والمسلمين ، وترامى إليهم أن قريشا غدوت  
به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تبرح حتى تناجز القوم » . وأخذ رسول الله في  
مبايعة أصحابه ، فتمت بيعة الرضوان من أجل عثمان بن عفان رضي الله عنه .  
ويابع رسول الله عن عثمان بأحدى يديه الأخرى .

ورد في البخاري في صحيحه قال : جاء رجل من أهل مصر ، حج البيت  
فراى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش ، قال : فمن  
الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبدالله بن عمر ، قال : يا ابن عمر ، إني أسألك عن شيء  
فحدثني عنه ، قال : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم . قال : هل تعلم  
أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم ، قال : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة  
الرضوان فلم يشهداها ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر . قال ابن عمر : تعال أبين  
لك .

أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر  
فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ  
« إن لك لأجر رجل ممن شهد بدرأ وسهمه » ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ،  
فلو كان أحد أمر بطن مكة لبعث مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان ،  
وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله ﷺ  
بيده اليمنى ، هذه يد عثمان . فضرب بها على يده اليسرى ، فقال : هذه لعثمان .  
فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك .

ولما أراد رسول الله ﷺ السير إلى تبوك ، كان الناس في ضيق ، وكان  
الجيش مؤلفاً من ثلاثين ألف جندي ، فطلب رسول الله التبرع من المسلمين  
وأعاد الطلب ، فجهز عثمان الجيش حتى لم يفقد عقلاً ولا خطأماً . ويقال : إنه  
قد جهزه بتسعمائة وخمسين بعيراً ، وخمسين فرساً ، وجاء بألف دينار في ثوبه  
فصعبها في حجر النبي ﷺ ، فقال رسول الله : « ما على عثمان ما فعل بعد

اليوم، وتوفي رسول الله وهو عنه راضٍ .

وكان في عهد أبي بكر بعد الكاتب الأول للخليفة، وبعد ثاني اثنين في  
تسيير شؤون الدولة بعد عمر بن الخطاب . وكان أصاب الناس في ذلك العهد  
قحط، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر، فقالوا: يا خليفة رسول الله،  
إن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك، فإذا نفع؟  
قال: انصرفوا واصبروا فإنني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلما  
كان آخر النهار ورد الخبر بأن عمراً لعثمان جاءت من الشام وتصبح في المدينة  
فلما جاءت خرج الناس يتلقونها، فإذا هي ألف بعير موسوقة برأ وزيتاً  
وزبيباً، فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه فلما جعلها في داره جاء التجار،  
فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، بعنا من هذا الذي وصل  
إليك، فإنك تعلم ضرورة الناس، قال: حياً وكرامة كم ترهوني على شراي؟  
قالوا: الدرهم درهمين، قال: أعطيت زيادة على هذا، قالوا: أربعة، قال:  
أعطيت زيادة على هذا، قالوا: خمسة، قال: أعطيت أكثر من هذا، قالوا: يا  
أبا عمرو، ما بقي في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد، فمن الذي  
أعطاك؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة؟ قالوا: لا،  
قال: فإنني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقةً على المساكين  
وقراء المسلمين .

وكتب عثمان لأبي بكر كتاب استخلاف عمر بيده .

وكان عثمان في عهد عمر الرجل الثاني في الدولة، فإذا أراد الناس أن  
يسألوا عمر شيئاً لا ذوا بعثمان لمكانه منه . فهو الذي أشار على عمر بتسجيل  
الناس في سجلات خاصة وإنشاء الدواوين، وهو الذي أشار عليه بكتابة  
التاريخ الهجري بدءاً من شهر المحرم . وكان لين عثمان مع شدة عمر تعاطف  
شدة عمر مع لين أبي بكر، لذا فلم يتغير شيء في شؤون الدولة لين مع حزم  
وشدة مع عطف .

خلافة عثمان بن عفان

لما دلفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن صل عليه صهيب، جمع المقداد بن عمرو أصحاب الثوري في بيت المسور بن مخرمة، وكانوا خمسة وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ومعهم عبدالله بن عمر، وطلحة بن عبيد الله غائب، وكان أبو طلحة الأنصاري يجرسهم، ويحجبهم من أن يدخل الناس إليهم.

تداول القوم الأمر، وتكلم كل منهم بكلمة نبين الاشفاق على الأمة والخوف من الفرقة. ثم قال عبدالرحمن بن عوف وقد كان في البداية أول المتكلمين: أياكم يخرج منها نفسه، ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يبه أحد، فقال: فأنا الخلع منها، فقال عثمان: أنا أول من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين في الأرض أمين في السماء»، فقال القوم: قد رضينا - وعلي ساكت - فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: اعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخصص قارحاً، ولا تألو الأمة! فقال: اعطني موثقاً لكم على أن تكونوا معي على من بدلّ وغير، وأن ترضوا من اخترت لكم، على ميثاق ألا أخص ذا رحم لرحمه، ولا ألو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعلي: إنك تقول: إني أحق من حضر بالأمر لقربتك وسابقتك وحسن أترك في الدين ولم تبعد، ولكن أرايت لو صرف



هذا الأمر عنك فلم تحضر، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان، فقال: نقول: شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه، لي سابقة وفضل - لم تبعد - فلن يصرف هذا الأمر عني، ولكن لو لم تحضر فأني هؤلاء الرهط أحق به؟ قال: علي. ثم خلا بالزبير فكلمه مثل ما كلم به علياً وعثمان، فقال: علي. ثم خلا بسعد، فكلمه، فقال: عثمان. وهكذا حصر الأمر بين علي وعثمان، ولم يرد عبدالرحمن بن عوف أن يختار هو فبرجع الكفة، ويُنظر إليه أنه هو الذي اختار أو عيّن، فقد كانوا رضي الله عنهم يريدون أن يتعدوا عن مثل هذه المواقف والمواطن.

ودار عبدالرحمن يلقى أصحاب رسول الله ﷺ ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس بشاورهم، فكان أكثرهم يشير إلى عثمان، حتى إذا كانت الليلة التي يشكّل في مسيحتها الأجل وهو ثلاثة أيام، أتى منزل المسور بن مخرمة بعد إبهار من الليل، فأبغظه فقال: ألا أراك نائماً ولم أدق هذه الليلة كثير غمض! انطلق فداع الزبير وسعداً. ويبدو أن عبدالرحمن رغب أن ينهي القضية بين أصحاب الشورى بالذات بالمناقشة، وأن يدع رأي من استشار خارجهم، وعسى أن يوفق في كسب رأي الزبير وسعد إلى جانب أحد صاحبي الأمر عثمان أو علي، وبعد اجتماعه بالزبير ثم بسعد رأى أن رأيها لا يزال كالسابق، عندها حزم رأيه أن يأخذ البيعة لأحدها أمام الصحابة حتى تكون أقوى وحتى لا تكون محاباة - معاذ الله - وحتى لا يستطيع أحدهما أن يعترض أو يظن شيئاً. وبعد أن صلى المسلمون الفجر في المسجد، جمع عبدالرحمن أصحاب الشورى، وبعث إلى من حضر من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى غصن المسجد بأهله. فقام عبدالرحمن وقال: أيها الناس، إن الناس قد أجمعوا أن يلحق أهل الأنصار بأمصارهم وقد علموا من أمرهم. فأبدى بعض المسلمين رأيهم فتكلم سعيد بن زيد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأعطى رأيه لصالح

عبدالرحمن إذ قال: إن تراك لها أهلاً، فقال عبدالرحمن: أشيروا عليّ بغير هذا  
فقام عمار بن ياسر وأيد علياً، ووافقه المقداد بن عمرو، ثم قام عبدالله بن سعد  
ابن أبي سرح فأيد عثمان ووافقه عبدالله بن أبي ربيعة. وكادت الأصوات  
تعلو، وعندها وقف سعد بن أبي وقاص وقال: يا عبدالرحمن، افرغ قبل أن  
يقفن الناس، فقال عبدالرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها الرهط  
عل أنفسكم سبيلاً، ودعا علياً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتمعلنن بكتاب  
الله وستة رسوله وسيرة الخليفين من بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ  
علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم، قبايعه، وبايع  
الناس جميعاً.

وهكذا استطاع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ألا يجعل خلافاً ولا  
فرقة، وألا يدخل رأي غير أصحاب الشورى الذين كانوا بجانب عثمان، وألا  
يقف بجانب واحد من الرجلين وقد تساوت الآراء وتعادلت الأصوات، لقد  
استطاع هذا بمعرفة طبيعة الصحابين الجليلين رضي الله عنهما.

وفي اليوم الذي يبيع فيه عثمان قدم طلحة بن عبيدالله أحد رجال الشورى  
- وقد كان غائباً - فقيل له: بايع عثمان، فقال: أكل قريش راضٍ به؟ قال:  
نعم، قال: أكل الناس بايعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيت، لا أرغب عما قد  
أجمعوا عليه، وبايعه.

وقد أكثر الرواة في ذكر رجال الشورى وما دار بينهم في هذه الأيام  
الثلاثة، وظهرت التناقضات بين الرواة، كما بدا الخلاف بين الصحابة حتى إن  
القاريء لبشر أولئك النخبة المختارة قد تنافسوا على الإمارة تنافس أهل هذا  
الزمن إن لم نقل إنهم قد سبقوهم في ذلك، وما هذا بطبيعتهم، كما لا يتفق  
هذا مع إيمانهم وخوفهم في تحمل التبعة وفتنة الدنيا. والواقع أن بيعة سيدنا  
عثمان لا تعقيد فيها ولا منافسة، لذا لم يتخلف رجل عن البيعة، ولم يعقبها أمة

حادثة تدعو إلى الشقاق أو يؤول بها إلى ذلك .

وصعد عثمان بعد بيعته المنبر وهو أكثر أهل الشورى كآبة ، وتكلم كلمة قصيرة نصح فيها الناس وذكرهم بالآخرة ، وحذّره من فتنة الدنيا .

وكانت بيعته رضي الله عنه في الأيام الأخيرة من شهر ذي الحجة إلى غرة المحرم من السنة الرابعة والعشرين من هجرة رسول الله ﷺ ، وكان الولاء على الأخصار كما يلي :

والي مكة المكرمة : نافع بن عبدالمحرث الخزاعي .

والي الطائف : سفيان بن عبدالله الثقفي .

والي صنعاء : يعلى بن منبه ، حليف بني نوفل بن عبد مناف .

والي جند : عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي .

والي الكوفة : المغيرة بن شعبة الثقفي .

والي البصرة : أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري .

والي الشام : معاوية بن أبي سفيان الأموي .

والي حصن : عمير بن سعد .

والي مصر : عمرو بن العاص السهمي .

والي البحرين : عثمان بن أبي العاص الثقفي .

## الفصل الثالث

### الفتوحات في عهد عثمان

لقد كان عهد عثمان رضي الله عنه مليئاً بالفتوحات، وهي تنمة لما كان أيام الخليفة السابق له وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولقد استمرت هذه الفتوحات في البر والبحر مدة عشرة أعوام إلا أن ما حدث في العامين التاليين لها من فتنة، قد جعلها تنسى فطفت الفتنة حتى حسب الناس أن عهد عثمان لم يكن سوى فتنة واختلاف نشأت من بيعته ودامت بقية حياته التي انتهت باستشهاده.

كان أمير الشام معاوية بن أبي سفيان قد قام بغزو الروم ووصل إلى عمورية قريباً من القرية اليوم، وكان معه من محاربة رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد، وأبو ذر الأنصاري، وشداد بن أوس.

لقد فتح المسلمون مناطق واسعة، وكان عدد جندهم قليلاً بالنسبة إلى تلك الأراضي الشاسعة، وبالنسبة إلى أعداد أعدائهم الكبيرة، وهذا ما جعلهم لا يتركون في المناطق التي يصلحونها إلا الجند القليل، ولا يقعون في البقاع التي يفتنونها إلا العدد الضئيل، وبخاصة أنه كانت هناك جهات مفتوحة، وثغور يجب حمايتها، ومراكز يجب الدفاع عنها والتجمع فيها للإمدادات في الأوقات اللازمة، كل هذا جعل عدد المسلمين قليلاً في البلاد المفتوحة حديثاً، وجعل أهلها يشعرون في دفع الجزية، ويظنون أن بمقدورهم هزيمة المسلمين وقتلهم،

وأن ما حدث معهم في المرة الأولى لم يكن سوى أخطاء ارتكبوها وقد عرفوها  
فيها بعد، ثم يتحسرون على عزمهم الزائل وأيام مجدهم الخالية، لذا كانوا  
يتحينون الفرص للانقضاض على المسلمين ونقض عهودهم معهم - هكذا  
النفس البشرية - ومن هنا كان نقض العهد كثيراً . وقد انتهز الفرس والروم  
في المناطق التي دخلها المسلمون وفاة خليفتهم عمر بن الخطاب، ونقضوا  
العهد، وظنوا أن أمر المسلمين قد ضعف، ولكنهم فوجئوا بأن قوة المسلمين  
على ما هي عليه لم تختلف أيام عمر عن أيام عثمان الخليفة الجديد، وقد أدب  
المسلمون خصومهم مرة ثانية .

**الجهة الغربية:** نقضت الاسكندرية عهدها عام ٢٥ هـ، فصار إليها أمير  
مصر عمرو بن العاص، وقاتل أهلها وأجبرهم على الخضوع، والعودة إلى  
عهدهم .

وكان عمر بن الخطاب قد منع عمرو بن العاص من الانسحاب في إفريقية  
بعدما فتح طرابلس، إلا أن عثمان بن عفان قد سمح بذلك، وأرسل عبدالله  
ابن سعد بن أبي سرح على رأس قوة، فاجتاز طرابلس، واستولى على سفن  
الروم كانت راسية هناك على الشاطئ، ثم واصل سيره في إفريقية، والتقى  
بجيوش البيزنطيين عام ٢٧ هـ في موقع يقال له (سيطة) في جنوب غربي  
القيروان التي لم تكن قد أست بعد، وقد قتل عبدالله بن الزبير، وكان مع  
الغزاة في تلك الموقعة القائد البيزنطي (جرجير)، وكان ذا أثر فعال في  
الانتصار الذي أحرزه المسلمون على الروم، إلا أن عبدالله بن سعد بن أبي  
سرح قد اضطر إلى عقد معاهدة للصلح مع البيزنطيين مقابل جزية سنوية  
يدفعونها على أن يبخل إفريقية، وكان ذلك الاضطرار بسبب سيره إلى مصر  
لمواجهة النوبة الذين هددوا مصر من ناحية الجنوب .

وفي أيام عمر بن الخطاب ألح أمير الشام معاوية بن أبي سفيان على الخليفة

عمر في غزو البحر وقرى الروم من حصص وقال: إن قرية من قرى حصص  
يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر،  
فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعتني  
إليه، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقاً كبيراً يركب خلق صغيراً، إن ركن  
فخرق القلوب، وإن تحرك أزعج العقول، يزداد فيه اليقين قلّة، والشك كثرة،  
هم فيه كدود على عود، إن مال فخرق، وإن لحا يرق. فلما قرأ عمر كتب إلى  
معاوية: (لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحل فيه مسلماً أبداً). فلما ولي عثمان لم  
يرز به معاوية، حتى عزم على ذلك بأخرة، وقال: لا تنتخب الناس، ولا تُقرع  
بينهم، خذهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحله وأمه، ففعل، واستعمل على  
البحر عبدالله بن قيس الجاسي<sup>(١)</sup> حليف بني فزارة.

غزا معاوية قبرص ومضالج أهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين  
كل سنة وذلك عام ٢٨ هـ، وساعد أهل مصر في تلك الغزوة بامرأة عبدالله  
ابن سعد بن أبي سرح، فلما وصل إلى قبرص، كان معاوية على الناس جميعاً،  
وكان بين الغزاة من صحابة رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت، والمقداد بن  
عمرو، وشداد بن أوس، وأبو ذر الغفاري، وكانت مع عبادة بن الصامت  
زوجه أم حرام.

(١) غزا عبدالله بن قيس حين فزارة من بين ثمانية ومائة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم  
ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في حده، وألا ينزله بمصاب أحد منهم،  
حتى إذا أراد الله أن يعصيه وحده، خرج في قارب طليعة، فالتقى إلى المرقى من  
أرض الروم، وكان هناك ناس يسألون فصدق عليهم، فرجعت امرأة من الذين  
كانوا يسألون إلى القرية، وقالت: هل لكم في عبدالله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟  
قالت: في المرقى، قالوا: ومن أين تعرفين عبدالله بن قيس؟ قالت: كان كالناجر،  
فلما سأته أعطاني كالملك، فعرفت أن عبدالله بن قيس، فناروا إليه، فتجمعوا  
عليه، وقالوا: حتى أصيب وحده، وأقلت الملاح حتى رجع إلى أصحابه، فسلم  
الإمرة بعده سفيان بن عوف الأزدي.

وغزا حبيب بن مسلمة بعض أرض سورية التي كانت لا تزال بيد الروم  
وذلك عام ٢٨ هـ .

ولي عام ٣١ هـ جرت معركة بحرية حاسمة بين المسلمين والروم بالقرب  
من شواطئ كيليكيا، وهي التي تعرف بذات الصواري، وعرفت بذلك لأن  
صواري السفن ربطت بعضها مع بعض السلعة والرومية، وذلك بعد أن أمن  
بعضهم بعضاً واختار الروم قتال البحر، وكان قائد المسلمين أمير مصر عبدالله  
ابن أبي سرح، وقائد الروم الامبراطور نفسه قسطنطين الثاني الذي كان يقود  
أكثر من خمسين سفينة، ومع ذلك فقد فر من المعركة، وهزم الروم شر هزيمة،  
وكانت صواري السفن من أشجار السرو والصنوبر وهذا ما يدل على أهمية  
الأشجار والغابات لكلا الطرفين، وحبال تلك الشواطئ، كانت مليئة بهذه  
الأنواع من الأشجار.

ولي عام ٣٣ هـ غزا أمير الشام معاوية بن أبي سفيان حصن المرأة من  
أرض الروم قرب نهر ملاطية.

ونقضت إنريقية العهد عام ٣٣ هـ فسار إليها أمير مصر عبدالله بن سعد  
ابن أبي سرح ففتحها ثانية، وأجر أهلها على الخضوع والعودة إلى دفع الجزية  
بعدها منعوا.

الجهة الشرقية: غزا الوليد بن عقبة أفريجان وأرمينيا، وكان أهلها قد  
منعوا ما صالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيام عمر بن الخطاب، وكان على مقدمة  
الوليد سلمان بن ربيعة الباهلي، واضطر سكان المنطقتين إلى المصالحة من  
جديد.

وأمد أهل الكوفة أهل الشام بثمانية آلاف رجل بإمرة سلمان بن ربيعة  
الباهلي، وذلك عندما كان حبيب بن مسلمة بن خالد القهري يغزو أرمينيا من  
الغرب، فاجتمع له عدد كبير من جند الروم الأمر الذي أخافه وطلب المدد

وأحمد الوليد بن عتبة سلمان بن ربيعة الباهلي .

وسار أمير خراسان حمزة بن عثمان بن سعد غزالياً حتى وصل إلى فرغانة  
وذلك عام ٢٩ هـ ، كما سار في العام نفسه أمير سجستان عبد الله بن حمزة  
الذي قوسل إلى كابل ، وانطلق أمير كرمان عبيد الله بن معمر التميمي  
فوصل إلى نهر السند ، وانفض أهل اصطخر لسار إليهم عبيد الله بن  
كريب أمير البصرة ، وعل مقدمته عثمان بن أبي العاص .

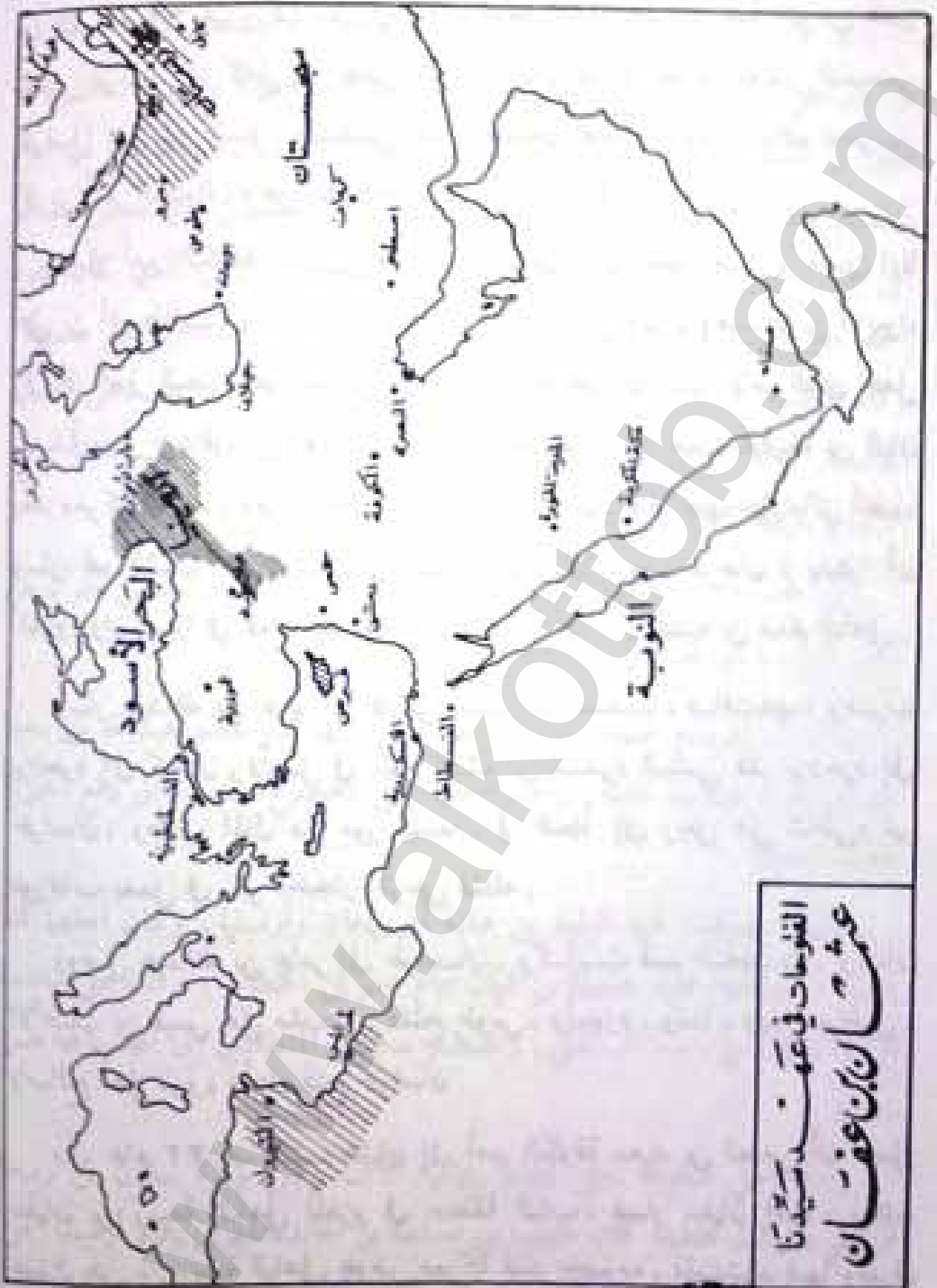
وسار أمير الكوفة سعيد بن العاص يريد خراسان ومعه الحسن والحسين ابنا  
علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ،  
إلا أن أمير البصرة عبيد الله بن عامر قد سبقه نحو خراسان الأمر الذي جعل  
سعيداً يسير إلى قومن وهي لا تزال على الصلح الذي أعطته خنيفة بن الهيثم  
بعد معركة نهاوند ، ومن قومن سار إلى جرجان فصالحه أهلها على مائتي ألف ،  
وسار نحو الشاه حتى وصل إلى الصحراء ، ولكن أهل جرجان لم يلبثوا أن  
كفروا واستمروا في قطع الطريق حتى نزل أمر خراسان فنية بن مسلم الباهلي .

وسار عبيد الله بن عامر إلى فارس بعد أن انتفضت ، فافتتحها وهرب  
يزدجرد إلى كرمان ، فأرسل في أثره عجاج بن مسعود السلمي ففر يزدجرد إلى  
خراسان ، وطلب المال من من قومه ، ثم التجأ إلى رجل على شاطئ نهر  
مورهاب يعمل في نقر أحجار الرحن فقتله .

ووصل عبيد الله بن عامر إلى خراسان ، وكانت قد انتفضت ، وكان  
الأحنف بن قيس على مقدمته ، ففتح طوس ، وأبيورد ، ونا ، وبلغ سرخس ،  
وصالح أهل مرو ، وأعاد فتح خراسان .

وفي عام ٣٢ هـ كتب عثمان إلى أمير الكوفة سعيد بن العاص أن أرسل  
سلمان بن ربيعة الباهلي للغزو في منطقة الباب ، فسار سلمان إليها ، وكان  
عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي يخوض معركة ضد خصومه ، فاستشهد فيها وتفرق





التطورات في عهد السيدنا  
عمر بن عبد العزيز

المسلمون هناك، فمنهم من سار إلى جيلان وجرجان ومنهم أبو هريرة وسلمان  
الفراسي، ومنهم من سار نحو سلمان بن ربيعة الباهلي فحماء، وكان على الحرب  
مع سلمان حذيفة بن اليمان، وطلب عثمان من أهل الشام في أرمينيا بأمره حبيب  
ابن مسلمة أن يتجدوا سلمان بن ربيعة الباهلي في منطقة الباب، ففعلوا.

وعادت خراسان فالتفتت من جديد فبعث عبدالله بن عامر الأحنفي بن  
قيس إلى مرو الروذ فصالح أهلها، واجتمع عليه أهل (الطالقان) و(فارباب)  
و(الجوزجان) و(طخارستان) فانتصر عليهم بإذن الله، وصالح أهل (بلخ)،  
وأرسل الأقرج بن حابس إلى (الجوزجان) ففتحها. ثم عاد الأحنفي إلى  
خراسان مرة ثالثة في عام ٣٣ هـ.

وهكذا فقد كانت الفتوحات أيام سيدنا عثمان بن عفان واسعة إذ أضافت  
بلاداً جديدة في إفريقية وقبرص وأرمينيا، وأجبرت من نقض العهد إلى  
الصالح من جديد في فارس وخراسان وباب الأبواب، وضمت هناك إضافة إلى  
ذلك فتوحات جديدة في بلاد الهند وكابل وفرغانة.

[www.alkottob.com](http://www.alkottob.com)

## المجتمع الإسلامي أيام عثمان

كان المجتمع الإسلامي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاضلاً ومتأسكاً، ولم يختلف يوم تولي الأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه، إن لم نقل أن الرضا كان من عثمان أكثر من عمر لبته، وقد ملّ المجتمع الحزم، ولرفقه وقد تعب الناس من الشدة وإن حاول الكثير إظهار الخلاف الكبير بين العهدين، والرضا بعهد عمر، وانقاص حتى عهد عثمان. ولم يكن للشورى التي أوصلت عثمان إلى الخلافة أي أثر في المجتمع، إذ نمت بشكل طبيعي ودون أن يحاول أحد رجالها أن يسمي للحكم أو يعمل، فعبد الرحمن بن عوف - كما نعلم - سلخ نفسه منها، والزبير رشح غيره، وكذا سعد، ولم يبق إلا علي وهو رجل زاهد فيها من البداية إلى النهاية، وبابح عثمان كما بابح غيره، ولم يختلف أحد من المسلمين.

إلا أن المشكلة التي كثر البحث فيها هي قتل الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة على يد عبيد الله بن عمر، فالحادثة التي قتل فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جريمة سياسية اشتركت فيها أطراف متعددة من مجوس ويهود ونصارى... بعضهم كان يظهر الإسلام، وبعضهم من بلاد ثانية كان لهم دور في التخطيط للقتل... والمشاركون فيها لا بد من قتلهم قصاصاً ووضعاً للمحد من جرائم القتل وعبث أعداء الإسلام بأهله، إلا أن القتل لا بد من أن يكون برأي الخليفة حتى لا يكون تعدي على صلاحيات صاحب الأمر، وحتى لا يفلت

زمام الأمر، ويقوم بتنفيذ الأحكام كل امرئ حسب رأيه وهوام باسم إقامة الحدود... ولما قام بالأمر عبيد الله بن عمر فلا بد من حسابه، ولكن الخليفة أيضاً هو الذي يحاسبه وينظر في أمره وليس سوى ذلك، لذا فقد حُسي عبيد الله بانتظار رأي الخليفة الجديد، فلما تولى عثمان كانت هذه أول مشكلة واجهته، ولا بد من إقامة الحد وهو القتل، وهذا ما أشار به علي بن أبي طالب وعدد من الصحابة، وقد صعب على عدد آخر أن يقتل عمر بن الخطاب بالأسس بأيدٍ قنطرة واليوم يقتل ابنه، إلا أن المسلم لا يقتل بغير المسلم، وشك الناس في إسلام الهرمزان لذا فقد عرضوا على عثمان أن يكون هو ولي أمر المقتولين بصفتهم عرباء، وأن يدفع الدية من بيت المال وتعود، إذ أن بعضهم لا أولياء لهم، وفكر بعضهم أن يقوم الخليفة بدفع الدية من ماله الخاص، وعلى كلٍ فإن الخليفة لا يمكن أن يقبل بهذا النحابل لتعطيل حدٍ من حدود الله، ولكنه دفع عبيد الله بن عمر إلى القمادان بن الهرمزان ليقتله بابه، إذ هدأ الهرمزان مسلماً، فيقول القمادان: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي، ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آتس به، فأراه رجل، فلما أصيب عمر، قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز. فأقبل عبيد الله فقتله، ولما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بني، هذا قاتل أبيك، وأنت أول به منه، فاذهب فاقتله، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه. فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم. وسبوا عبيد الله. فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه فتركته لله ولهم. فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم<sup>(١)</sup>. وبهذا فقد عفا صاحب الحق، وعندما قام عثمان بدفع الدية من ماله الخاص، أما الذين لا أولياء لهم فالخليفة هو وليهم،

(١) تاريخ الطبري، الجزء الرابع.

وقد دفع الدية لهم ثم ردت إلى بيت المال . وهكذا حلت هذه المشكلة بطريقة سليمة ، وانقطع الحديث فيها ، وعاد للمجتمع تماسكه ورجع فافضلاً كما كان ، إلا أنه مع الزمن بدأ يفقد مقوماته تدريجياً ، وهذا الأمر يعود لأسباب منها ما يتعلق بالخليفة بالذات ، ومنها ما يتعلق بتغير الظروف ، ومنها ما يتعلق بالسياسة التي سار عليها .

كان عمر بن الخطاب حازماً شديداً على أمرائه وهذا ما أخاف الناس وجعل له هبة بينهم بحيث لا يجرؤ أحد على مخالفته ، فقد روى ابن الجوزي : أن عمر قدم مكة ، فأقبل أهلها يسعون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن أبا سفيان ابني داراً فحبس سبل الماء ليهدم منازلنا ، فأقبل عمر ومعه الدرة فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً ، فقال عمر : ارفع هذا ، فرفعه ثم قال : وهذا ، وهذا ، حتى رفع أحجاراً كثيرة خبة أوستة ، ثم استقبل عمر الكعبة فقال : الحمد لله الذي يجعل عمر يأمر أبا سفيان بيطن مكة فيطيعه .

وروى الطبري : أن عمر رضي الله عنه جاءه مال ، فجلس يقسمه بين الناس فزادحوا عليه ، فأقبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يزاحم الناس حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرة ، وقال : أقيمت لا تناب سلطان الله في الأرض ، فأحييت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهلك .

أما عثمان فقد كان ليناً للناس الأمر الذي أطعهم فيه ، وطالبوه بأشياء كثيرة منها عزل الولاة ، فقد عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله وولى الوليد بن عقبة ، ثم عزله وولى سعيد بن العاص ، ثم عزله وولى أبا موسى الأشعري . وعزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وولى عليها عبدالله بن عامر بن كريز . وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح . كما كان ليناً على الولاة فتناول بعضهم عليه . فعثمان رضي الله عنه كان بطيحه ليناً ، وعمر بطيحه حازماً .

واشتد عمر على أهله ، فكان إذا نسي عن شيء جمع أهله فقال لهم : إلى نهيته الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم ، فإن وقعتم ووقعوا ، وإن هبتم هابوا ، إلى والله لا أوتى برجل منكم وقع لها نهيته الناس عنه إلا اضعفت له العذاب لمكانه مني ، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر ، أما سيدنا عثمان فقد كان ليناً على أهله وأقربائه كما كان لنا للناس جميعاً ، بل الأولى والأخرى أن يكون ذا رفق بهذي رحمه ، وبوم قامت الدولة الإسلامية كان ينفق ما شاء الله أن ينفق على الدولة وتجهيز الجيوش ، وإعداد الغزوة ، فلما قامت الفتوحات ، وجاءت الغنائم والفيء ، وأصبحت الدولة بحالة غنى وثراء التفت عثمان إلى أقربائه يعطيهم وينتقرب إليهم ويقربهم ، وهذا أمر محب ومطلوب يصل الإنسان رحمه ، فهذا اللين لهم قد أطمعهم فيه أيضاً ، وولى بعضهم لقدرته على العمل ، وكفائتهم في الأمانة ، وقد كان بعضهم صاحب ولاية من قبل عثمان ، وقد عرف رضي الله عنه أنه يحب اقرباءه لدرجة كبيرة .

عندما تولى عمر رضي الله عنه الخلافة كانت ماديات الدولة لا تزال ضعيفة وأحوال الناس المالية لا تزال قلبية ، لذا كانوا أقرب إلى الحياة البسيطة الهادئة ، والرضا بكل ما يأتي ، والصبر على الشدائد ، وقبول أوامر الولاة والأمراء ، إضافة إلى انشغالهم بالجهاد والسير إلى الثغور والانطلاق من وراء الفتوحات في سبيل الدعوة ونشر الإسلام ، فلما توسعت الدولة ، وجاءتها الغنائم من كل جهة ، وزعمت الغنائم على المقاتلين ، وأعطيت الأموال إلى الناس حتى كثرت بأيديهم ، وبطبيعة الحال فإن سيدنا عثمان كان يعطي ويوزع ما في بيت المال لكثرة ما يدخل ، ولحاله وكرمه المعروفين ، بل كان أحياناً يعطي من ماله الخاص إن لم يكن في بيت المال من فائض ، وهذا ما جعل الحال تتغير تدريجياً عن أيام عمر حتى أواخر عهد عثمان حتى زادت زاوية التغير انفراجاً ووصلت إلى درجة واسعة نسبياً في نهاية أيام عثمان .

وجاءت الفتوحات وحملت العرب والمسلمين الى الأقطار يجاهدون في  
سبيل الله، ومنهم من بقي في الثغور، ومنهم من يستقر في البلاد التي مضرت  
ليكون قريباً من ساحات القتال، وهناك بيتي داراً له، ويتخذ لنفسه أسرة،  
وليسوا هؤلاء كلهم من صحابة رسول الله ﷺ الذين اهدوا بهديه فساروا  
على نهجه وإنما كثير منهم من الأعراب من نيم وكندة وقضاة وكتب وباهلة  
وعبدالقيس وبكر بن وائل، وكانت لهم في الفتوحات يد فكانوا يشعرون بأن  
لهم فضلاً ما للسابقين، ولم قوة يجب أن يحسب لها حساب، ورأي يجب أن  
يسمع بل ويؤخذ به، وكثرت بأيديهم الأموال - كما ذكرنا - فعندما يتوقف  
الغزو سيكون أمرهم صعباً، وأخذهم بالحزم مشكلة - وفي الوقت نفسه قل  
سكان المدن في الجزيرة وبخاصة مدينة الرسول ﷺ إلا أنه قد جاءها نتيجة  
الفتوح الموالى والأرقاء فتغيرت طبيعتها الأولى التي كانت مشابهة، وأقرب إلى  
البساطة وأميل إلى البداوة، فأصبحت متنوعة تنوع من جاء إليها ومختلفة  
باختلاف حضارات الذين دخلوا إليها، وهذا ما جعل لمنازلاً بين السكان من  
بيئات متباينة جعلت في النهاية سياستها صعبة أو على الأقل تختلف عما كانت  
عليه، وينظر الناس بعضهم إلى بعض نظرات متباينة يكاد ينشأ عنها نوع من  
الطبقات لا يعرفها الإسلام ولا يتقربها، وفي هذه الأثناء تظاهر جماعات  
بالإسلام، وفي نفوسهم شيء يريدون أن يحققوه ومنهم عبدالله بن سبأ المعروف  
بأبي السوداء وهو من يهود صنعاء، ومعروف ما يريده اليهود، ومعروف  
مكرهم، وقد رأى أن تظاهرة بالإسلام يرفعه الى مستوى المسلمين جميعاً، إذ  
ليس في الإسلام طبقات وفروق اللهم إلا ما كان في الاعطيات لأصحاب  
السابقة من المهاجرين والأنصار ومن شهد بدراً، والإسلام يجب ما قبله.

كان عمر بن الخطاب قد منع كبار الصحابة من الخروج من المدينة،  
وأبقاهم بجانبه ليكونوا مستشارين له، وحتى يبقوا أسمى من مغريات الدنيا  
التي تعترض سبيلهم في البلاد المفتوحة، وخوفاً على المسلمين الذين يدخلون في



الإسلام جديداً من أهل الأمصار من أن يفتنوا هؤلاء الصحابة فيقولون: هؤلاء صحابة سيد الخلق، وصحابة رسول الله و... وقال لهم رضي الله عنه: كفاكم ما جاهدتم به مع رسول الله ﷺ، فلما جاء عثمان بن عفان سمع لهم بالانتساح في أرض الله، والانتلاق أينما شاءوا، وقد زاد حالهم وكثرت أملاكهم، وبنوا الدور في الأمصار، فقد بنى الزبير بن العوام داراً له بالبصرة وغيرها في الكوفة ومصر، وبنى طلحة بن عبيدالله داراً له في الكوفة، وكانوا ينتقلون بين أملاكهم وضياعهم، وهذا بالإضافة إلى ما بناه عبدالرحمن بن عوف في المدينة وزيد بن ثابت وغيرهم، وارتبط أهل الأمصار بمن كان يتصل بهم ويحتمك معهم من صحابة رسول الله ﷺ.

وهكذا تغير المجتمع في عهد عثمان بن عفان، إلا أنه رضي الله عنه لم يتغير ولم يبدل، ولم يحدث جديداً، ولم يبتعد عن سيرة رسول الله ﷺ، ولا عن نهج الشيخين من قبله، وإنما لبته وحببه لأقربائه وكرمه في العطاء قد أطمع فيه فكثر القول، ووجود الموالى والأرقاء في المدينة والصحابة خارجها قد شجع أصحاب الأهواء البدء في العمل بالخفاء، وكثرة الأموال في أيدي الناس واكتفاؤهم قد جعل الألسنة تتكلم وبدأ الحديث عن الخليفة نقطة انطلاق والتهديم في المجتمع بدء ارتكاز.

بدأت الفتنة عندما أشعلها عبدالله بن سبا (ابن السوداء)، وهو من يهود صنعاء، وكانت أمه سوداء، لذا عُرف بذلك، وقد أسلم أيام عثمان ليستطيع التأثير على نفوس أولئك الأعراب والبداءة والذين دانوا حديثاً بالإسلام من سكان الأمصار، إذ تنقل في بلدان المسلمين فبدأ بالحجاز، ثم سار إلى البصرة، ومنها إلى الكوفة، ثم إلى الشام، إلا أنه لم يستطع التأثير على أحد من أهل الشام، وبعدها أخرجوه إلى مصر حيث استقر هناك، وكان في كل مكان يجل فيه يتصل بالأشخاص ويتحدث إليهم ويبيد نفهمه للإسلام، ويُظهر معرفته، ويقف موقف العالم، فيقول: عجيب من يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن

مجدداً يرجع ، والله سبحانه وتعالى يقول : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك  
 إلى معاد » . فمحمد أحق بالعودة والرجوع من عيسى . وهكذا بدأ بالتشكيك  
 في العقيدة ، والناس على فطرتهم حديثو العهد بالإسلام في الأمصار لا يعرفون  
 الفلسفات والمناقشات ، والبدو الذين يعيشون معهم أكثر جلافة وإذا اقتنعوا  
 بشيء صعب استخلصوه من نفوسهم بالأمر السهل . ورأى هذا اليهودي أن  
 علي بن أبي طالب على رأس الصحابة الذين بقوا من حيث الاحترام والتقدير ،  
 بل يعد الشخص الثاني بعد الخليفة . وله عند الشيخين مركز ووزن ينشأ في  
 كل أمر ، ويدعى في كل معضلة ، ويؤخذ رأيه في كل مشكلة ، هذا بالإضافة  
 إلى قرابته من رسول الله ﷺ وعلمه وفهمه ، لذا رأى هذا الخبيث أن يركز  
 على هذا الصحابي الجليل ، وأن يدعو له لا حياً به وتقديراً ، وإنما لبذر الفتنة  
 في المجتمع ، وحتى لا يعرف مخططه فظهر أنه يدعو للشك والريبة ، فدعونه  
 لأحد البارزين من الصحابة تخفي ما بضمير ، وتقربه من نفوس بعض الرجال  
 الذين يعرفون قدر علي . فكان يقول : إن علياً هو وصي محمد ﷺ ، فإن لكل  
 نبي وصياً . ثم انتقل بعد بذر الفتنة والقاء جذور البلاء في المجتمع يطعن  
 بالخليفة نفسه وبولائه وامرائه وأنهم دون الصحابة الأجلاء ، وأنهم لم يحتلوا  
 هذه المراكز إلا لكونهم من ذوي رحم الخليفة الذي بلغ من العمر عتياً وأنهم  
 قد أتروا عليه ، وأصبح أداة طيعة في أيديهم ، مع العلم أن إمرة المفضل نصح  
 مع وجود الفاضل ، وأن إمارة القوى المسلم خير من إمارة المؤمن النقي الورع  
 إذا لم يكن في قوة ذلك ، إضافة إلى أن أكثر ولاية سيدنا عثمان كانوا قد  
 تسلعوا الإمارة أيام سيدنا عمر . . .

ظهرت بذور الشر أول ما ظهرت في الكوفة إذ بدأ الحديث عن الوالي  
 سعيد بن العاص حتى وصل إلى الخليفة . وذلك على السنة العوام وأولئك البداة  
 والذين داتوا بالإسلام ، ومن هؤلاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي وثابت  
 ابن قيس النخعي ، وكميل بن زياد النخعي ، وزياد بن صوحان العبدي ،

وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد،  
وعمر بن الحمق الخزاعي، وأمثالهم من أهل الصحراء والقبائل. وكان ذلك  
في أواخر عهد سيدنا عثمان، وبعد مرور عشر سنوات على تسلمه الخلافة،  
وفي عام ٣٤ هـ، سَير هؤلاء المنحرفون من الكوفة إلى الشام، إلا أنهم رَدُّوا  
مرة ثانية إلى الكوفة، فقالوا: إن الكوفة والشام ليستا لنا بدار، فاتجهوا إلى  
الجزيرة، فشدد عليهم واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وسَير الأشتر إلى  
المدينة، فخيرته الخليفة في المكان الذي يرغب سكناه، فاختار منطقة  
عبدالرحمن بن خالد، وسار إليه. وكان ابن السوداء في مصر يرسل من أثر  
عليهم في كل الأمصار، ويزيد في اضرام نار الفتنة.

جمع الخليفة عثمان بن عفان أمراء الأمصار في موسم الحج عام ٣٤ هـ  
وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص، وعبدالله بن سعد بن أبي  
سرح، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن عامر، واستشارهم في أمر هؤلاء  
المنحرفين، وما يتكلمون به، فأشهر عليه بأن ينقل هؤلاء المنحرفين إلى الثغور  
فينشغلوا بأنفسهم كما اقترح عليه عدم إعطائهم الأعطيات حتى يرتضخوا  
للأمر ويُطيعوا. ولكنه لم ير هذا الرأي ولا ذاك. ولما كثرت الكلام عن سعيد  
ابن العاص أمير الكوفة، والمطالبة بأبي موسى الأشعري بدلاً عنه، استجاب  
الخليفة للطلب فعزل سعيداً وولى أبا موسى مكانه، وكتب لأهل الكوفة، أما  
بعد، فقد أمرت عليكم من اخترتم، وأعفيكم من سعيد، والله لأفرشكنكم  
عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم مجهدي، فلا تدعوا شيئاً  
أحببتموه لا يُعصى الله فيه إلا سألتهم، ولا شيئاً لا يُعصى الله فيه إلا  
استعفتهم منه، أنزل فيه عندما أحببتهم حتى لا يكون لكم على حجة. وفي  
الوقت نفسه سار حذيفة بن اليان غازیاً إلى باب الأبواب.

لم تغد المخربين أعمال الخليفة ولينهم بل استمروا في تصرفاتهم وكلامهم،  
فأرسل الخليفة بعض الصحابة إلى الأمصار يستطلعونه آراء الناس، ويعرفون

أخبار المسلمين وموقفهم، فقد بعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبدالله بن عمر إلى الشام، وعقار بن ياسر إلى مصر، ورجالاً آخرين سواهم، فرجع الجميع ولم ينكروا شيئاً، إلا عقار بن ياسر فقد تأخر واستمع إلى ما كان يشاع.

وجاء وفد من مصر في رجب عام ٣٥ هـ إلى الحجاز يظهرين أنهم يريدون العمرة، وفي نيتهم مناظرة الخليفة ومناقشته في المدينة ليلة الأربعاء واشغال دار الفتنة، وتمت مقابلة الخليفة، وأهدى رأيه، واقنع الوفد خارج المدينة بنفسه أو بواسطة بعض الصحابة منهم علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة، ودخل بعضهم المدينة، وحضر خطبة للخليفة أثنى فيها على الوفد، واستغفر الله، وبكى وأبكى الناس، وانصرف المصريون راجعين إلى بلادهم.

إلا أن أهل مصر عندما رجعوا بدؤوا يحرّضون الأمصار على التوجه إلى المدينة وإظهار الشكوى والتأفف من العمال والأوضاع العامة لأن المدينة أحرى بالفوضى أن تؤثر فيها، إذ أنها مقر الدولة ومركز الخليفة ومكان الصحابة ومدينة رسول الله ﷺ، ثم اتفقوا على أن يسيروا إلى المدينة في شهر شوال في ذلك العام، وأن يكون مسيرهم مع الحجاج لمناظرة الصحابة، وإمكانية نشر الفساد على نطاق أوسع. وانطلق أهل مصر وعددهم ٦٠٠ - ١٠٠٠ رجل، وفي الوقت نفسه انطلق أهل الكوفة وأهل البصرة، وقد خرجت كل جماعة على شكل فرق أربع، وعلى كل فرقة أمير، وعلى الجميع أمير، فالأمر يبدو على تخطيط وتنظيم واحد دقيق، وكان على أهل مصر الغافقي بن حرب العكي، ومعهم ابن السوداء، وهم يريدون البيعة لعلي بن أبي طالب، وعلى أهل الكوفة عمرو بن الأصم، ومعهم زيد بن صوحان العبدي، وعلى أهل البصرة حرقوص ابن زهير السعدي، ومعهم حكيم بن جبلة العبدي. وبمسيرهم مع الحجاج لم يعلم الأمراء عدد الناقمين، ولم يكونوا ليتصوروا أن هذه الشرذمة قادرة أو تفكر بقتل الخليفة أو تحرّره على القيام بهذا العمل في دار الهجرة، لذا لم يبذلوا جهداً

بإرسال قوة تحول دون خروجهم، أو تسير إلى المدينة لتضع أمير المؤمنين،  
ووصل المتحرفون إلى مقرية من المدينة، فنزل المصريون بذي المروة، ونزل  
أهل الكوفة بالأحوص، واستقر أهل البصرة بذي الخشب.

وسمع أهل المدينة بما يحدث، وأبوا أن تقتحم عليهم المدينة، وتكلموا لي  
الأمر، وحدثت الخليفة علياً في أن يركب ويركب معه المسلمون ليمنعوا  
المتحرفين من دخول المدينة عنوة ففعل وخرج معه طلحة والزبير وعبد بن  
مسلمة وكبار الصحابة، ولما رأى المتحرفون استعداد الصحابة للدفاع عن دار  
الهِجْرَة وقع الخوف في نفوسهم، فعندما كلمهم علي أظهروا الطاعة والخضوع،  
وأبدوا الرغبة في العودة إلى أمصارهم والهدوء فيها، وبالفعل فقد رجعوا  
أندراجهم، وظن علي والمسلمون أن الخطر قد زال عن دار الهجرة فعادوا  
إليها، ولم يستقروا فيها حتى أروعهم النكير داخل أزقتها، ومحاصرة دار  
سيدنا عثمان، وعندما سأهم سيدنا علي عن سبب رجوعهم قالوا: إن الخليفة قد  
أرسل كتاباً لقتلنا، وأظهر أهل مصر كتاباً فيه قتل عبد بن أبي بكر، قال علي:  
فما بال أهل الكوفة قد عادوا؟ فقالوا: تضامنا مع رفاقنا، وكذا أهل البصرة،  
لكن من الذي أخبر كل فريق بما حدث مع الآخر؟ وهنا يبدو الاتفاق المسبق  
والتخطيط لدخول المدينة على حين غفلة من أهلها، وهنا يظهر تلفيق الكتاب  
الذي أظهره المصريون.

كان حصار دار عثمان يسيراً حيث كان يخرج الخليفة ويصلي بالناس،  
ويأتي الصحابة إليه، ويأتي إليهم. ثم بعث إلى العمال في الأمصار بأمرهم أن  
يرسلوا إليه الجند لينصروه، ويخرجوا من المدينة هؤلاء الطائفتين، وعندما  
عرف المتحرفون هذا الخبر، وأن حبيب بن مسلمة قد سار من الشام، ومعاوية  
ابن حديج من مصر، والقعقاع بن عمرو من الكوفة، وبجاشع السلمى من  
البصرة، وكل على رأس قوة لنصرة الخليفة تغير حصار الدار واشتد عمل  
المتحرفين.

وخرج عثمان كعادته إلى الصلاة، يوم الجمعة، وخطب، وخطاب  
المخربين، فقام محمد بن مسلمة فشهد على قوله فأسكته حكيم بن جبلة، وتكلم  
زيد بن ثابت فأسكته محمد بن أبي قنبرة، وثار الناس، وحصب بعضهم بعضاً،  
وأصيب عثمان، وأغمي عليه، ونقل إلى داره، وثار الصحابة وأبناءهم ومنهم  
الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت وغيرهم،  
وأرادوا قتال المنحرفين إلا أن الخليفة قد منعهم، وأراد ألا يحدث شيء  
بسيه، وزار بعد ذلك عثمان كلا من علي وطلحة والزبير، ثم عاد فدخل بيته،  
وشدّد عليه الحصار فلم يعد يخرج أبداً حتى كان يوم استشهاده رضي الله عنه .

أقام المنحرفون رجلاً منهم يصلي بالناس وهو زعيم المصريين الغافقي بن  
حرب العكي، وإذا وجد علي أو طلحة صلى بالناس أحدهما . ومنع الماء عن  
الخليفة، فأرسل إلى علي وطلحة والزبير وعائشة وأمّهات المؤمنين فأسغفهن علي  
وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان . وزجر علي الثائرين فلم يرمعوا، وكان بين  
الحين والآخر يطل الخليفة بنفسه على أولئك المنحرفين المحاصرين له فيعظهم،  
ولكن لا يأمرون لأحد حتى أن أم حبيبة لم تستطع الوصول إليه لإسفافه بالماء،  
إذ ضربوا وجه بغلتها وكادت تسقط عنها، وهذا ما ألزم الناس بيوتهم لا  
يخرج منهم أحد إلا ومعه سيفه، إذ اختل نظام الأمن في دار الهجرة، ودخل  
دار عثمان بعض أبناء الصحابة فيهم: عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر  
وعبدالله بن الزبير والحسن والحسين ابنا علي، ومحمد بن طلحة وغيرهم، وطلب  
منهم عثمان ألا يقاتلوا، وعزم عليهم في ذلك أشد العزيمة .

سارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى الحج، وطلب عثمان من ابن  
عباس أن يحج بالناس هذا العام، وكان على الباب مع أبناء الصحابة، فأراد أن  
يبقى مجاهداً إلا أن عثمان أصرّ عليه فخرج إلى الحج .

وصلت الأخبار إلى المدينة بأن الامداد قد دنت من المدينة، وأن من جاء  
منها من الشام قد وصل إلى وادي القرى فخاف المنحرفون، وأرادوا دخول

الدار على عثمان فمنعهم من فيها : الحسن بن علي ، وعبدالله بن الزبير ، ومحمد بن طلحة ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص وغيرهم ، فتصوروا الدار من خوذة بينها وبين دار عمر بن حزم ، ثم أحرقوا باب الدار ، وسيدنا عثمان يقسم على أبناء الصحابة أن يلقوا سيوفهم حتى ألقاها بعضهم ، وهجم المنحرفون على الخليفة ، فضربه الغافقي بن حرب العكي بجديدة ، ثم ضرب قتيبة بن حمران زوج الخليفة نائلة التي رفعت يدها تدافع عن زوجها فقطع أصابعها ثم ضرب الخليفة أخوه سودان بن حمران السكوني ، وكذلك كنانة بن بشر بن عتاب النجبي فقتل رضي الله عنه ، وقيل بل قتله عمرو بن الحمق ، وقتل غلام لعثمان سودان بن حمران فقتل قتيبة الغلام ، ثم قتل غلام آخر لعثمان قتيبة ، ونهبت الدار ، كما نهب بيت المال ، وكان أمر الله قادراً مقدوراً . وكان قتل الخليفة الراشدي الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في ١٨ ذي الحجة من عام ٣٥ من هجرة المصطفى ﷺ ، وبذا تكون مدة خلافته اثني عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وثمانين سنة .

وعاد الحجاج فوجدوا خليفتهم مقتولا رضي الله عنه ، والأمن غير مستتب .

وسيدنا عثمان هو الذي اشترى بئر أرومة وجعلها للمسلمين ، وجمع القرآن الكريم ، وأول من وسع مسجد رسول الله ﷺ ، استجابة لرغبة رسول الله حين ضاق المسجد بأهله ، وله من الفضائل الكثيرة رضي الله عنه .

## الباب الرابع

علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه



## الفصل الأول

### حَيَاتُهُ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله ﷺ،  
وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها، أحد الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة  
المبشرين بالجنة، ومن أئمة الذين أسلموا.

ولد في سنة ٢٣ قبل الهجرة فهو أصغر من رسول الله بثلاثين عاماً، أبوه  
عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم ويكنى بأبي طالب وبذلك اشتهر، وهو عم  
رسول الله وشقيق أبيه، بعد أحد شيوخ قريش، دافع عن رسول الله وحماه،  
ودافع عن المسلمين، ولم يسلم فوات كافرين. وأم علي هي فاطمة بنت أسد بن  
هاشم بن عبد مناف أسلمت وهاجرت. نشأ علي في بيت رسول الله ﷺ، إذ  
كان أبو طالب فقيراً كثير العيال، فكلم رسول الله ﷺ أعمامه في أخيهم أبي  
طالب ومساعدته، فذهبوا إليه، وطلبوا منه تربية بعض ولده، فقال لهم: خذوا  
من شئتم ودعوا لي عقيلاً، فأخذ رسول الله علياً، وأخذ العباس جعفرأ.

بعث رسول الله ﷺ فأخبر أهل بيته ومنهم علي فأسلم، ولم يبلغ العاشرة  
بعد، وبعد أول من أسلم من الأولاد، ومن السابقين للإسلام، ولم يعرف وثنية،  
فهو قد نشأ على الإسلام. ولما هاجر رسول الله ﷺ بات مكانه في فراشه،  
يسلم الودائع والأمانات التي كانت عند ابن عمه لأصحابها، وكان عمره قريباً  
من الثالثة والعشرين، ثم هاجر. ولما بدأت المعارك بين المسلمين وأعدائهم كان

بطلها وأشد الناس على الخصوم . ففي السنة الثانية من الهجرة جرت معركة بدر الكبرى فكان بين المنارزين فقتل الوليد بن عتبة ، وشارك معه الحمزة في قتل عتبة بن ربيعة ، وبعد المعركة بنى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولم يكن في غزوة أحد بأقل من سابقها ، وكان هو وضع حمزة في كتفها وكل منها أسداً مصوراً يحول في ميدان المعركة ، وأبنا حمي الوطيس تجده ، ثم عندما يزدحم الرجال لا يلبث أن يتفرق جمعهم ويكون هو المبدد لهم قتلاً وتشريداً . وفي غزوة الخندق وقف مع المسلمين مدافعاً وعندما قطع بعض المشركين الخندق ومنهم البطل العربي الجاهلي عمرو بن ود العامري الذي وجلت الأبطال عن منازلته تصدى له علي وقتله ففكر المسلمون ، وعرف رسول الله ﷺ أن علياً قد قتل عمراً ، وشهد بيعة الرضوان ، وحل لواء المسلمين يوم خيبر ، وبقي في المدينة أميراً عليها يوم غزوة تبوك . وأرسله رسول الله ﷺ في السنة التاسعة وراء أبي بكر الذي حج في الناس ذلك العام لينزل على المسلمين سورة (براءة) التي أنزلت بعد خروج المسلمين حجاجاً . توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، وكان يتوكأ عليه يوم مرضه ، وقد شغل بدنه .

بايع المسلمون أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان علي من أوائل الذين بايعوا ، إلا أنه شغل بنصره زوجته فاطمة بنت رسول الله التي أصابها المرض إثر وفاة أبيها عليه الصلاة والسلام ، فكان يحضر الجماعة ، ويعود إلى زوجته حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها رسول الله ﷺ ، إلا أن أبا بكر كان يدعو له ليشتبهه في بعض الأمور ، وبعد وفاة زوجته كان مع الصديق في كل أمر وبخاصة عندما كان أمر المرتدين والذين امتنعوا عن الزكاة وهاجروا المدينة ، وتولى الصديق وهو عن راض .

اختار الصديق للمسلمين عمر بن الخطاب ، فكان علي أول المبايعين ، بل صرخ لا تقبل إلا أن يكون عمر عندما سأل أبو بكر المسلمين هل ترضون من اخترت لكم ؟ وكان علي بجانب عمر وقاضيه ، فعصر بقول : أبو الحسن

أفضانا، وأمير المدينة إذا خرج عمر منها، والمستشار الذي يؤخذ برأيه، وقد  
زوج ابنته أم كلثوم لعمر، وعندما طعن عمر كان علي أحد رجال الثوري  
الذين اختارهم عمر ليكون أحدهم خليفة للمسلمين، وكان عمر يقول: لو  
ولوها الأجلح لأخدمهم على الجادة، وكان أشبه الناس بعمر في حزمه وحكمته  
وعدم الخوف في الله لومة لائم.

وكان عثمان بن عفان أميراً للمؤمنين بعد عمر بن الخطاب فبايعه علي،  
وكان بحاله بدلي برأيه، وعثمان يستشيره، ولما حوصر عثمان بقي بحاله، وكان  
أولاد علي من المدافعين عن عثمان أثناء ذلك الحصار، وبعد مقتل عثمان اختاره  
المسلمون أميراً لهم، فلم يقل وأحب أن يكون وزيراً من أن يكون أميراً إلا  
أن الصحابة قد أمروا عليه للخلاص من المأزق الذي وقعوا فيه، ولم يجد بداً  
من القبول للسب لنفسه، فقبل وهو زاهد بالإمارة، وتحمل المسؤولية وهو غير  
راغب بها.

واختلطت الأمور على المسلمين فاعتزل بعض الصحابة، ولم يبايع بعضهم،  
وكانت الشام بأمرة معاوية بن أبي سفيان، ولم يبايع حتى يستقر الوضع، فكان  
أن جرت معارك بين الطرفين بأسف المسلمين لها... وأخيراً استشهد رضي  
الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ، وهو يصل الفجر على بند أحد الخوارج  
وهو عبدالرحمن بن ملجم الحميري. وصل عليه ابنه الحسن.

تزوج رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ في السنة الثانية من  
الهجرة، ولم يتزوج غيرها أثناء حياتها، فلما توفيت في السنة الحادية عشرة،  
تزوج أم البنين بنت حرام الكلابية فولدت له العباس، وجعفر وأبيد الله وعثمان،  
وقد استشهدوا جميعهم مع أخيهما الحسين في معركة كربلاء، ولا عقب لهم  
سوى العباس. وتزوج ليل بنت مسعود التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر  
وقد استشهدا مع أخيها الحسين في كربلاء، ولا عقب لها. وتزوج أسماء بنت  
عميس الخثعمية وكانت تحت أخيه جعفر، فلما استشهد في مؤنة تزوجها أبو

بكر الصديق، وأنجبت له محمد بن أبي بكر، فلما توفي أبو بكر تزوجها علي فولدت له يحيى ومحمد الأصغر وهونا، وليس لهم عقب أيضاً. وتزوج أم حبة بنت زمعة التغلبية وهي من سبي خالد بن الوليد حين أغار على عين التمر في العراق، وأنجبت له عمر وتوفي وعمره خمسة وثلاثون عاماً وله عقب، ورقية وتزوج أم سعيد بنت عمرو بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى. وتزوج أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وهي ابنة أخت فاطمة إذ أن أمها زينب الكبرى من بنات رسول الله ﷺ فولدت له محمد الأوسط. وتزوج خولة بنت جعفر الحنفية وهي من سبي خالد بن الوليد في حروب الردة فولدت له محمد الأكبر وهو المعروف بمحمد بن الحنفية.

ومات رضي الله عنه عن أربع نسوة ونسب عشرة سرية، فمن بناته اللواتي لا تعرف أمهاتهن: أم هانئ، وميمونة، زينب الصغرى، رملة الصغرى، أم كلثوم الصغرى، فاطمة، أمامة، خديجة، أم الكرام، أم جعفر، أم سلمة، جمانة.

وجميع ولد علي أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة أنثى، وأكثرهم قتل مع الحسين في كربلاء، وعقبه محصور في خة منهم هم: الحسن، والحسين عن طريق علي زين العابدين، ومحمد بن الحنفية، والعباس، وعمر.

وقبره غير معروف لبعضهم يقول: إنه دفن بالكوفة، ثم نقله أبناؤه إلى المدينة، ومنهم من يقول: حمل علي بعير فضل البعير، فوجدته جماعة فظنوا أنه يحمل مالا فسرقوه فلما فتحوا الصندوق وجدوا فيه جثة فدفنوها في جبل طيء، وكثرت الروايات في هذا، أما من يؤكد: إن قبره في النجف فلا سند له في ذلك.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل سيدنا علي رضي الله عنه:



## الفصل الثاني

### بِعِنته

بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه بقيت المدينة بلا أمير، وكان زعيم المنحرفين المصريين الغافقي بن حرب العكي هو الذي يدير شؤونها، وأتباعه هم الذين يسيطرون على أمورها، وأهلها وجلهم من الصحابة وأبنائهم لا يقدرّون على فعل شيء، واستمر ذلك نحو خمسة أيام، إلا أنه لا بد من خليفة ليعود الوضع إلى طبيعته، ويرجع الأعراب إلى بواديهم، ويؤوب المنحرفون إلى أمصارهم، والأمر يرجع في هذا إلى السابقين من المهاجرين والأنصار، لذا لا بد من اختيار أحدهم.

كان المنحرفون متفقين على الانتهاء من الخليفة السابق، وقد تم لهم ذلك، إلا أنهم غير متفقين على الخليفة الجديد، وأهوازهم شتى، فالمصريون يميلون إلى علي بن أبي طالب ولكنه لا يوافقهم بل وينتعد عنهم، والبصريون هواهم مع طلحة بن عبيدالله إلا أنهم يطلبونه فلا يجدونه، والكوفيون يرغبون في الزبير بن العوام ولكنه يخفي عنهم ولا يرغب بهم. وتضايق أهل الكوفة وأهل البصرة إذ غدوا تبعاً لأهل مصر عندما لا يرغب من تحبب نفوسهم إليه أن يقابلهم أو يوافقهم، وأمير المصريين هو أمير للمدينة في تلك الظروف الحرجة.

ولما لم يوافق أحد من هؤلاء الثلاثة مع المنحرفين في شيء ويرفضون الخلافة كلهم، رأوا أن يطلبوا من سعد بن أبي وقاص ذلك، وهو ممن بقي من

أهل الشورى مع أولئك الثلاثة، إلا أنه ارفض منهم عندما عرضوا عليه ذلك، وكان قد اعتزل الأمر، وابتعد عن الجوع العام، فالتجهاوا إلى عبدالله بن عمر وكان رفضه أشد من سابقه .

واشتد الأمر على المنحرفين إذ عجزوا عن إيجاد خليفة وقد قتلوا الأمر السابق، واشتد كذلك الأمر على أهل المدينة، وقد وجدوا مدينتهم بين المنحرفين ينصرفون فيها، وهم لا يقدرّون على شيء، ورأوا أنه لا بد من خليفة يخلصهم مما هم فيه، وينقذهم مما يعانون، ويسر الأمور لتعود الحالة إلى طبيعتها، ورأوا في شخص علي بن أبي طالب الخليفة المطلوب، فهو من أهل الشورى، وابن عم رسول الله ﷺ . وله سابقة وجهاد قلما تكون لرجل آخر، وله من العلم والفقه ما يخوله ذلك، وبصورة عامة فقد كان أفضل من عليها، آنذاك، فذهبوا إليه، وطلبوا منه أن يتولى أمرهم فرفض منهم، وقال لهم: لا حاجة لي في أمركم، أن أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، وأنا معكم لمن احترمت فقد رخصت .

ولما طال الوضع، وخاف المنحرفون من أن تصل جند الأمصار إلى المدينة، وتسلم زمام الأمور، وتقبض على الثائرين قتلة عثمان وتعاقبهم ونقم عليهم الحد، لذا كانت رغبتهم السريعة في مبايعة الناس خليفة وهذا حق المهاجرين والأنصار، فإذا حدث البيعة كان الخليفة على أقل تقدير منهم مضطراً لأن يأخذ برأيهم ما داموا في مركز قوتهم، ولا يستطيع أن يعاقبهم ما دامت المدينة في قبضتهم وتحت سيطرتهم، أو أن كثرتهم تحول دون أن يقوم بعمل ضدّهم، أما إذا وصلت جنود الأمصار إلى المدينة فإنهم حينذاك لا يستطيعون قتالهم وبخاصة أن أهل المدينة ناقمين على قتلة عثمان الأمر الذي يجعلهم ينضمون لأهل الأمصار ويحاربون قتلة عثمان، وعندئذ تنالهم العقوبة، وينالهم القصاص، وتقام عليهم الحدود، ويختار أهل المدينة من يرغبون لا من يفكر به المنحرفون، ومن هذا المنطلق كانت السرعة في اختيار خليفة أهم

نقطة يعمل لها المنحرفون، ولما لم يتم لهم ذلك هددوا أهل المدينة بقتل أهل  
الشورى وكبار الصحابة ومن يقدرون عليه من دار الهجرة إن لم يجذوا أحداً  
على قبول الخلافة، وقالوا لهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين، فوالله  
لئن لم نفرغوا لنقتلن علياً والزبير وأناساً كثيرين.

عرض صحابة رسول الله ﷺ الأمر على علي بن أبي طالب وجاءه الناس  
فقالوا: نباهك فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى،  
فقال علي: دعوني وانصروا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا  
تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. فقالوا: نشدك الله ألا ترى ما  
ترى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتمكم لما  
أرى، واعلموا إن أجبتمكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا  
كأحدكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، ثم افرقوا وتواعدوا  
في اليوم التالي فجاؤوا ومعهم طلحة والزبير وباهوا علياً، وكان ذلك يوم  
الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

بايع الناس جميعاً إلا سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن  
زيد وصهيب من المهاجرين، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وكعب بن  
مالك، ومحمد بن مسلمة، والنعيمان بن بشير، ورافع بن خديج، وسلمة بن  
وقش، وأبو سعيد الخدري، وقدامة بن مظعون ومسلمة بن مخلد، وعبدالله بن  
سلام من الأنصار ومن كان قد غادر المدينة إلى مكة وأكثرهم من بني أمة  
أمنال سعيد بن العاص والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم.

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمام موقفين اثنين لا ثالث لهما، الأول  
منها: أن يصر على رفض الأمر وعدم الموافقة على البيعة، وعندها يبقى  
وضع المدينة كما هو يتسلط عليه المتوردون، ويتصرف في المدينة الأعراب  
والمنحرفون، بل ربما ازداد الوضع سوءاً وهو المحتمل لبعث هؤلاء العاهتون  
في الأرض فساداً، ويزداد قتلهم للناس، وقد ارتكبوا أكبر جريمة بقتلهم



الإمام ظلماً وعدواناً، ومتى أقدم الإنسان على جريمة الأولى سهلت عليه الجرائم  
وأسوأ الأفعال بعد ذلك، وبالفعل فقد هددوا أصحاب الثورى وصحابة رسول  
الله ﷺ . وإذا ما حدث أن جاءت جند من الأمصار أو طليت لإبعاد  
المتحدرين عن المدينة وإقامة الحدود عليهم وإعادة نظام الأمن، فإنه يقع القتال  
داخل دار الهجرة ويذهب نصيبه أعداد من الصحابة، هذا بالإضافة إلى انقسام  
المسلمين وتفرق كلمتهم، وهذا ما يخافه العقلاء وأهل الإيمان، هذا بالإضافة  
إلى أن تدخل الجند في شؤون المدنيين، وتدخلهم في أعمال الناس، ويحتمل في  
أمر الخلافة لموضوع يجب الابتعاد عنه تمام الابتعاد، وهذا ما كان ينظر إليه  
الإمام علي كرم الله وجهه، ويحرص ألا يحدث، وهو الأمر الذي جعله يقبل  
الخلافة، أما الموقف الثاني: وهو قبول الخلافة والرضا بالأمر الواقع وذلك من  
أجل انقاذ المسلمين من فتنه عمياء يمكن أن تحدث فيها لو رفض، والخوف من  
تفرقة الكلمة، وإعادة الثقة والطمانية إلى نفوس سكان دار الهجرة، وإبعاد  
المتحدرين والأعراب والمنحرفين عن المدينة، وإقرار الأمن، وإعطاء الحياة  
للخلافة، وتطبيق منهج الله في الأرض، ومع هذا فكان رضي الله عنه على علم  
بأن السير في الموقف الثاني، وهو أخذ البيعة وتسلم أمر الناس حالة صعبة وفيه  
مشقة كبيرة وعناء شديد، إذ لا يستطيع الخليفة إقامة الحدود على الجناة  
والتحقيق معهم إلا بعد مرور مدة ريثما يستتب الوضع، ويتمكن الحكم،  
وتستعيد الخلافة هيبتها، وهذا ما لا يدركه فئة من الناس قيطاليون بالتقصص  
وهو غير قادر عليه، وسألونه إقامة الحدود على القتل وهو لا يستطيع إذ لا  
تزال المدينة بأيديهم، ولا بد من إخراجهم قبل ذلك وتوزيعهم في الأمصار، أو  
إرسالهم إلى الثغور، وتفريق كلمتهم، هذا بالإضافة إلى أن عدداً من الرجال  
سيرفضون البيعة، ولكن هذا لا يجعله يتوقف، وهو الذي لا يخشى في الله لومة  
لام، ولا يعرف المداينة في الحق . . . فأما البيعة فيمكن أن يترك من لا يبايع  
باستثناء بعض رجال الثورى الذين ينظر إليهم بعض الناس ويميلون إليهم،

ولهذا فقد ترك سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر، ولكنه أمر على بيعة طلحة والزبير إذ كان يطمع بهما بعض المتمردين، وأما استمهال إقامة الحدود ريثما تنجح الفرصة فظن أن الناس يدركون هذا، بل يمكن تجاوزه إذ أن إعادة الأمن والنظام وإقامة الخلافة أمر أهم وواجب شرعي، ولهذا أقدم عليه وقبل الخلافة بعد إصرار الناس عليه وبعد تمتع منه ورفض، فهو الزاهد فيها وفي الدنيا جميعها.

رأى علي رضي الله عنه وقد تسلم الخلافة أن يعمل قبل كل شيء على إعادة الأمن ولن يكون هذا إلا بإبعاد المشاغبين عن المدينة، ولن يحدث هذا إلا باعتقادهم أنه قد تم ما يريدون وهو استقرار النظام في الدولة، وهذا ما بصار إليه بزوال الخليفة السابق وقد قتلوه قبحهم لله - ثم بالخلاص من ولايته على الأمصار، هذا بالإضافة إلى أنه هو رضي الله عنه قد كانت له بعض الملاحظات على بعض الولاة لذا قرر أن يستبدل الولاة، ولكن نصحه بعض الصحابة وبعض الرجال في أن يؤخر هذا الأمر حتى يستقر الوضع، إلا أنه رفض ذلك حيث رأى أن هيبة الدولة لا تكون إذا لم يستطع الخليفة أن يعزل والياً وأن يعين غيره، وإلا فلما معنى أن الوالي يتبع الخليفة، وإذا لم يستطع الإمام عزل وال، فمعنى ذلك أن الوالي بمثابة خليفة أو أنه يرفض الأوامر ويرفض البيعة أو يأخذها لنفسه، ويتعدد عندها الخلفاء، وهذا أمر غير جائز ولا يكون في الإسلام، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن العصاة والمنحرفين يرون أن الوضع غير مستقر، وهذا يبقون في المدينة وعندها لا يستطيع الخليفة أن يفعل شيئاً ولا أن يقيم حدود الله، وهو لا يخاف في الله لومة لائم، إذن فلا بد من عزل الولاة واستبدالهم.

أرسل علي الولاة إلى الأمصار فبعث إلى البصرة عثمان بن حنيف وهو من أعلام الأنصار، فدخلها وارتمل عنها واليها السابق عبدالله بن عامر متجهاً إلى مكة. وأبى على الكوفة أبا موسى الأشعري الذي أرسل بيعة أهل

مصره إلى أمير المؤمنين . وبعث سهل بن حنيف إلى الشام ، ولكنه رد من حدودها ، رده خيل معاوية بأمر أو باجتهاد منها . وبعث إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة ، وكان قد قتل من تسلمها وهو محمد بن أبي حذيفة ، فدخّل مصر وأخذ البيعة لأمر المؤمنين من أهلها ، إلا فريقاً قليلاً منهم اعتزلوا الناس وأروا إلى ( خربنا ) لا يشقون عصا الطاعة ، ولا يقاتلون أحداً ، وهذا فقد اختار ثلاثة ولاية من الأنصار إلى أهم الأمصار وأكثرها ثغوراً وجهاداً . أما مكة فقد بعث إليها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، ولكنه وجد فيها كل من اعتزل الفتنة ومن اجتمع فيها من بني أمية ، ومن ترك ولايته من الولاة السابقين ، لذا فقد رفضت ولايته وبقيت مكة دون وال ، ولكل مجموعة رجل يرجعون إليه . وبعث علي بن أبي طالب إلى اليمن ابن عمه عبيد الله بن عباس عامله عليها ، فلما وصل إليها رحل عنها عاملها السابق يعلى ابن أمية واتجه إلى مكة ، وهكذا خضعت دار الهجرة مركز الدولة والأمصار كلها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب باستثناء الشام التي كان يسير أمورها معاوية بن أبي سفيان إذ لم يرسل البيعة ، وهذا عقدت بيعة علي بن أبي طالب ، وقام بالأمر ، وأرسل إلى معاوية يطلب منه البيعة لكنه تأخر بالجواب ، ينتظر ما تؤول إليه الأمور ، ووضع العصاة في المدينة .

المجتمع الإسلامي أيام علي

لم يختلف وضع المجتمع الإسلامي أيام علي عما كان عليه سابقاً، فالشرع هو المطلق وأحكام الله هي النافذة والمعمول بها، وإنما الشيء الوحيد الذي اختلف هو متابعة الناس لما يجري في الداخل بعد أن كان الاهتمام متجهاً إلى ما يحدث في الفتح وأحوال الثغور، هذا بالنسبة إلى عامة الناس، أما فيما يتعلق بالعمال والولاة فكان اهتمامهم أكبر إذ يتعلق الأمر بهم وبأمصارهم لذا فقد اختلف الوضع بين مصر وآخر، وهناك أمر آخر يجب ألا نغفل عنه وهو أن المسلمين استقبلوا خلافة علي بغير ما استقبلوا خلافة عثمان، فقد جاء عثمان بعد عمر القوي الشديد الذي منع الصحابة من الخروج من المدينة، وأخذهم بالحزم والشدة، فأعطاهم عثمان اللين والرفق، وأغدق عليهم في الأعطيات حسب ما اعتاد عليه من البذل والعطاء، فلانوا له وأحبوه وخاصة في أيامه الأولى، وفضله بعضهم على عمر. وجاء علي بعد عثمان فسار بالناس سيرة عمر فلم يوسع لهم في الأعطيات، ولم يعطهم الخواقل من المال، واشتد على قريش، وحال بينهم وبين الخروج بأية حال، وهيجه افتراق القوم إذ أن عدداً من بني أمية قد اتجهوا إلى مكة، وتفرق بعض الناس في الأمصار، واستأنف فيهم حزم عمر، وشدته، والنفس البشرية يصعب عليها الشدة بعد اللين على حين ترتاح وتطمئن للين بعد الشدة، لذا كانت نفوسهم يشوبها كثير من الوجوم والقلق ينسجم على الأمر، هذا بالإضافة إلى تسلط المشائخين الذين قتلوا عثمان على

المدينة ولم تطالم بعد الحدود، ولتنظر إلى حالة كل مصر وحده.

فاليمن سار إليها عبيد الله بن عباس والياً عليها من قبل علي فاستقبلت،  
وخرج منها يعلى بن أمية، واستقر الأمر فيها، تقام الحدود، ويطبق الشرع  
بصورة تامة.

وأما مكة المكرمة فقد عاد إليها راجعاً عدد من أهل المدينة الذين وصل  
إليهم خبر مقتل سيدنا عثمان وهم في طريقهم إلى بلدهم بعد أن شهدوا موسم  
الحج، ورجعوا اعترال الفتن، فمكة حرم أمن لا يغار عليه ولا يذعر من أوى  
إليه، ومنهم من خرج إليها من المدينة غاضباً أو معتزلاً مثل بني أمية، وعبد الله  
ابن عمر؛ ووردت مكة عامل علي عليها وهو خالد بن العاص بن المغيرة  
المخزومي، وعاشت دون وال، وبعد مدة استأذن طلحة والزبير علياً في الخروج  
إلى مكة لأداء العمرة فأذن لها فخرجا، وبقي فيها إذ وجدوا الجور فيها أكثر  
مناسبة لهم من جو المدينة المليء بالخارجين على عثمان رضي الله عنه، وبعد مدة  
جاء قثم بن العباس والياً على مكة واستقر فيها، واستتب له الأمر. ورأى الذين  
اعتزلوا الفتن واستقروا في مكة أن جوها غير مناسب، وأن طلب الرزق غير  
متوفر، والتجارة التي اعتادوا عليها قد انقضت أيامها وقطع بينهم وبينها  
الزمن، ووجدوا أن البصرة أكثر ملامنة، لهذا فقد قرروا السير إليها، وأقنعوا  
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالخروج معهم، وكادت أم المؤمنين حفصة  
رضي الله عنها تسير لولا أن منعها أخوها عبيد الله بن عمر، وسار الموكب  
باتجاه البصرة، وكان يصلي فيهم عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وقد كان أبوه  
والي مكة لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر. وكان عدد المغادرين مكة  
/٧٠٠/ إنسان جلهم من أهل مكة والمدينة ومنهم طلحة، وعبد الله بن عامر،  
ويعلى بن أمية، وعبد الرحمن بن عتاب، وأم المؤمنين عائشة، ورجع من الطريق  
سعيد بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن خالد بن أسيد، ولي الطريق  
نعمهم الناس من الأعراب حتى كانوا ثلاثة آلاف. وهذا الوضع في مكة بعد

لخروجهم . وعندما وصل الركب المكسي إلى مياه الحوآب نبحتم كلابه ،  
فأناجت عائشة رضي الله عنها وقالت : أنا والله صاحبة كلاب الحوآب طروقاً  
ردوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه ، لست شعري أينكن  
تسبحها كلاب الحوآب ، فقالوا لها : ما هو بالحوآب ، فسارت .

أما في المدينة فإن أهلها ينظرون إلى علي نظرة احترام وإكبار كما ينظر له  
كل المسلم . إذ كان يومذاك أفضل من عليها ، وقد ارتحل من الدنيا من  
سبقة ، وقد أسرعوا إلى بيعته أو الإصرار على مبايعته لتقديرهم له قبل كل  
شيء . ثم التحالوس مما خلق المدينة من وجود الفئة الخارجة على النظام من قتلته  
عنهان ، وقد استجاب بعد رفض إذ أن الأمر يستوجب وجود الأمير لإعادة  
النظام ، وما أن استلم حتى طلب منه عدد من الصحابة إقامة الحدود على هؤلاء  
المنحرفين ، ولم يكن ذلك ليغيب عنه ، وإنما ينتظر استتباب الوضع وقوة  
الخليفة بأخذ البيعة العامة والقبض على ناصبة الأمر ، إذ أن الحل السريع لا  
يستطيع أن يمارسه ما دام المنحرفون هم الذين يسيطرون على المدينة ، ويدهم  
القوة ، والبيعة لم تأت من بعض الجهات ومنها الشام وبعض الصحابة ، والمشكلة  
أنه في ساعة القوضى لا يرى المرء الحل السليم إلا من خلال ما استقر في ذهنه ،  
واشتد الصحابة في الطلب ، وعلي لا يستطيع أن يفعل شيئاً . وأرسل علي الولاة  
إلى الأمصار ، واذ يوالي الشام سهل بن حنيف يعود إليه ، وعلي الذي عرف  
بالشدة لم يقبل باللين ، ولم يعرف التساهل بالحق ، فقرر السير إلى الشام على  
الرغم من نصائح بعض الناصحين بإبقاء معاوية على الشام وإعطاء طلحة البصرة  
والزبير الكوفة ريثما تهدأ الأحوال ، ولم ير أيضاً هذا عبدالله بن عباس عندما  
استشاره علي ، وحث الناس بالتهوض إلى الشام قرأى تونانيا ، فلم يرغب بإجبار  
أحد وإنما نهض وسار مع من نهض ، ودفع باللواء إلى ابنه محمد الأكبر بن  
الخنبة ، ووجه عبدالله بن عباس إلى الميعة ، وعمر بن أبي سلمة إلى البصرة ،  
وأبا ليلي بن عمر بن الجراح إلى المقدمة وهو ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح ،

وولي قثم بن العباس على المدينة، وكتب إلى عماله على الأمصار وهم قيس بن سعد والي مصر وأبو موسى الأشعري والي الكوفة، وعثمان بن حنيف والي البصرة بالنهوض إلى قتال أهل الفرقة، ويبدو من عمله هذا أنه بعيد كل البعد عن المنحرفين قتلة عثمان إذ لم يول أحداً منهم وفيهم الأشداء وأهل المقبرة، وبينما هو كذلك إذ سمع بخبر سير من سار من مكة إلى البصرة، فخرج علي إلى الربيعة يريد أن يحول دون انطلاقهم إلى البصرة، إلا أنهم قد فاتوه، وكان قد ولي على المدينة قبل خروجه منها سهل بن حنيف، وبعث قثم بن العباس إلى مكة، وكانت أم المؤمنين أم سلمة تريد أن تسير معه وقالت له: لولا أني أعصي الله عز وجل وأنتك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر، والله لم أر أعز علي من نفسي، يخرج معك يشهد مشاهدك، فخرج معه، وكان على الميسرة، ولم يزل معه، واستعمله على البحرين ثم عزله. ونصحه بعض الناصحين بأن لا يخرج من المدينة فإن خرج منها قلن يعود إليها، وطلب منه أن يرسل من نهض ويمكث هو في دار الهجرة، ولكنه أصر إلا أن يكون على رأس الناهضين. وبقي سهل بن حنيف في المدينة يسير أمورها، ويطبق شرع الله فيها، ويحكمها لعلي بن أبي طالب. ووصل علي إلى ذي قار ينتظر وصول جند الأمصار.

وأما مصر فقد سار إليها قيس بن سعد بن عبادة، ودخلها من غير جهد وكان قد خرج منها الوالي السابق عبدالله بن سعد بن أبي سرح وتسلمها محمد بن أبي حذيفة إلا أنه قتل، وأخذ قيس البيعة لعلي من عامة أهلها، إلا فريقاً اعتزلوا الناس وأدوا إلى (خربت) يطلبون بثأر عثمان، ولكن لا يقاتلون أحداً، ولا يشقون عصا الطاعة، فأمرهم قيس ومنهم: مسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج، وبيسر بن أبي أرمطة وغيرهم، إلا أن بعض أصحاب علي كانوا يصرون عليه أن يأمر قيساً بقتالهم أو إعطاء البيعة حتى ينتهوا من مصر من كل معارض، فطلب علي منه ذلك، فرأى أن رأيه هو الأصوب، فترك

مصر، واتجه إلى علي مارا بالمدينة، وجاء محمد بن أبي بكر والياً على مصر، وما زال يلبح على من في (خربتا) حتى جرى القتال بين الطرفين ولم يعزز محمد بن أبي بكر النصر فعزله علي وولى الأشتر النخعي مكانه، ولكنه مات مسموماً قبل أن يصل إليها، فاضطر علي أن يثبت محمد بن أبي بكر على مصر ريثما يرى رأيه، وانتدب أهل الكوفة لمساعدة إخوانهم في مصر، ولكنهم لم يتتدبوا، وعندما أصر عليهم سار جند قليل، ولكن ما وصلوا إلى مصر حتى كان عمرو ابن العاص قد دخلها، وقتل محمد بن أبي بكر، وهكذا أصبحت مصر بعيدة عن خلافة علي وذلك عام ٣٨ هـ.

وأما الكوفة فقد كان واليها من قبل أبو موسى الأشعري، وأقره علي على ما تحت يده، ورغبة من أهل الكوفة به، وقد بايع عنه وعن أهل الكوفة للخليفة الجديد. وكان أبو موسى محباً للعافية لا يرغب في القتال وخاصة عندما يكون القتال بين المسلمين بعضهم ضد بعض. وأهل الكوفة ليسوا على رأي واحد، فبعضهم يميل إلى الزبير، وبعضهم يرغب في علي ولكنه لا يحب القتال، وبعضهم متشدد في ذلك يرى أن القتال أمر لا بد منه. وكتب أمير المؤمنين إلى أبي موسى يستنهضه للقتال ولكنه لم يفعل شيئاً، فأرسل له محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فلم يقد ذلك شيئاً، ثم أرسل له عبدالله بن عباس والأشتر النخعي فما أجدت المناقشات التي دارت بين الطرفين، ثم أرسل له ابنه الحسن بن علي وعمار بن ياسر، وتكلم الحسن كلاماً جيلاً. ودعا أهل الكوفة لنجدة خليفتهم وعندما انطلق سار معه عدة آلاف سار بعضهم بالفرات واتخذ الآخر طريق البر، وكان مجموعهم تسعة آلاف رجل، وأخرج الأشتر النخعي أبا موسى من قصر الإمارة، فانطلق أبو موسى إلى مكة وأقام بها. وكان الخليفة قد وصل إلى ذي قار فجاءه أهل الكوفة وهو في ذلك الموضع.

وأما البصرة فقد أرسل إليها الخليفة والياً جديداً هو عثمان بن حنيف سار إليها فدخلها، وخرج منها واليها السابق عبدالله بن عامر الذي سار إلى مكة،



وكان في البصرة شيء من الفرقة والخلاف، ولم يلبث أن وصل إليها ركب  
 مكة، فدخلها عبدالله بن عامر على غفلة من أهلها، ووصل الخبر إلى عثمان بن  
 حنيف فتها إلا أن الناس متخاذلون منهم الخائف، ومنهم القاعد، ومنهم  
 المتخاذل، ومنهم من يطلب بثأر عثمان، ومنهم مع الوالي بجانب أمير المؤمنين  
 علي بن أبي طالب، ثم دخل البصرة ركب مكة كله، والتقى في المرید، فنكمت  
 طلحة والزبير ورد عليهم جماعة ابن حنيف، وكاد الناس يقتلون، ثم تكلمت  
 عائشة رضي الله عنها فانقسمت جماعة ابن حنيف، ومال بعضهم إلى  
 جانب عائشة، وكان علي خيل البصرة حكيم به حيلة العبدى فأنشب القتال،  
 وهو أحد الغوغائيين الذين تكلموا عن عثمان رضي الله عنه، وكاد القتال  
 أن يتبع، إلا أن الفريقين قد اتفقا، إذ لم يكن أحد الجانبين لينظر إلى  
 الآخر نظرة العداوة أو الحقد وإنما نظرة الأخوة، والخلاف إنما هو في  
 وجهات النظر، ولكن الغوغاء هي التي كانت تسب بالطرفين إلى  
 التطرف أحياتا، اتفق الجانبان على أن يبعثا رسولا إلى المدينة  
 لينظر هل بايع طلحة والزبير مكرهين أم لا؟ فإن كان ذلك أحل عثمان بن  
 حنيف لها البصرة، وإن كانا قد بايعا عن رضی خرجا من البصرة، وأن يبقى  
 كل فريق على ما تحت يده ريثما يعود الرسول، وينزل طلحة والزبير ومن معها  
 حيث شاؤوا، وأن يصلي عثمان بن حنيف بالناس، ويبقى بيت المال تحت يده،  
 وله أمر البصرة. وذهب كعب بن نور إلى المدينة رسولا، فسأل أهلها عنبيعة  
 طلحة والزبير فلم يجبه أحد، ثم أجابه أسامة بن زيد بأنها بايعا مكرهين،  
 وكادت تحدث في المدينة حادثة لهذا الجواب، إذ لا يريد الناس إلا اطفاء النار  
 وإخاد جذوتها، ورجع كعب إلى الناس بالخبر فاختلف القوم بالبصرة، وعاتب  
 علي عامله على البصرة، وقال: إنما طلحة والزبير لم يهجرا على البيعة إلا خوفاً من  
 الفرقة، وقل أنصار ابن حنيف حتى غضب عليه الغوغائيون في طرقه لهذا  
 التصرف، وانتفض أهل السوء عليه فسجوه، وتنفخوا لحبسه وحاجبيه، ثم  
 أخرجوه حيث سار إلى علي بن أبي طالب وهو بذي قار، ولم يقتل عثمان بن

خفيف لأنه لم يكن عدواً ولا مجرم حرب، وإنما كان أخاً ضعفت وجهة نظره أمام مناقشه فقتل أتباعه، وعدا عليه الرعاع فأخرجوه، ولو كان الخلاف كما يصوره بعض المؤمنين لقتل أو أخذ على الأقل أسيراً فهو قائد الخصم أو رأس الجناح الآخر. وحصار يصيل بالناس عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد. وبخروج عثمان بن حنيف من البصرة أصبحت تحت إمرة الركب المكي فقتلوا من كان فيها من الأشخاص الذين شخصوا إلى المدينة، واشتركوا في حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولم يتج منهم إلا حرقوص بن زهير العبدي، وكان ممن قتل حكيم بن جبلة العبدي، ولم يكن هذا القتل ليخفف من المشكلة وإنما زاد النقمة، إذ أن بعض القبائل غضبت لمقتل بعض أبنائها من كان من الغوثيين، ومنهم بنو عبد القيس الذين ثاروا لمقتل حكيم بن جبلة فخرجوا على علي، أما علي فلم يتكلم في قتل هؤلاء لأنه يرغب فيه ولا علاقة له بأحدهم، وإن كان يجب أن يدعم رأيه بأن في العجلة التندامة فالقتل السريع دون تروي أدى إلى النقمة. وكتب الركب المكي إلى بقية الأمصار أن يفعلوا فعلتهم، وأن يقتلوا من عندهم من قتلة عثمان.

أرسل علي بن أبي طالب القعقاع بن عمرو التميمي إلى البصرة، فكم عائشة وطلحة والزبير وبينهم تفرق القوم عنهم بسبب قتل الغوثيين، وماذا يكون لو حدث هذا في كل مصر؟ قالوا: لها رأيك؟ قال: إن هذا أمر دواؤه التسكين واجتماع الشمل، حتى إذا صلح الأمر مهدأت الثائرة، وأمن الناس، واطمأن بعضهم إلى بعض، نظرنا في أمر الذين أحدثوا هذه الفتنة. واني لأقول هذا وما أراه يتم حتى يأخذ الله من هذه الأمة ما يشاء، فقد انتشر أمرها، وألمت بها الملهمات، وتعرضت ليلاء عظيم، فاستحسن القوم رأيه، وقالوا: إن وافق علي على هذا الرأي صالحناه عليه. ورجع القعقاع إلى علي راضياً وأنبأه بما حدث، فسّر علي بذلك أشد السرور وأعظمه.

وأقبلت الوفود من البصرة إلى معسكر علي بندي قار والتقى المصري مع

المصري والريمي مع الريمي والبيحي مع البيحي ، وكل يتحدث في الصلح ، وعن  
الناس كل الناس أن الأمر قد استقام ، وأن الصلح قد أصبح وشيكاً ، ودعوا  
أهل البصرة علياً أن يأتي إليهم ، وأراد علي الرحيل وقال : ألا من أعان علي  
عشمان بن عفان فلا يرتحل معنا . وهنا شعر الغوثيون من قنلة عشمان أن الصلح  
يبدو عليهم ، وأنه إذا تم لا بد من أن يكون عليهم ، وستطالم العقوبة ، فإذن  
فلماذا نرغمه علي أنفسنا ؟ وتداولوا الرأي وعبدالله بن سبأ اليهودي لا يعجبه  
رأي حتى توصلوا إلى انشاب القتال إذا ما اقترب الطرفان بعضهم من بعض .  
وأرسل علي عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير اللذين أرسلها بدورها محمد بن  
طلحة إلى علي وتحدثوا في الصلح وباتوا في ليلة من العافية .

ورحل علي إلى البصرة وعسكر بجانب معسكر أهل البصرة فأنشب  
الغوثيون القتال بأسباب بسيطة وتافهة ، إذ نساب الصبيان ثم تراموا وتنازع  
العبيد ، حتى إذا توثرت الأجواء بأثر السفهاء ، ولم يدخل الغوثيون من  
البداية حتى لا يعرف الكيد ، وينكشف الأمر ، وتفسد الخطة ، وتصاف  
الفریقان ، وخرج علي بين الصفيين ونادى طلحة والزبير فكلمها ، وقال بما قال  
للزبير أتذكر أن رسول الله ﷺ قال لك : ... ولكنك ستقاتله وأنت له  
تخالم ، قال : تذكرت ذلك ، ولو كنت أذكر ما خرجت ، وأراد الاعتزال ،  
وخرج علي وجهه وعندما وصل إلى وادي السباع غدر به ابن جرموز وقتله .  
واستطاعت السبية أن تنشب القتال ، وطلب علي من الناس أن يكفوا إلا أن  
الأمر قد خرج من يده والتحم الفریقان ، وكان جيش البصرة يزيد علي الثلاثين  
ألفاً ، وجيش الكوفة يزيد علي العشرين ألفاً ، وكان اللقاء في منتصف جمادى  
الآخرة من عام ٣٦ هـ .

والتحم الطرفان ، واشتدت المعركة أمام الجمل الذي علي عليه هودج عائشة  
رضي الله عنها حتى قتل أمامه سبعون رجلاً كل أخذ بنظامه ، قتلوا واحداً  
بعد الآخر ، ثم حفر الجمل فاتفرت المعركة وهزم أهل البصرة ، وأصيب

طلحة وجرح جرحاً بليغاً بدأ ينزف منه الدم، وحملت عائشة يهودجها إلى دار عبدالله بن خلف، وكانت فاجعة أليمة ذهب نصحتها على رأي المؤرخين عشرة آلاف من جيش البصرة وخسة آلاف من جيش علي، ومع ما في هذه المعركة من الهول الذي زاد فيه المؤرخون، علينا أن نتروى قليلاً فننظر هل كانت معركة بين أعداء ألداء كما توصف أم بين أحبة أوقع الشيطان بينهم لطاشت أحلامهم، ثم ثابت؟ ويمكن أن نتعرف على هذا من النتائج، كانت رؤوس جيش البصرة لا شك طلحة والزبير وعائشة فلننظر ما الرأي بهم؟ النقى القمعاق بن عمرو التميمي أحد قادة جيش علي وحكيمه أثناء المعركة مع طلحة وهو يقاتل جريحاً فقال له: يا أبا محمد إنك جريح فحيداً لو دخلت أحد البيوتات، فبطل برى قائد خصومه جريحاً فيطلب منه الخلود إلى الراحة من أجل العافية أم يجهز عليه!

وجاء ابن جرير بعد المعركة يستأذن علياً وقال: قل له: قاتل الزبير، فقال علي: أئذن له بشره بالنار، فهل القائد يفرج بقتل قائد خصومه أم يتأثر ثم يقول: إن قاتله لا شك في النار؟

وزار علي عائشة بعد المعركة، وضرب من تكلم عنها، وقال عندما شيعها في غرة رجب مع أخيها محمد بن أبي بكر: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، وأعطاهم مبلغاً كبيراً من المال، وسير في ركبها عدد من النساء. وعندما زارها في دار عبدالله بن خلف كان عدد من الجرحى المختبئين في تلك الدار، وهو يعرف مكانهم ومكان غيرهم، وقد تجاهل ذلك وكان لم يعلم شيئاً، إذ لم يكونوا خصوماً كما يصور ذلك بعضهم فلو كانوا كذلك لتألموا ما تألموا.

كما كان قد طلب من جنده ألا يجهزوا علي جريح، ولا يتبعوا هارباً، ولا يدخلوا داراً، ولا يهزوا مالا، ولا يؤذوا امرأة ولا طفلاً ولا غير مقاتل مصر معاند، وهذا كله يدل على الأخوة التامة ولكن أوقع الشيطان بينهم، ولكل وجهة نظره واجتهاده الخاص، وهو عليه مأجور بإذن الله.

وبعد المعركة بثلاثة أيام ولي علي علي البصرة عبدالله بن عباس، وكان أهلها قد أعطوا البيعة، وسار هو إلى الكوفة ليتبها إلى الشام.

أما الشام فقد كان واليها معاوية بن أبي سفيان منذ أيام عمر رضي الله عنه، وقد خير أهلها وخبروه وأخذهم بأسلوبه الخاص فأحبوه، ولأن لهم فأطاعوه، وحرصهم فانتقدوا له، ولم يريدوا غيره، فعندما حدثت الفتنة في المدينة، وتسلم الغوثانيون الأمر، وقتلوا الخليفة عثمان بن عفان مظلوماً، وخرج النعمان بن بشير إلى الشام ومعه قميص عثمان المملوء بالدماء وعلب أصابع زوجته نائلة مقطعة، وعرضه على الناس تاروا وبكوا أولاً لقتل الخليفة مظلوماً وهو شيخ طاعن في السن، وكان قتله على يد رعاك الناس، وثانياً لأنه لم يستطع بعد ذلك أحد أن يحرك ساكناً، بل إن هؤلاء الرعاك قد سيطروا على دار الهجرة. ويجب أن تعلم أن الأخبار من المدينة إلى الشام تحتاج إلى شهر ذهاباً ومثلها إياباً وأثناء هذه المدة تحدث حوادث وتحدث مشكلات جديدة إضافة إلى ما تحصل الأخبار معها من زيادات مع الزمن. ثم جاءت الأخبار بأن البيعة قد تمت لعلي بن أبي طالب، ولكن عدداً من الصحابة لم يعطوا البيعة أمثال: سعد بن أبي وقاص وهو من رجال الشورى، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك وغيرهم، وفوق كل هذا فإن طلحة والزبير قد أعطيا البيعة مكرهين وهما من رجال الشورى. وأن رجال الشورى الذين بقوا على قيد الحياة هم: علي بن أبي طالب وهو صاحب البيعة، وطلحة والزبير لم يبايعا إلا مكرهين، وسعد بن أبي وقاص لم يبايع أبداً، فالأمر بحاجة إلى نظر، ومع هذا فإن علي لم يستطع أن يقبض على زمام الأمر، ويتم الحدود على قتلة عثمان الذين لا يزالون يتحكمون في أمر المدينة، هكذا وصلت الأخبار إلى الشام، وهذا ما علمه معاوية والي البلاد، وإن كانت هذه الأمور صحيحة، إلا أن روايتها كانت بأسلوب يحتم على معاوية التريث بإرسال البيعة إضافة إلى ما يجد في نفسه، وما يراه في المجتمع من حزن

على الخليفة المقتول. وتتوالى الأخبار على الشام بأن عدداً من رجالات الأمة  
 قد اجتمعوا في مكة والتجؤوا إليها يعترضون الفتنة، أو يعترضون على  
 تصرفات القويغاثيين في المدينة. ويرسل علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي  
 الجديد عماله إلى الأمصار ويرسل فيمن يرسل سهل بن حنيف إلى الشام لينزل  
 أمرها، ويعزل معاوية، ويرد الوالي الجديد من حدود بلاد الشام، ويبقى معاوية  
 في حاضرتة ينتظر ما يؤول إليه الأمر، ثم تصل إليه أخبار جديدة بأن عدداً  
 قد خرج من مكة إلى البصرة معارضين للخليفة في المدينة، وعلى رأسهم أم  
 المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطلحة، والزبير، إذن يفهم من هذه الأخبار  
 أن الأمر لم يستقر لعل بعد ولا يد من الانتظار في البيعة، وانتظر، وانتظر معه  
 مجتمع الشام. وحدثت أحداث البصرة التي ذكرنا ووقعت معركة الجمل  
 وتأسف المسلمون لذلك، وكل هذا جعل عامل الشام معاوية بن أبي سفيان ينتظر  
 في إعطاء البيعة للخليفة الجديد، وهذا ما رآه، ورآه معه عدد من الناس، وبعد  
 اجتهاداً.

أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيرى غير ذلك، إذ ينتظر إلى معاوية هل  
 أنه عامل للخليفة، إن طلب من ترك العمل فخل، وإن طلب من الاستمرار  
 تابع، فهو تابع وليس يجتهد في هذا الأمر، والوالي ليس عليه إلا أن يبايع  
 هو وأهل مصره إذا بايع أهل المدينة وقد بايعوا فلماذا هذا التواني؟ فهل  
 أصبح من أهل الثوري ليؤخذ رأيه في البيعة أم لا؟ وقد عزله الخليفة فعليه  
 الامتثال، هذه نظرة علي إلى معاوية، وهي صحيحة، أما بالنسبة إلى الأوضاع  
 فيرى أنها غير مستقرة والمتحرفون لا يزالون في المدينة فيجب الانتهاء من  
 البيعة، وطهانية الناس، فلي تم هذا بصرفوا إلى أمصارهم، فيتوزع أمرهم،  
 ويضعف شأنهم، وعندما تقام عليهم الحدود وينقص منهم بما اقترفت أيديهم،  
 أما الآن فلهم قوتهم، ويتمكنون من المدينة فيصعب الاقتصاص، لأنه ربما إن  
 فعل أمير المؤمنين ذلك اقتصروا هم من أهل المدينة، وهو اجتهاد، ويؤجر

عليه إن شاء الله تعالى . ولم يقبل سيدنا علي من عامل الشام هذا التصرف ،  
وليس أمامه إلا تنفيذ أوامره ، وهو الذي لا يعرف إلا الشدة في الحق ، ولا  
يعمل إلا بالحزم ، واللين عنده نوع من الضعف ، لذا قرر التعبئة والنهوض إلى  
الشام ، وعياً الجند ، وهو يريد السير إذ جد له أمر الركب المكي فسار وراهم  
نحو العراق ، وتغير خط حركته من الشام إلى البصرة ، ووقعت معركة الجمل في  
منتصف جمادى الآخرة ، ودخل إثرها البصرة ، فأصلح فيها ، فعفا عن المسي ،  
وواسى المنكوب ، ووزع الأموال على الغالب والمغلوب ، ثم ولى عليها عبدالله  
ابن عباس ، وبعد قضاء مدة فيها تحرك إلى الكوفة ليتابع سيره إلى الشام قصد  
الرئيسي الذي كان .

وصل إلى الكوفة في نهاية شهر رجب من عام ٣٦ هـ ، ومكث فيها مدة  
أربعة أشهر استعداداً لخلافها للقتال ، وعياً الجند ، ولم يكن يرفق بنفسه ولا  
بأصحابه ، هكذا اعتاد خلال حياته ، يسلك الطريق المستقيم مهما اعترضه من  
صعاب ، ويحث السير فيها مهما وجد من عقبات ، ولم يكن أصحابه يرفقون  
بأنفسهم يسرون سير أمرهم .

أرسل علي بن أبي طالب جريراً بن عبدالله البجلي إلى معاوية يطلب منه أن  
يباع ، وأن يدخل فيها دخل فيه الناس ، وبين حجة علي ورأيه فيها يطلب إليه ،  
ولكن معاوية لم يعط جواباً ، ورجع جرير دون جواب ، ولكن بعض  
أصحاب علي كانوا يريدون الجواب السريع ، لذا عدوا أن جريراً لم يقم بالمهمة  
المنوطة به كما يجب ، فاسمعه الأشتر كلاماً تأثر منه ، فغادر المعسكر ، وأقام في  
قرقيساء عند التقاء نهر الخابور بنهر الفرات . وبالمقابل فقد أرسل معاوية رسلاً  
كان منهم أبو مسلم الخولاني ، ولكن لم تؤد تلك الرسل إلى نتيجة ، وهذا ما  
جعل أصحاب علي يحنونه للسير ، فما دخل شهر ذي الحجة إلا وكانت طلائع  
علي في بلاد الشام إلا أنه أمرهم ألا يبدؤوا بقتال قبل أن يدركهم . . .

وعلم معاوية بحركة جيش العراق فأسرع بجند الشام ، ووصل قبل علي إلى

صفين، ونزل مكاناً مناسباً يمكنه وجنده من الشرب من نهر الفرات، وعندما وصل علي إلى ذلك المكان وجد جنده في ظمأ، فطلب من معاوية أن يكون الماء حراً، ولكنه لم يحصل على جواب، الأمر الذي أدى إلى احتكاك، وانتصر جند العراق وأزاحوا جند الشام عن مواقعهم، ولكن علياً أمر أن يكون الماء حراً يشرب منه الطرفان بكل وقت يريدون.

وأقام الفريقان عدة أيام يلتقون على الماء، ويسعى بعضهم إلى بعض، وربما يسرون معاً دون قتال ولكنه جدال ومناقشات تحدث، وربما يقف المرء أمام هذا طويلاً يسترجع ما صوره المؤرخون عن الحصومة العنيفة بين الجانبين، والرغبة الملحة من كليهما لقتل الآخر، وما هي كذلك إن هي إلا خلاف في الرأي، وأخوة مضمرة غير ظاهرة بسبب ذلك الثابت في الاجتهاد.

ثم وقع القتال، ولم يكن ذلك الهجوم الكاسح بكل الامكانيات وبكافة الطاقات، وكل منهما يعني استئصال الآخر، وإنما هذا ما كان يحشاء الجانبان فإن القتل من أي طرف إنما هو اضعاف للمسلمين، لأن هؤلاء الحضور من أي جانب كان إنما هم جند المسلمين وقوتهم، وعلى عاتقهم حماية الثغور، وإتمام الفتوحات، لذا كانت تتقدم فرقة إلى فرقة لعل الله يصلح الأمور، وتنوب العقول إلى رشدها، واستمر ذلك مدة شهر ذي الحجة، وأهل شهر المحرم فتوقف القتال، وتصافوا لعلهم يتصالحون، وكثرت السفراء بين الفريقين ولكن دون جدوى. ولا بد هنا من رقعة قصيرة هل يترك الحقدهم مجالاً للتفكير بالتوقف عن القتال لو كان هناك حقد؟ إلا أن النفوس طيبة، وبالقلوب محبة صادقة تستغل أي شيء لعل الأمر يبدأ ويتم الصلح. ومع ذلك فقد بقي كل على رأيه مصر على موقفه، علي واضح بين رأيه، ومعاوية لا يبدي تحابواً، وكان لا بد من القتال العام.

عادت الفرق من الجانبين يناوش بعضها بعضاً، واستمر ذلك مدة النصف الأول من شهر صفر من عام ٤٧ هـ، فلما رأى الطرفان أن التأخير لا يفيد



كان لا بد من حلة عامة، وكانت، واستمر القتال ثلاثة أيام قتل من الفريقين  
العدد الكثير، فقد قتل عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص من  
أصحاب علي، وقتل عبدالله بن عمر بن الخطاب من أصحاب معاوية،  
وظهرت علامة الهزيمة على جيش الشام، ورفعت المصاحف، وتوقف القتال،  
وعلى الرغم مما قيل من أن العراق لم يكن قسم منهم يرغب في وقف القتال،  
ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نفسه، والاشتر النخعي أحد القادة  
البارزين والذي استمر في القتال على الرغم من إعطاء الأوامر له بالكف عن  
متابعة القتال، إلا أن الأمر قد تم، وتوقف القتال، فالمسلمون ينتظرون من كل  
بارقة أمل أن يكون فيها الصلح، ولو لم يكن ذلك لما توقف القتال، والنصر قد  
لاح للفريق وهو الطرف الشرعي، ويقاوم بعناد الطرف المعاند حسب رأي  
أمير المؤمنين علي الأقل. ولما سأل الأشتر النخعي معاوية بن أبي سفيان عن  
رأيه، أجابه بفكرة الحكيمين.

توقف القتال، وكتبت صحيفة التحكيم، وشهد عليها رجال من الطرفين،  
وجند الشام راضون وجند العراق بين راض وساخط وساكت مكرهاً. وبعد  
يومين من ذلك العقد أذن علي بالرحيل إلى الكوفة بعد أن دفنوا موتاهم،  
وسار الموكب نحو الكوفة، على حين تحرك معاوية بجيشه نحو الشام.

لم يدخل جيش علي كله الكوفة كما خرج منها، وإنما انحازت جماعة منه إلى  
حروراء مخالفة ما في صحيفة التحكيم، وغاضبين عما تم، وقد رتبوا أمورهم،  
فجعلوا أمر الحرب إلى شيبث بن ربعي التميمي، وكان عبدالله بن الكواء بصلي  
بالقوم، فأرسل علي إليهم الرسل عليهم يعودون إلى صوابهم، ويرجعون إلى  
إخوانهم وربما كانوا يفكرون في ذلك، لذلك كانوا يطالبون علماً بالعودة إلى  
القتال وترك التحكيم، وعاد بعضهم، ومنهم أمير حريم شيبث بن ربعي  
التميمي، ثم أرسل علي إليهم عبدالله بن عباس فناقشهم وأطال معهم الجدل، ثم  
ذهب إليهم علي بنفسه وحاجهم، وعادوا جميعاً فدخلوا الكوفة، وظن أن الأمر

قد انتهى، إلا أنهم بقوا على الدوام يعلنون عن آرائهم، ويصبحون سيحتمهم لا حكم إلا لله التي يقول عنها أمير المؤمنين: كلمة حق أريد بها باطل، وناقشون، ويظنون أن علياً سيعود إلى القتال، وإنما ينتظر الناس حتى تستريح، وبعدها ينهض للحرب.

اجتمع الحكمان في دومة الجندل، ولم يتفقا على شيء بل رجعا من غير تفاهم، ولكن ليس ما ذكره المؤرخون بالصحيح، فلم يكن أبو موسى الأشعري ذلك الرجل المغفل البسيط الذي يلعب به، وهو الصحابي الجليل، والوالي لعمر ابن الخطاب على الأمصار، وعمر لا يمكن أن يولي عاملاً من النوع الذي بنتت به المؤرخون أبا موسى، كما أن عمرو بن العاص لم يكن ذلك الرجل من الغدر، وقلة الدين، وعدم الوفاء والمروءة، وإنما اختلفا من غير اتفاق.

أراد علي بعد فشل التحكيم أن يستعد للنهوض إلى الشام، وطلب من واليه على البصرة عبدالله بن عباس أن يستعد بأهل مصره، فأرسل ابن عباس المقاتلين، إلا أن علياً قد لاحظ أولئك الذين خرجوا من عسكره بالأسس ثم عادوا، قد بدؤوا يتسللون وتلا إثر رتل، ويكتبون إلى إخوانهم في البصرة ليوافقهم في النهروان، فسكت عنهم، وأراد أن يتركهم وما خرجوا له، وقال: إن سكتوا تركناهم، وإن تكلموا جادلناهم، وإن أقعدوا قاتلناهم، ورجب أن يسير إلى الشام ويتركهم وشأنهم، إلا أن سادهم قد بدأ، فقتلوا عبدالله بن خباب بن الارت وذبحوه ذبح النعاج، وقتلوا نسوة معه، فأرسل إليهم رسولا فقتلوه، عندها اضطر إلى العودة إليهم، والتخلص منهم بصورة من الصور قبل أن يسير ويتركهم وراءه يعيشون في الأرض الفساد، فسار إليهم، وجادلهم، وطلب منهم تسليم قتلة عبدالله بن خباب بن الارت فقالوا: كلنا قتلة، وقمادوا في الرد، ثم هجموا على جيشه، وبدؤوا بالقتال، فاضطر إلى حريم وإبادتهم في مكانهم في النهروان، وكان أكثرهم من أهل الكوفة، وجيشه من أهل الكوفة، فقد قتل زيد بن عدي بن حاتم معهم، وأبوه عدي بن

حاتم في جيش علي، وأكثر القتل كانوا بهذه الصورة أو قريبة منها، ففدا جيشه حزناً كثيراً على قتل خصومه أو قتل أهله فتغيرت النفوس، وتبدلت الطباع، وعلى هذه الصورة كانت تلك المعارك التي دارت في ذلك الوقت بين المسلمين: اختلاف في وجهات النظر وفي الرأي فيحاز كل فرد إلى جانب، ويقاوم فمن قتل فقد انتهى، ومن قتل فقد أصيب بمن فقد.

رأى علي بن أبي طالب أن ينتظر قليلاً ليستريح الناس من تعب القتال، وليسئ الذي أصيب مصيبته، وكان معاوية بن أبي سفيان بالشام قد سمع استعداد علي للسير إلى الشام فأسرع إلى صفين ولكن لم يجد للعراق جيشاً، وانتظر، وجاءت أخبار الحوارج، وما حدث بينهم وبين علي، فعرف الأمر، وقفل راجعاً إلى الشام وقد أراح واستراح.

رأى علي أن جنده قد استراحوا وحصلوا على ما أحبوا فدعاهم للقتال فلم ينفروا، وحثهم فلم يستجيبوا، وحرصهم فلم يسمعوا، وكان يخطبهم، ويتوسل عليهم، فيسمعون ثم يخرجون ولكنهم كأنهم لم يسمعوا كلاماً حتى يثاق بهم علي رضي الله عنه فزعاً وتمنى لو لم يعرفهم، وكانت حياته معهم بحمة شاقة، وعيشاً مليئاً بالمشاق والصعاب والمتعصبات بأمر فلا بطاع، ويدعو فلا يستجاب له، ولربما حدث هذا مع أهل الكوفة بسبب ما خافوا من حروب مع إمامهم، إلا أنهم رأوها عندما فكروا أنها بين المسلمين بعضهم مع بعض، وبسبب الحزن الذي أصابهم بعدما فقدوا إخوانهم في النهروان، وربما بسبب ما لاحظوه من توقف الفترحات، وعدم امتداد سلطان الدولة كما كان، بل أخذ في الاضطراب، إذ طمع الروم بتغور الشام فأسكتهم معاوية بدفع جزء من المال ريثما تنتهي أوضاع المسلمين، واضطربت تغور المشرق على عمال علي وكان يكلفه العناء الكبير حتى يبدأ الوضع وتستقر الحال. وربما كان بسبب أوضاعهم المادية الحسنة إذ كان علي رضي الله عنه يقسم لهم المال باستمرار، ويعطيهم أعطيانهم، ويحب بين المدة والمدة أن يكتسب بيت المال ويوصل إليه

رغمين، فلرما وجدوا في ذلك راحة مغرية، ودعة مطمعة فأخذتهم إلى الأرض، ورغبتمهم في الاستقرار، وكل هذا يجعل أمر علي صعباً وحياته قاسية وفي الوقت نفسه يعد التفكير عند معاوية عن البيعة والدخول فيها دخل فيه الناس، حيث يرى أن وضع الخليفة غير مستقر، وكلمته غير مسموعة، وعددًا من الصحابة لم يبايعوا ...

وظهر علي أنه قد انتهى من الخوارج في النهروان، إلا أنه قد تبين له بعد حين أنه ما انتهى إلا من عدد قليل منهم أو جزء منهم، وأن في معسكره في الكوفة عددًا منهم، وكانوا يجاهرون برأيهم، ويناقشونهم، وهذا ما زاده إلا غمًا على غم، ولما رأى ما رأى، ونظر إلى أنه يدعو فلا يستجاب له، لذا كان هادئ الطبع يناقشهم ويستمع إليهم، ولا يمنع عنهم أعطياتهم، وكانوا يعاشونه ويعاشون عامله على البصرة، ويخرجون تحت جنح الظلام ليقتل بعضهم مع بعض، وقد يعيثون الفساد، ويقتلون إن رأوا مسلماً، فكان علي لذلك يمتنى الموت، ويقول: ما يؤخر أشقاها؟ أي ما يمنع أشقى الناس أن يقتله، ويرجع مما يجد من أصحابه، وكان يعلم أنه سيموت شهيداً حينما أخبره رسول الله ﷺ، وأنه سيقته أشقى الأمة.

وأصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الكوفة، وواليه عبدالله بن عباس في البصرة بأمران فلا يجابان، الأمر الذي جعل عبدالله بن عباس يفكر في الخلاص مما هو فيه كما يفكر الخليفة بالذات، ويقال إن ابن عباس قد ترك الولاية لزياد بن أبيه، وارتحل إلى مكة، ليعيش فيها بعد أن أعياء أصحابه، والحقيقة أنه لم يترك، بل بقي فيها حتى قتل الخليفة، بل وحتى بايع الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، ثم سافر بعد ذلك إلى مكة، ولرما لو كان علي وزيراً لفعل ذلك لشدة ما وجد من رعاياه، ولكن الأمير لا يمكن أن يفعل ذلك.

ووجد جند الشام أن الخليفة لا يطاع، ولم يعد له إلا الرمز في السياسة الشامية، ولكنه يقوم بإدارة البلاد بكل حزم، ويأمر بالمعروف، وينهى عن

المنكر، فأمعنوا في المعارضة . فاستطاع عمرو بن العاص أن يدخل مصر، وأن يحكمها بعد مقتل محمد بن أبي بكر والي علي عليها، ولم يستطع الأشتر النخعي أن يصل إليها، إذ مات بالطريق وهو إليها وذلك عام ٣٨ هـ، إذ أن الأشتر كان مع علي في صفين فلما عاد منها أعاده إلى عمله بالجزيرة أميراً على مدينة (نصيبين) ثم وجهه إلى مصر فمات مسموماً . أما قيس بن سعد بن عبادة فكان على شرطة علي .

أرسل معاوية بن أبي سفيان إلى البصرة عبدالله بن عامر الحضرمي حيث يوجد في هذا المصر من يطالب بئثر سيدنا عثمان، ومن تكب في معركة الجمل، فحدثت اضطرابات، ولكن لم يصل إلى نتائج مرضية له .

وفي عام ٣٩ هـ، فرق معاوية جيشه على أطراف أملاك علي، فأرسل النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمر، وأرسل سفيان بن عوف في ستة آلاف إلى هيت، فلم يجد بها أحداً، فسار إلى الأنبار فأغار عليها ثم عاد . وأرسل الضحاک بن قيس إلى جهات ندمر، ولكنه هزم أمام حجر بن عدي الكندي قائد علي . وأرسل عبدالله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تباه، وكانت غارات أهل الشام هذه أن زادت أهل العراق خوفاً، ورغبة في السلم، وعدم نهوض إلى القتال .

وأرسل معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي أميراً على الموسم ليقيم للناس حجهم، فلما دنا من مكة خافه قثم بن العباس عامل علي عليها فاعتزله، وتوسط الناس في الأمر، واختاروا عثمان بن أبي طلحة أميراً للحج في ذلك العام ٣٩ هـ، وعرف علي مسير يزيد بن شجرة فتدب الناس لرده فقتلوا، ثم أرسل معقل بن قيس في جند فوصلوا عندما كان الموسم قد انتهى، ولكنهم أدركوا مؤخرة يزيد، فأسروا نفرأ منهم، وعادوا بهم إلى الكوفة .

ولما اختلف الناس على علي، طمع أهل فارس وأهل كرمان فحجبوا

الحجاج، وطردهوا سهل بن حنيف عامل علي هناك، فبعث إليهم علي زياد بن أبيه فأعاد الأمن وضبط المنطقة.

وفي عام ٤٠ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز في ثلاثة آلاف رجل، فدخل المدينة، وخرج منها عامل علي أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد، واتجه إلى الكوفة، وبايع أهل المدينة بسرًا ومنهم بعض الصحابة أمثال جابر بن عبدالله، وعبدالله بن زمعة، وعمر بن أبي سلمة، وذلك برأي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إذ خافت عليهم، وخافوا على أنفسهم.

ثم انطلق بسر بن أبي أرطاة إلى مكة المكرمة فخافه أبو موسى الأشعري، إلا أنه عفى عنه، ومن مكة سار بسر إلى اليمن التي عليها عبدالله بن عباس من قبل علي، وكان قد لقي من أهلها لفظًا فكتب إلى أمير المؤمنين بذلك، فأرسل إليهم يستصلحهم، ولكن لم تصلح معهم الرأفة والرحمة، فهتددهم فخافوه، فكتبوا إلى معاوية يستنصرونه فسار إليهم من مكة بسر، وهو يريد الإيقاع بهم، وهم أن يقسو على أهل الطائف إلا أن المغيرة بن أبي شعبة نصحه فعدل عن رأيه، ولما وصل إلى اليمن كان عبدالله بن عباس قد غادرها إلى الكوفة بعد أن استخلف عبدالله بن عبدالمطلب المدائني إلا أن بسرًا قد دخلها، وأرسل علي إلى جزيرة العرب جارية بن قدامة، ومعه ألفان، ووهب بن مسعود ومعه ألفان، وسار جارية حتى أتى نجران، ففر بسر إلى مكة، فتيهه جارية فدخلها، وطلب من أهلها البيعة، فقالوا له: هلك أمير المؤمنين، فقال: يايعوننا لمن بايع له أصحاب علي فبايعوه، ثم سار جارية إلى المدينة فدخلها وكان يصلي بالناس أبو هريرة رضي الله عنه، ثم بايع أهل المدينة الحسن بن علي.

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلال هذه المدة كلها لا تشغله الأمور السياسية، ولا تحرفه عن طريق تصرفات أصحابه وتخالفهم، ولا يمتعه

ما لقي من بعض الولاة أن يتبع الصراط المستقيم وأن يتطلق من خلال فقهه وعلمه ، فقد كان عمر بن الخطاب يقول : علي أقضانا ، وقد سار علي في الناس سيرة عمر التي عرفت بالحزم ، فقد منع الصحابة من مغادرة المدينة ، وكان يحمل الدرة ويؤدب الناس بها ، ثم الخيزرانة عندما لم تجد الدرة ، ويمر بالأسواق ، ينظر في الأسعار ويراقبها ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويجلس للناس في المسجد يحل مشكلاتهم ، ويقضي لهم ، ويعظ الناس ، ويخطبهم .

مقتل علي : اجتمع عدد من الخوارج فتذكروا فيما آل إليه أمر المسلمين ، وتذكروا قتلهم يوم النهروان ، فثار بهم الحمية ، ورأوا أن علياً وسعاوية وعمراً من أسباب بلاء الأمة - حسب رأيهم وما توصلوا إليه - لذا قرروا التخلص منهم . فتعهد عبدالرحمن بن ملجم المرادي علياً ، وأخذ البرك بن عبدالله علي عاتقه قتل معاوية ، ووعد عمرو بن بكر التميمي بالتخلص من عمرو بن العاص ، وتواعدوا كتم أمرهم ، وأن يسير كل حسب جهته الموكل بها ، وأن يكون موعدهم لتنفيذ الخطة صلاة الفجر من يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ .

ومر عبدالرحمن بن ملجم علي تيم الرباب فوجد بينهم فتاة رائعة الجمال تدعى قطام ابنة الشجنة وكانت ممن أصابها وأصاب قومها النكبات يوم النهروان ؛ فخطبها ابن ملجم ، فاشترطت عليه مهراً كبيراً مقداره ثلاث آلاف دينار وعبد وقينة ثم رأس علي ، فوافقها وأسر لها مهنته بعد أن قال لها : هذا طلب من لا تريد العيش مع زوجها ، فأجابته : إن نجوت عشنا خير حياة ، والافزت بالجنة - حسب زعمها - وهو في الواقع أشقى من عليها . وجاء اليوم الذي اتفقوا عليه ، فضرب ابن ملجم علي بسيفه المسموم فقتله ، وأما معاوية فأصابه يومها البرك بن عبدالله في إتيته ، فنجا بعد مداواة ، فاتخذ بعدها المقصورة ، وأما عمرو بن العاص فلم يخرج يومها للصلاة لمرض أصابه ، وكلف مكانه صاحب شرطته خارجة بن حذافة فقتل .

ودخل جندب بن عبدالله على علي بعد إصابته فقال له : يا أمير المؤمنين إن  
فقدناك ولا نفقدك فتبايع الحسن، فقال: ما أمركم ولا أنهارم أنتم أبصر. ونهى  
علي عن المثلة بقاتله وقال: إن مت فاقتلوه بي، وإن عشت رأيت رأيي فيه. ثم  
لم يلبث أن توفي، وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر، وكفن، وكثرت  
الروايات حول دفنه، الأمر الذي جعل قبره مجهول المكان.

واتجه الناس إلى الحسن فبايعوه وكان أول من بايعه قيس بن سعد، وبقي  
الحسن في الخلافة ستة أشهر رأى خلالها تخالف أصحابه، وضرورة اتفاق  
الأمة، فأثر الصلح، ودعا معاوية إليه فوافق، وتنازل الحسن له في ٢٥ ربيع  
الأول عام ٤١ هـ، ودخل معاوية الكوفة، وانتقل الحسن والحسين إلى  
المدينة. ويبدو أن الحسين لم يكن يراي أخيه وكذا قيس بن سعد.

وهكذا انتهت مدة الخلافة الراشدة التي سارت على نهج رسول الله ﷺ،  
وبدأت بعدها زاوية الانحراف تتفرج تدريجياً.



١٧ رمضان: مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

علي بن أبي طالب

٢١  
٢٠  
٢٩  
٢٨  
٢٧  
٢٦

الفتح المكيين  
معركة صفين  
معركة الجمل

١٨ ذي الحجة: مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفان

٢٥  
٢٤  
٢٣  
٢٢  
٢١  
٢٠  
١٩  
١٨  
١٧  
١٦

إعادة فتح  
خراسان  
معركة ذات  
الصورى  
فتح قبرص  
فتح طرابلس  
واقعة

٢٣ ذي الحجة: طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عمر بن الخطاب

١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

فتح خراسان  
معركة نهاوند  
فتح مصر

٢٢ جمادى الآخرة: توفى أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أبو بكر الصديق

١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

معركة القادسية  
فتح دمشق  
معركة اليرموك

١٢ ربيع أول: وفاة رسول الله صلي الله عليه وسلم

## المؤلف

## الصفحة

## الموضوع

٥	توطئة
١٣	تاريخ هذه المرحلة
٢١	الخلافة والبيعة
٢٧	الباب الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
٢٩	الفصل الأول: حياته في الجاهلية .
٣٣	الفصل الثاني: حياته في الإسلام .
٤٩	الفصل الثالث: بيعته .
٦١	الفصل الرابع: أعماله وفتوحاته
١١١	الباب الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
١١٣	الفصل الأول: حياته في الجاهلية .
١٢١	الفصل الثاني: حياته في الإسلام .
١٤٣	الفصل الثالث: الفتوحات في عهد عمر .
١٩١	الفصل الرابع: مقتل الخليفة عمر بن الخطاب .
٢٠١	الفصل الخامس: المجتمع الإسلامي أيام عمر .
٢١٥	الباب الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه .
٢١٧	الفصل الأول: حياته .

- ٢٢٥      الفصل الثاني: خلافة عثمان بن عفان .
- ٢٢٩      الفصل الثالث: الفتوحات في عهد عثمان .
- ٢٣٧      الفصل الرابع: المجتمع الإسلامي أيام عثمان .
- ٢٤٩      الباب الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
- ٢٥١      الفصل الأول: حياته .
- ٢٥٧      الفصل الثاني: بيعته .
- ٢٦٣      الفصل الثالث: المجتمع الإسلامي أيام علي .

www.alkottob.com